SHIKH MOUHAMAD HASSAN

The Charm



الفتنة

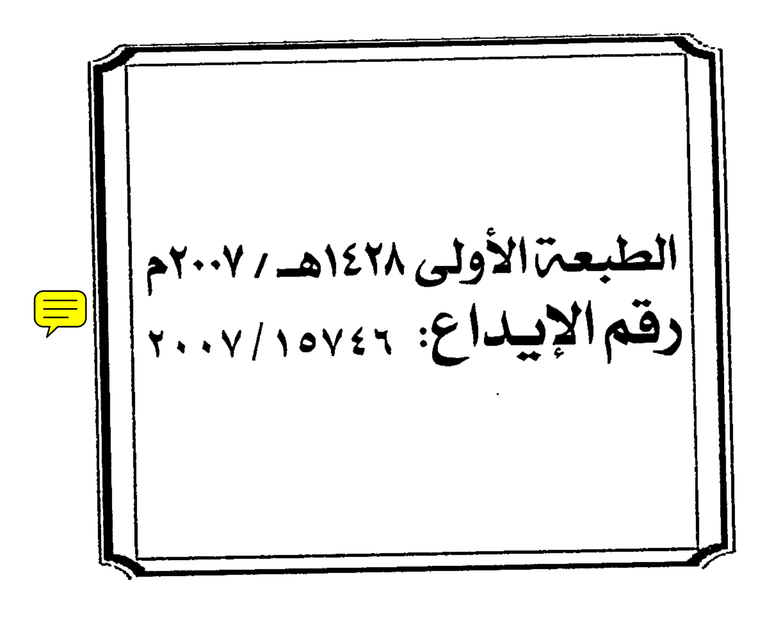
بين الصحابة

قراءة جديدة لاستخراج الحق من بين ركام الباطل



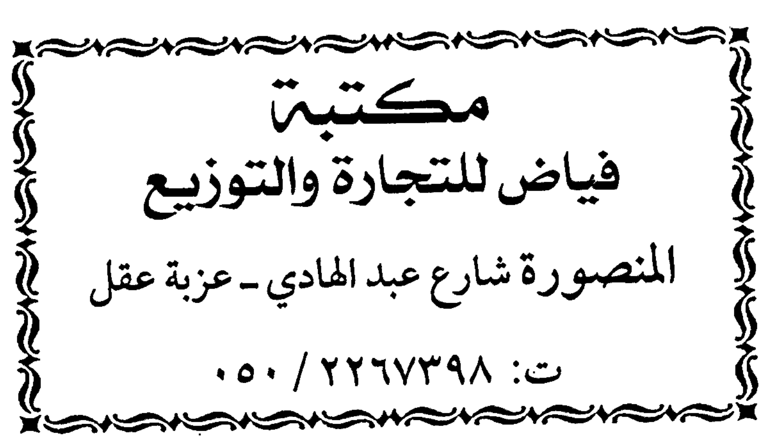


مكتبة فياض
للتجارة والتوزيع



الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ١٥٧٤٦/ ٢٠٠٧

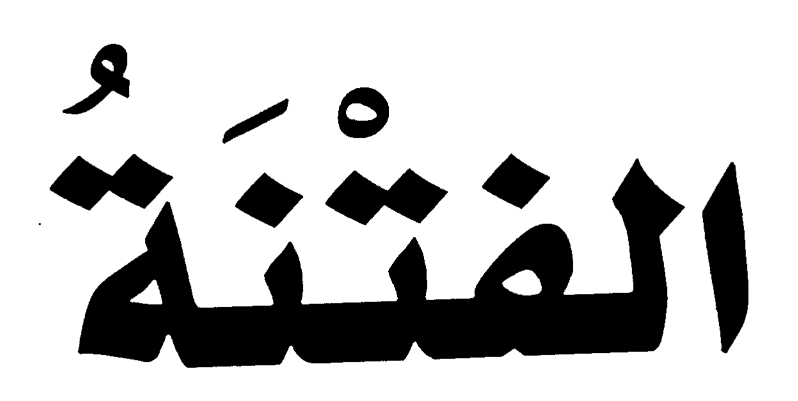


مكتبة

فياض للتجارة والتوزيع

المنصورة شارع عبد الهادي - عزبة عقل

ت: ٢٢٦٧٣٩٨ / ٠٥٠



الفِتْنَةُ

بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

قِرَاءَةٌ جَدِيدَةٌ لاسْتِخْرَاجِ الحَقِّ مِنْ بَيْنِ رُكَامِ البَاطِلِ

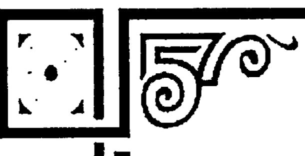
تأليف

فضيلة الشيخ

محمد حسان

مكتبة فياض

للتجارة والتوزيع




إهداء



* أُهدي هذه الكلمات إلى من ذاقت قلوبهم حلاوة الحب لأصحاب رسول الله ﷺ ، ليزدادوا حُبًّا .

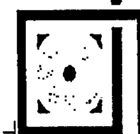
* وإلى من هَبَّتْ ريحُ التشكيكِ على قلوبِهم وعقولِهم فعصفت بمكانة الصحب الكرامِ في نفوسهم ، ليقفوا على الحق من بين ركام الباطل .

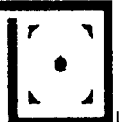
* وإلى من نزلوا ميدان الكتابة عن الصحابة ، ليعلموا أن الحديث عن الأطهار يتطلب صفاءً في العقيدة ، وإخلاصًا في النيَّة ، وأمانةً في النقل ، ودِقَّةً في الفهم، ونظرةً فاحصةً لأراجيف المغرضين والكذابين والوضَّاعين .

* وإلى كل من تطاول على هذه القمم ليلزم حدَّه ويعرف قدره وإلا فليقصف قلمه ، وليكف لسانه ، فإن أَبَى إلا النيل ممن زكَّاهم الله وعدَّلهم رسولُ الله ﷺ ، فليعلم أن ذبابة سقطت على نخلة تمر عملاقة . فقالت الذبابة : تماسكي أيتها النخلة ، فإني راحلةٌ عنك !!! فقالت نخلة التمر العملاقة : انصرفي أيتها الذبابة ، فهل شَعُرت بك حين سقطت عَليَّ لأستعد لكِ وأنت راحلةٌ عني ؟ !!!

* وأخيرًا أسأل الله أن يجمعنا بهم بحبنا لهم ـ وإن قصرت أعمالنا ـ في جنات النعيم .

محمد حسان



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] .

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١] .

○ **أما بعد ..**

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

○○**ثم أما بعد ..**

فلقد كثر الطَّعنُ هذه الأيام في أشرف وأطهر الخلق بعد الرسل والأنبياء ، في أصحاب رسول الله ﷺ ووظَّفَ كثيرٌ من الجُهلَاءِ الفتنةَ التي وقعت بينهم في آخر خلافة عثمان ﷺ، توظيفًا خبيثًا للنيل من مكانتهم والحطِّ من قدرهم للطَّعن في الدِّين ؛ لأنَّهم هم الَّذين نَقَلُوا إلينا القرآن والسنَّة .

ونزل الميدانَ من لا يُجيد فنَّ النِّزال !! وخاض السِّباحة وسط هذه الأمواج من لا يُحسِن السِّباحة!!

وانبرى للحديث عن الصَّحب الكرام من لا يعرف أصول معتقد أهل السُّنة في أصحاب رسول الله ﷺ.

إذ إن الحديث عنهم ﷺ يتطلب صفاءً في العقيدة ، وإخلاصًا في النية ، وأمانةً في النقل ، ودِقَّةً في الفهم ، ونظرةً فاحصةً مدققةً لأراجيف المغرضين والكذَّابين والوضَّاعين . فآلمتني كلماتٌ سمعتها هنا ، وأوجعتني سطورٌ قرأتها هناك ، وجرحتني مواقف ومشاهِدُ أعلمها هنالك !!!

فسألتُ الله جل وعلا أن يجبر كسري ، وأن يمدني بمددٍ من عنده ، وأن يشرفني ويرفع من قَدْري بالزَّود عن أصحاب الرَّسول ﷺ لأستخرج الحقَّ من بين ركام الباطل ، وسط هذه الفتنة الصَّمَّاء البكماء

العميـاءِ ، لأُزيـل الغـبشَ الـذي ران عـلى القلـوب ، والظـلامَ الـذي حجب الأبصارَ عن رؤية النُّور، والباطلَ الذي خيَّم على العقول طيلة عقود وعقود ، فحال بينها وبين معرفة الحقِّ !!

ووالله كنت في رُعبٍ وفزعٍ ـ لا يعلمه إلا من بيَدِه القلوب ـ لأنِّي كنت أهرب من الخوض في هذه الفتنة ، وأبتعد عن الحديث عن هذه الحِقبة ؛ خشية أن أزلَّ بقلمي فِيها ، وخوفًا من أن أفسد من حيث أريد الإصلاح ، أو أضر من حيث أريد النَّفع .

وأخشى ما كنت أخشاه أن تترك كلمةٌ مني ـ عن غير قصد ـ أثرًا سيِّئًا في قلب مسلم أو مسلمة ، فاجتهدتُ قدر استطاعتي وعلى قدر حُبِّي للصحابة ﷺ ، وتضرَّعْتُ إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ أن يستخرج منِّي الحقَّ الذي يرضيه عنِّي ، والذي يليقُ بمكانةِ وقدرِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ .

وأسألُ الله تعالى أن يحشرنا معهم بحبِّنا لهم ، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم ، وأن يُجنبنا الزَّيغ والزَّلل ، وأن يردَّنا إلى الحقِّ ردًّا جميلًا ، وأن يُقِرَّ أعيننا جميعًا بنصرة الإسلام وعزِّ المسلمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الغُرِّ الميامين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

وكتبه

أبو أحمد محمد بن حسان

القاهرة

المحرم ١٤٢٨هـ



فضائل الصحابة رضي الله عنهم

فضائل الصحابة ﷺ

الحمد لله الذي شَرَّفَ نوع الإنسان بالأصغرينِ : القلبِ واللسانِ ، وفضَّله على سائر خلقه بنعمتي المنطق والبيان ، ورجَّحه بالعقل الذي وزن به قضايا القياسِ في أحسن ميزان ، فأقام على وحدانيته البرهان ، أَحْمَدُهُ حمدًا يمدُّنا بمواد الإحسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما العزيز الرحمن ، فهو الواحد الأحد ، الماجد الصَّمد ، مُوَقِّت الآجال ، ومُقَدِّر الأعمال ، وسامع الأقوال ، وعالم الأحوال ، مثبت الآثار، ووارث الأعمار ، رافع الأخيار ، وواضع الأشرار ، مادِح الأبرار ، وقاصِم الفِجَّار ، العليم ، البصير ، السَّميع ، الذي من رَفَعَ فهو الرَّفِيعُ ، ومن وَضَعَ فهو الوَضِيعُ ، بَيَّنَ وأنار ، واصطفى واختار ، اصطفى الرسلَ والأنبياء على سائر البرية ، واختار أتباعَهم على جميع الوَرَى والخليقة ، فجعل لكلِّ نبي أمَّةً ووزراء وأصحابًا ، ولكلِّ رسولٍ أنصارًا وأعوانًا ، رَفَعَ بهم المنازلَ ، وشَرَّفَ بهم القبائلَ ، فجعل نبيَّنا محمدًا ﷺ سيِّدَ الأنبياء والمرسلين ، وجعل أمَّته سيِّدةَ الأمم والماضين ، وفضَّل أصحابه ﷺ على جميع أتباع المرسلين والنبيِّين .

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المخصوص بالآيات البيِّنات كل

البيان ، ﷺ وعلى آله وصحبه ، صلاةً وسلامًا يبقيانِ في كلِّ زمانٍ وأوان ، ورضي الله سبحانه عن أصحابه الطيبين الطاهرين ﷺ الذين تخلَّقوا بأخلاقه ، وتَرَبَّوا بآدابه ﷺ ، وكانوا معه على كلِّ أمرٍ جامعٍ ؛ فلا أحدَ كان أطيبَ منهم ، ولا أحدَ جاء أخلصَ دينه لله ولرسوله مثلهم ؛ فهاجروا وآووا ، ونصروا الله ورسوله ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؛ فكان اللهُ وليُّهم ، ورسولُه قائدهم ؛ فرضي الله عنهم وعمَّن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

○ **أما بعد :**

فو الله ما كان حديثًا يُفترى ولا فُتُونًا يتردد . ذلكم الحديثُ الذي يروي أنباءَ أطهَر ثُلَّةٍ عرفتها الأرض بعد الرُّسل والأنبياء ، ولِمَ لا ؟! وهو قرآنٌ وسُنَّة .

• قال الله ـ جلَّ ذكره ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

• وقال تبارك وتعالى :﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ

فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

• وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الواقعة:١٠-١٤].

• وقال تباركت أسماؤه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

• وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩].

• وقال عز من قائل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨، ٩].

فهذه الآيات اشتملت على أبلغ ثناء وتعطير من العليم الخبير؛ حيث أخبر تعالى أنه قد تاب عليهم، ورضي عنهم ورضوا عنه، وأكرمهم بجنَّات النَّعيم، وذلك لسبقهم وفضلهم، فالصحابيُّ هو من لَقِي رسول الله ﷺ وآمن به ومات على الإسلام وَيَالَهُ مِنْ شرف!!!.

ولقد نال أصحاب النبيِّ ﷺ من الفضل والكرامة ما لم يَنَلْهُ أحد؛ فهم الذين رأوا النبيّ ﷺ وآمنوا به وبرسالته وصدقوه وآزروه وآووه ونصروه، وهم الذين عَظَّموا أمره وتفانوا في طاعته ﷺ، وهم الذين أحبَّهم النَّبي ﷺ ورَضِيَ عنهم وزكَّاهم، وأوصى بهم، ودعا لهم بالرَّحمة والمغفرة، وبَشَّرهم بالجنَّة، وهم الذين نزل القرآن بموافقتهم، وهم الذين أجرى الله تعالى الحق على ألسنتم وقلوبهم.

○ **يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في «تفسيره»** [(١)]: «يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدَّ لهم من جنَّات النَّعيم، والنَّعيم المقيم... **إلى أن قال**: فيا ويل من أبغضهم أو سبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم ولاسيما سيِّد الصحابة بعد الرَّسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم ـ أعني: الصديق الأكبر، والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﵁؛ فإنَّ الطَّائفةَ المخذولةَ من الرافضةِ يُعَادونَ أفضل الصحابة ويُبغضونَهم،

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٧٠).

ويسبونهم - عياذًا بالله من ذلك - وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ؛ فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ؟! إذ يسبون من رضي الله عنهم ، وأمَّا أهل السُّنة ؛ فإنَّهم يترضَّون عمَّن رَضِيَ الله عنه ، ويسبُّون من سبَّه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ، ويعادون من يعادي الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبتدون ، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون » .

○ **وقال القرطبي في « تفسيره »[1] عند تفسير قوله تعالى :** ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩] :

« لا يجوز أن يُنسبَ إلى أحدٍ من الصحابة خطأٌ مقطوعٌ به ؛ إذ كانوا كلُّهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلُّهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكفِّ عمَّا شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلَّا بأحسنِ الذكر ؛ لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبِّهم ، وأنَّ الله غفر لهم ، وأخبر بالرضا عنهم » ا.هـ.

ولقد زكَّى الله تبارك وتعالى أصحاب النَّبي ﷺ من فوق سبع سموات في مواضع عديدة من كتابه العزيز ؛ فقال سبحانه : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) « تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٢١) .

بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف:١٥٧] .

• وقال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور:٦٢] .

والآيات في فضائلهم ومناقبهم كثيرة جليلة ، وقد مدحهم وزكاهم وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة جليلة ، فَعَنْ عِمْرَانَ بن حُصَين ﭬ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** »[1] .

قَالَ عِمْرَانُ : لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ... الحديث .

وفي رواية له عنه ﭬ : « **خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . . .** » الحديث .

---

(١) أخرجه البخاريُّ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبيِّ ﷺ (٣٦٥٠، ٣٦٥١) وانظر أطرافه في (٢٦٥١) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ﭭ (٢٥٣٥) .

وفي رواية عن عبد الله ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . . . » الحديث [١] .

○ وفي رواية الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ : سُئِل رَسُولُ الله ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟

قَالَ : « قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ...» [٢] الحديث .

○ قال النووي [٣] : « اتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ خَيْر الْقُرُون : قَرْنه ﷺ وَالْمُرَاد : أَصْحَابه » .

○ وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ وهو تابعي كبير زاهد مجمع على جلالته وإمامته : « لقد أدركنا أقوامًا ـ أي : الصحابة ـ أهل القرن الأول كنا في جنبهم لصوصًا ».

وقال : « ذهبت المعارف ، وبقيت المناكير ، ومن بقي اليوم من المسلمين فهو مغموم ! وكان كثيرًا ما يُنشد :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا المَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ»

○ وقال الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْم : « لو رآنا أصحاب محمد ﷺ لقالوا :

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ﷺ (٢٥٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابه ﷺ (٢٥٣٣/ ٢١١) .

(٣) « شرح النووي على مسلم » (٨/ ٣١٤) .

هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب[(١)] ! » .

• وقال الطبري في « تهذيب الآثار »[(٢)] : حدثني أبو حميد الحِمصي أحمد بن المغيرة ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن محمد بن مهاجر ، حدثني الزبيدي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت : يا ويح لبيد ، حيث يقول :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خَلَف كجلد الأجرب

قالت عائشة : فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

○ قال عروة : رَحِمَ اللهُ عَائشة ؛ فكيف لو أدركت زماننا هذا ؟!

○ ثم قال الزهري : رَحِمَ اللهُ عروة ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

○ ثم قال الزبيدي : رَحِمَ اللهُ الزهري ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

قال محمد : وأنا أقول : رَحِمَ اللهُ الزبيدي ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

قال أبو حميد : قال عثمان : ونحن نقول : رَحِمَ اللهُ محمدًا ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

---

(١) راجع : « فيض القدير » للعلامة المُناوي (٣/ ٤٧٩) ط المكتبة التجارية ، و« الحلية » (٢/ ١٠٨، ١٠٩) .

(٢) (١/ ١٢٤) .

قال أبوجعفر : قال لنا أبو حميد : رَحِمَ اللهُ عثمان ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

قال أبو جعفر: رَحِمَ اللهُ أحمد بن المغيرة ؛ كيف لو أدرك زماننا هذا؟!

قال الشيخ : رَحِمَ اللهُ أبا جعفر ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟! .

قلت : رَحِمَ اللهُ هؤلاء جميعًا ؛ فكيف لو أدركوا زماننا ورأوا أقوامنا ؟! .

● وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ! فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ »[1].

○ وفي رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ :

« لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ! فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ »[2].

● وعن عطاءِ بنِ أبي رباح ــ بسند مرسلٍ صحيحٍ وهو حسن

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا » (٣٦٧٣) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (٢٥٤١) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (٢٥٤٠) .

بشواهده ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي ؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله »[(١)] .

وَالْمُرَاد بِهِ الْفَضْل وَالطَّوْل[(٢)] ، ومراد النبي ﷺ فيه تَقْرِير أَفْضَلِيَّة الصَّحَابَة ﷺ عَمَّنْ بَعْدهمْ ؛ فَإِنَّ فَضِيلَة الصُّحْبَة لاَ يَعْدِلهَا عَمَل ، وذلك لأَثَرهم فِي الدِّين ، وانتشار الإسلام على أيديهم ، وَمَنْفَعَة الْمُسْلِمِينَ .

○ قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في « فتح الباري »[(٣)] : « قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ : مَعْنَى الْحَدِيث : لاَ يَنَال أَحَدُكُمْ بِإِنْفَاقِ مِثْل أُحِدٍ ذَهَبًا مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ مَا يَنَالُ أَحَدهمْ بِإِنْفَاقِ مُدّ طَعَام أَوْ نَصِيفه ، وَسَبَبُ التَّفَاوُت مَا يُقَارِن الْأَفْضَل مِنْ مَزِيد الْإِخلاص وَصِدْق النِّيَّة » . اهـ .

○ وقَالَ النَّووي في « شرحه على مسلم »[(٤)]: قَالَ الْقَاضِي : وَسَبَب تَفْضِيل نَفَقَتهمْ أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَقْت الضَّرُورَة وَضِيق الْحَال ، بِخِلَافِ غَيْرهمْ ؛ وَلأَنَّ إِنْفَاقهمْ كَانَ فِي نُصْرَته ﷺ وَحِمَايَته ، وَذَلِكَ مَعْدُوم بَعْده ، وَكَذَا جِهَادهمْ وَسَائِر طَاعَتهمْ ، وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ لَا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤١٩) ط . الرشد ، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠١ ظلال) ، قال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٤٠) : «صحيح بشواهده» .

(٢) قاله الخطابي : كما في فتح الباري (٧/ ٤٢) .

(٣) (٧/ ٤٢) ط . الريان .

(٤) «شرح النووي» (١٦/ ٩٣) ط. الريان.

يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ الآية [الحديد:١٠] .

هَـذَا كُلّه مَـعَ مَـا كَـانَ فِي أَنْفُسـهِمْ مِـنْ الشَّـفَقَة وَالتَّـوَدُّد وَالْخُشُـوع وَالتَّواضُع وَالْإِيثَار وَالْجِهَاد فِي الله حَقَّ جِهَاده ، وَفَضِيلَة الصُّحْبَة ، وَلَوْ لَحْظَة لا يُوَازِيهَا عَمَل ، وَلاَ تُنَال دَرَجَتهَا بِشَيْءٍ ، وَالْفَضَائِل لاَ تُؤْخَذ بِقِيَاسٍ ، ذَلِكَ فَضْل الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء . اهـ .

وهذا يُؤكِّد تَفْضِيل الصَّحَابَة كُلّهمْ عَلَى جَمِيع مَنْ بَعْدهمْ .

• وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ ﷺ قَالَ : صَلَّيْنَا الـمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قُلْنَا : لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ ـ قَالَ ـ فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ : «**مَازِلْتُمْ هَا هُنَا ؟**» .

قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ! صَلَّيْنَا مَعَكَ الْـمَغْرِبَ ، ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّي مَعَكَ الْعِشَاءَ.

قَالَ : « **أَحْسَنْتُمْ** » أَوْ « **أَصَبْتُمْ** » .

قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ؛ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَقَالَ :

« **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي ؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ**

لأُمَّتِي ؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ »[(١)] .

● وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﭬ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ : فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ »[(٢)] .

والفِئَامُ : الجماعة الكثيرة .

● وعن واثلة بن الأسقع ﭬ قال : قال رسول الله ﷺ :

« لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَنِي ، وَاللهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَادَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي »[(٣)] .

● وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﭭ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً » .

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ، وبقاء أصحابه أمان للأمة (٢٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٤٩) ، وانظر أطرافه في (٢٨٩٧) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابه ، باب فضل الصحابه رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٧٨) ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٨٥، ٨٦) وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٢٠) وقال: « رواه الطبراني من طرق ، ورجال أحدها رجال « الصحيح » ، وقال الحافظ في « الفتح » (٧/ ٧) : «إسْناده حَسَن» .

قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله ؟!

قَالَ : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »[(١)].

أي : هُمْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ ، وهُمْ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ النَّقِيَّةِ والسُّنَّةِ الْبَيْضَاءِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ ، وأَصْلُها : أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ.

• وعَنْ عَامِرِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ ﭬ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « اللَّهُمَّ ! أَمْضِ لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ ، وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ »[(٢)].

أَيْ : أَتِمَّهَا وَلاَ تُبْطِلْهَا وَلاَ تُنْقِصْهَا ، وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ بِتَرْكِ هِجْرَتِهِمْ وَرُجُوعِهِمْ عَنْ مُسْتَقِيمِ حَالِهِمْ الْمَرْضِيَّةِ .

• وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﭬ قَالَ : خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فِي مِثْلِ مَقَامِي هَذَا فَقَالَ : « أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... »[(٣)] الحديث .

• وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﭬ أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ كَقِيَامِي فِيكُمْ فَقَالَ :

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١) وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وحسنه لغيره الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣٤) ، والصحيحة (١٣٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة (١٢٩٥) ، ومسلم ، كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث (١٦٢٨) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦) ، وابن ماجه كتاب الأحكام ، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد (٢٣٦٣) ، والترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٥) ، والحاكم (١/ ١١٤، ١١٥) ، والحميدي (٣٢) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٤٣٠) .

« أَكْرِمُوا أَصْحَابِي ، ثُـمَّ الَّـذِينَ يَلُـونَهُمْ ، ثُـمَّ الَّـذِينَ يَلُـونَهُمْ ... »[(١)] الحديث .

• وعَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ ﷺ قَـالَ : خَطَبَـنَا عُمَـرُ بِالْـجَابِيَةِ فَقَـالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ :

«أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[(٢)] الحديث .

• وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ : خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ بِالْجَابِيَـةِ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا مِثْلَ مُقَامِي فِيكُمْ فَقَالَ :

«احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ...»[(٣)] الحديث .

• وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَـدَ قَلْـبَ مُحَمَّـدٍ ﷺ خَـيْرَ قُلُـوبِ الْعِبَـادِ ، فَاصْـطَفَاهُ لِنَفْسِـهِ ، فَابْتَعَثَـهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْـبِ مُحَمَّـدٍ ، فَوَجَـدَ قُلُـوبَ أَصْحَابِهِ خَـيْرَ قُلُـوبِ الْعِبَـادِ ، فَجَعَلَهُـمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّـهِ يُقَـاتِلُونَ عَـلَى دِينِـهِ ؛ فَـمَا رَأَى الْـمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّءٌ »[(٤)] .

---

(١) هذا لفظ الحميدي ، وقد مرَّ .

(٢) هذا لفظ الترمذي ، وقد مرَّ .

(٣) هذا لفظ ابن ماجه والحاكم ، وقد مر آنفًا .

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) ، والبزار (كشف ١٣٠) ، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢،٨٥٨٣) ، قال الهيثمي في « المجمع » (١/ ١٧٧ ، ١٧٨) : « رجاله موثوقون » ، وحسنه الألباني ؛ كما في « الضعيفة » (٥٣٢،٥٣٣) وضعفه مرفوعًا .

أي : أنهم أرباب النفوس والمجاهدات ، وأصحاب المعاملات والمكابدات ؛ فالبرُّ: هو صدق المعاملة لله تعالى . والتقوى : حسن المجاهدة في الله تعالى بفعل الطاعات واجتناب المعاصي.

وما نال الصحابة ﷺ هذه المنزلة الرَّفيعة إلا بإيمانهم بالله ، واتِّباعهم الرَّشيد ، وحبِّهم الشَّديد لرسول الله ﷺ .

• فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ﷺ قَالَ : « قَالَ فَتًى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ : يَا أَبَا عَبْدِ الله ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ الله ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي . قَالَ : فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالَ : وَالله لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ . قَالَ : وَالله لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا»[1] .

• ولَمَّا جَاء عُروةُ بن مسعود ليفاوضَ النبيَّ ﷺ بالحديبية ورأى سحابة الحُبِّ التي ظلل بها الصحابة رسول الله ﷺ عاد إلى قومه من قريش ؛ فقال: أَيْ قَوْمِ ، وَالله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٢) ، والطبري (تفسير الأحزاب :٩) (١٠/ ٢٦٢) ، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة » (١/ ٢٣٣) من طريق ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٣/ ١٥٧) عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي به . قال ابن كثير (البداية ٤/ ١١٤) : « وهذا منقطع من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة ... » وهو في « صحيح مسلم » (١٧٨٨) .

قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا ، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ (*) ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ [1] !.

وهذا بابٌ عظيمٌ واسع ، وبستان يافعٌ ماتعٌ ، لا يتسع الوقت للتطواف فيه ، واقتطاف ثمره ، والتمتع بعبيره ، وقد تزيَّنَتْ كتبُ السننِ الصحيحة بفضائلهم ومناقبهم وثناء النبيِّ ﷺ عليهم وحبهم له ، وبيان أنهم كانوا ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ خيرة الناس .



(*) قَلَّبْتُ صفحات السِّيرة العطرة فلم أقف على هذه الصورة المتألقة في سماء الحبِّ الصادق لرسول الله ﷺ إِلَّا في يوم الحديبية ، وأدين لله بأنَّ الصحابة ﷺ بالغوا في إظهار محبَّتهم الصادقة لرسول الله ﷺ ليرسلوا رسالة واضحة ، كالشمس في ضحاها ، والنهار إذا جلَّاها لرسول قريش « عروة بن مسعود» لينقلها بدوره إلى من وراءه من قريش ، لا سيا بعد قولته الشديدة لرسول الله ﷺ : « أَيْ مُحَمَّد ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ ؟ وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى ، فَإِنِّي وَاللهِ لأَرَى وُجُوهًا ، وَإِنِّي لأَرَى أَشْوَابًا ـ أَيْ أَخْلَاطًا ـ مِنَ النَّاسِ ـ يقصد الصحابة ـ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ..»!!! فأراد الصحابة الأطهار أن يلقِّنوا عروة ومن وراءه درسًا عمليًّا في الحبِّ ، وأن يبيتوا له أن من دَلَكَ وجهَهُ وَجِلْدَهُ بنخامة رسول الله ﷺ مستعدٌّ لحمايته ونصرته بروحه ودمه وماله ووالده وولده ، وبالفعل وصلت الرسالة كما أرادوا لعروة ومن وراءه من قومه !!!

(١) أخرجه البخاريُّ ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٧٣١و٢٧٣٢) .

○ **وهذه فضائل ومناقب بعضهم ـ رضي الله عنهم أجمعين:**

● عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ :

« إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ : أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ ، لاَ تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ »(١) .

○ الخوخة : الباب الصغير . وَفِي ذلك فَضِيلَة بينة ، ومَزِيَّة واضحة ، وَخِصِّيصَة ظَاهِرَة لأَبِي بَكْر رضي الله عنه وحده ، وهذا يوضح منزلته ومدى قربه من النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ويبين كذلك حبَّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم له .

● وعَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :

« أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله »(٢) .

● وعن أَبِي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قَالَ : كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » (٣٦٥٤) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٢) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٣/ ٧) .

الله ﷺ : « أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ ! »أي: خاصم .

قَالَ : وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَصَّ عَلَى رَسُول الله ﷺ الْخَبَرَ . قَالَ أَبُو الدَّرْدَاء : وَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ : وَالله يَا رَسُولَ الله لأَنَا كُنْتُ أَظْلَم ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ :

« هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي ؟! هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي ؟! إِنِّي قُلْتُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتَ »[1] .

● وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ » .

قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ الله ![2] .

● وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ :

« هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب (٣) من سورة الأعراف (٤٦٤٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٣، ٣٦٦) ، وابن ماجه ، كتاب المقدمة ، أبواب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ (٩٤) ، وصححه الشيخ الألباني في : « صحيح الجامع » (٥٨٠٨) .

وَالْـمُرْسَلِينَ » [١] .

• وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ :

« اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » [٢] .

• وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه :

وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، فَنَزَلَتْ :﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ؛ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ! فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُنَّ : عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ [٣] .

• وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب (٣٦٦٤) وله شاهدٌ بسندٍ ضعيف ، عن علي رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي أيضًا (٣٦٦٥) ، وابن ماجه في المقدمة (٩٥) وله شواهد أخرى ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٨٢٤) و« صحيح الجامع » (٥١) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « لو كنتُ متخذاً خليلًا » (٣٦٧٥) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة (٤٠٢) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر (٢٣٩٩) .

« إِنَّ اللهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ »(١).

• وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﭭ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:

« إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ »(٢).

• وعَنْ عَائِشَةَ ﭬ قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ في حقِّ عُثمان :

« أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ »(٣).

• وعَنْ سَعْدٍ ﭬ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ ﭬ:

« أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي »(٤).

• وعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ ﭬ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

« لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ - أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ - غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ - أَوْ قَالَ : يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ - يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ ،

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في تدوين العطاء (٢٩٦٢) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فضائل الصحابة (١٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٤) .

(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر ﭬ(٣٦٨٢) وقال : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » ، وأحمد (٢/ ٥٣، ٩٥) ، وصححه الشيخ الألباني في « المشكاة » (٦٠٣٣) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان ﭬ(٢٤٠١) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك (٤٤١٦) ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٢٤٠٤) .

فَقَالُو: هَذَا عَلِيٌّ ! فَأَعْطَاهُ رَسُولُ الله ﷺ فَفَتَحَ الله عَلَيْهِ [١] .

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلحَسَنِ بن عليٍّ رضي الله عنه :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ ، وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ » [٢] .

• وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :

« إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا » [٣] .

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » [٤] .

• وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : مَا جَمَعَ رَسُولُ الله ﷺ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ :

« ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » [٥] .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعوة اليهود والنصارى ، وعلى ما يقاتلون عليه (٢٩٤٢) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابه ، باب من فضائل علي رضي الله عنه (٢٤٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب البيوع ، باب ما ذكر في الأسواق (٢١٢٢) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما (٢٤٢١) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٤) .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢) ، والترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٣٧٦٨) وقال : « حديث حسن صحيح » ، والنسائي ، في فضائل الصحابة (رقم : ٦٦) ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٧٩٦) .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب المجن ومَنْ يترس بترس صاحبه (٢٩٠٥) ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل سعد بن أبي وقاص (٢٤١١) .

• وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : نَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ . فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ »[1] .

• وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ :

«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ »[2] .

• وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ .

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ :

«إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَأَيْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ،وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ !»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق (٤١١٣) ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير ﷺ (٢٤١٥) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح (٣٧٤٤) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ (٢٤١٩) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب زيد بن حارثة (٣٧٣٠) ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب زيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد (٢٤٢٦).

● وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :

« اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ »[١] .

● وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولَ الله ﷺ :

« اقْتَدُوا بِالَّذَيْنِ مِنْ بَعْدي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ »[٢] .

أَيْ : لِحُسْنِ سِيرَتِهِمَا وَصِدْقِ سَرِيرَتِهِمَا ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِأَمْرِ الْخِلَافَةِ ، واسترشدوا بإرشاد عَمَّارٍ ، وتمسكوا بما يوصيكم به ابْنُ مَسْعُودٍ ، وما كان هذا إلا لعلمه ﷺ بفطنتهم ، ورشد أمرهم ، وصلاح عقولهم ، ونقاء قلوبهم .

●وعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد بن معاذ ﷺ (٣٨٠٣) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل سعد بن معاذ ﷺ (٢٤٦٦) .

(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الله بن مسعود (٣٨٠٥) وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث » ، وله شواهد عن حذيفة وعن غيره ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٣٣) وانظر « المشكاة » (٦٢٢١) و« صحيح الجامع » (١١٤٣) .

رَسُولَ الله ؟! قَالَ :

« أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِذِ »(١) .

أيْ : بِطَرِيقَتِي الثَّابِتَةِ عَنِّي ؛ وَاجِبًا كَانَ أَوْ مَنْدُوبًا ، والْمُرَادُ بِسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ : طَرِيقَتُهُمْ الْمُوَافِقَةَ لِطَرِيقَتِهِ ﷺ . وَفِيهِ أَنَّ فِعْل الصَّحَابِيِّ سُنَّةٌ يُعْمَل بِهَا .

فهذه الفضائل الجمَّة لم تكن لأحد غيرهم ﷺ ، ولن تكون لأحدٍ من بعدهم ؛ لذا فإن محبتهم واجبة ، وهي من الإيمان ، فلا يبغضهم إلا منافق ، ولا ينتقصهم إلا شقيٌّ هالك .

ومَنْ كان منهم من أهل السَبْقِ في الإسلام كالمهاجرين الأولين فهو أعظمُ حقًّا ؛ ولذلك قيل : إن حبَّهم من فرائض الدِّين ، وقيل : إنه يرجى على حبِّهم ما يرجى على التَّوحيد من الأجر .

هذا قليلٌ من كثيرٍ ، ونبعٌ من فيضٍ معين فضائلهم ومناقبهم .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) وأبو داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧) والترمذي ، في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة (٢٦٧٦) وقال : « حديث حسن صحيح » ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٥٤٩) و « الصحيحة » (٢٧٣٥) .

○ وبالجملة ؛ فالصَّحابة ﷺ شهداءُ الله في الأرض ، ومن أغْضَبَهُمْ فقد أغْضَبَ الله ـ عزَّ وجلَّ !!!

● ففي الحديث الذي رواه مسلم[1] : «أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلاَلٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا : وَالله مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ الله مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ الله مَأْخَذَهَا ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ ؟ فَأَتَى أَبُو بَكْرٍ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ :

« يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ».

فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ ؟ قَالُوا : لاَ ، يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أُخَيَّ » .

ووالله إنِّي لأعجب ـ بعد هذا الفضل ـ لِأَقوامٍ يتطاولون على هؤلاء الفضلاء الأجلَّاءِ الَّذين حَطّوا رِحَالهُم في جنَّةِ رب الأرض والسماء !!! نعوذ بالله من الخُذْلانِ ، ونسأله سبحانَهُ أن يجمعنا بهم مع نبينا في أعلى الجنان.



---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال ﷺ (٢٥٠٤) .





ظهور الفتن



ظهور الفتن

• **قال ابن منظور في « لسان العرب »[1] :**

الفِتَنُ : قال الأزهري وغيره : جماعُ معنى الفِتْنَة: الابتلاءُ والامتحانُ والاختبارُ .

وأصلُها مأخوذٌ من قولك : فَتَنْتُ الفضَّة والذَّهب إذا أذبتهما بالنَّار لِتُميِّزَ الرَّدِيء من الجيِّد .

وقال ابن الأعرابي : الفتنة : الاختبار، والفتنة : المحنة، والفتنة : المال، والفتنة: الأولاد ، والفتنة : الكُفرُ، والفتنة : اختلاف الناس بالآراء ، والفتنة: الإحراق بالنَّار ، وقيل ؛ الفتنة : الظُّلم ، والفتنة : الضَّلال والإثم ، والفتنة : الإضلال ، وقوله ﷻ :﴿ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴾ [الصافات:١٦٢]. يقول : ما أنتم بمضلين إلا من أضله اللهُ .

والفتنة : الفضيحة . وقوله ﷻ :﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ ﴾ [المائدة:٤١].

قيل : معناه : فضيحته ، وقيل : كفره ، قال أبو إسحاق : ويجوز أن يكون اختباره بما يَظْهَرُ به أمرُه .

---

(١) انظر: « لسان العرب » (١٠/ ١٧٨ مادة فتن) ط إحياء التراث العربي ، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢) ، والصحاح للجوهري (٦/ ٢١٧٦) ، والنهاية لابن الأثير (٣/ ٤١٠، ٤١١).

والفتنة : العذاب ، نحو تعذيب الكفار ضُعَفَاءَ المؤمنين في أول الإسلام ؛ ليصدُّوهم عن الإيمان .

والفتنة : ما يقع بين النَّاس من القتال ، والفتنة : القتل ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[النساء:١٠١] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس:٨٣] . أي : يقتلهم .

○ وأما قول النبي ﷺ : « ... **إِنِّي لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ** » [(١)] .

فإنَّه يكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزَّبوا ، ويكون ما يُبْلَونَ به من زينة الدُّنيا وشهواتها ، فَيُفْتَنُونَ بذلك عن الآخرة والعمل لها .

○ وقوله ـ عليه الصلاة والسلام : « **مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ** » [(٢)] .

أي : أخاف أن يُعْجَبُوا بهنَّ ، فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها ، أو

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب آطام المدينة(١٨٧٨) ، ومسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٥) من حديث أسامة بن زيد .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب «النكاح» ، باب ما يتقى من شؤم المرأة (٥٠٩٦) ، ومسلم ، كتاب «الرقاق» باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٢٧٤٠) وكلاهما من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

يزلُّوا في الوقوع في المَعْصية .

• والفتنة : الاختبار . وَفتَنَهُ يَفْتِنهُ : اخْتَبَرَهُ . وقوله ﷻ : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة:١٢٦] .

○ قيل: معناه : يُخْتبرون بالدُّعاء إلى الجهاد ، وقيل : يُفتنون بإنزال العذاب والمكروه .

ولا زلنا نرى من هذه الفتن كلَّ يوم أنواعًا وأشكالًا ؛ نسأل الله أن يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن ؛ إنَّه على كل شيء قدير .

• وقد أخبر النبيُّ ﷺ (١) أن من أشراط السَّاعة : ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل ، فتزلزل هذه الفتنُ الإيمان في القلوب ، حتى يصبح الرجل مؤمنًا ، ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا .كلَّما ظهرت فتنة من الفتن ، قال المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، فيظهر غير هذه الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه مهلكتي، هذه مهلكتي ، ثم تنكشف فتظهر فتنة أخرى ، وهكذا لا تزال الفتن تظهر إلى قيام الساعة ؛ كما أخبر الصادق ﷺ .

• ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال :

(١) سيأتي قريبًا .

« بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا ، وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » [١].

ها نحن الآن نرى مصداق كلام النبيِّ ﷺ؛ فكم من أناس يبيعون دينهم بعرض من الدُّنيا حقير ، من أجل كرسي زائل ، أو منصب فانٍ ، أو وظيفةٍ من الوظائفِ ، أو شهوةٍ رخيصةٍ ، أو شبهةٍ حقيرةٍ .

وربَّما لا يتورع الرَّجل أن يكذب ، أو يُنافق ، أو يُخادع للوصول لهذه الغاية ؛ فإذا ما وصل إلى الغاية التي أراد تَنَكَّر لجُلِّ وُعُودِهِ وَعُهُودِهِ .

○ولذا ؛ حذَّر النبيُّ ﷺ من فتنة الدُّنيا ؛ كما في « الصحيحين » من حديث عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ أنه ﷺ قال:

« وَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ » [٢].

●وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في « مسنده » ، وأبو داود في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٦٤٢٥) وفي(٣١٥٨) ومسلم في كتاب الزهد والرقاق باب (٥٣) (٢٩٦١) .

« سننه » وابن ماجه في السنن ، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين ، وأقره الذهبيُّ والألبانيُّ ، من حديث أبي موسى الأشعري ، أن الحبيبَ النبيَّ ﷺ قال :

« إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ، وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ، وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا ـ أي في هذه الفتن ـ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ »[1] . أي الذي قُتل .

● وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث أم سلمة رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ قالت : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا ـ يعني : استيقظ ليلة من لياليها فزعًا ـ وَهُوَ يَقُولُ :

« سُبْحَانَ اللهِ ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ ؟! أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ ـ أي : من يوقظ زوجيات

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٤٠٨) ، وأبو داود في كتاب « الفتن » والملاحم ، باب : في النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٥٩) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب :التثبت في الفتنة (٣٩٦١) ، والترمذى كتاب الفتن باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة (٢٢٠٤) وقال : « حديث حسن غريب صحيح» ، و الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٢٥ ، ٥٣١) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٤٩) ، و« الصحيحة » (١٦٨٢) .

النبي الطاهرات ؛ لكي يصلين ـ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ» [(١)] .

استيقظ النبيُّ ﷺ وهو يقول : « سُبْحَانَ الله ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ؟ » .

رأى النبيُّ ﷺ في هذه اللَّيلة الفتن الكثيرة التي وصفها ، كأنَّها كقطع الليل الأسود المظلم ؛ لذا ؛ أراد ﷺ أن يوقظ نساءه ـ رضوان الله عليهن ـ ليصلين لله ـ جلَّ وعلا ـ ثم قال :

« فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ » .

○ وذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ أقوالًا كثيرة في تفسير هذه الكلمة الأخيرة : « فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ » . فقال : رُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا وهي عارية أي : تلبس لباسًا ضيقًا أو ثيابًا شفافة ، تُظْهِر هذه الثيابُ عورتَها ؛ إما لضيقها وإما لشفافيتها. يُظهر اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ عورتَها في الآخرة جزاءً وفاقًا لإظهارها عورتها في الدنيا إن لم تتب إلى الله ﷻ.

● وأنتم تعلمون الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب : العلم والعظة بالليل (١١٥) وأطرافه ١١٢٦، ٣٥٩٩، ٥٨٤٤، ٦٢١٨، ٧٠٦٩) .

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٢٦) تحت حديث (٧٠٦٩) بتصرف .

أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال :

« صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ؛ قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » (١) .

○ وهناك قول آخر : رُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا بالنِّعم ، وهي عارية عن شكر المنعم تبارك وتعالى .

○ وهناك من يقول : رُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا بالثِّياب لغناها ، ولكنَّها عارية من الثِّياب يوم القيامة ؛ لتجردها في الدُّنيا من العمل الصالح الذي تكسى بفضله عند الله في الآخرة .

نسأل الله أن يستر نساءنا في الدُّنيا والآخرة ؛ إنه ولي ذلك ومولاه .

● وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: نَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ : الصَّلاَةَ جَامِعَةً (وإذا نادى المنادي بهذا النِّداء ؛ يعلم أصحاب النَّبيِّ ﷺ أنَّ أمرًا قد وقع ، وأن النبي ﷺ يريد أن يخبر بشيء قد تم ، أو بتشريع قد نزل).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب : النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٢١٢٨) ، وفى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء.

يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فاجتمعنا لرسول الله ﷺ ؛ فقال ـ بأبي هو وأمي :

« إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ـ فخير القرون قرن النَّبيِّ ﷺ ، ثم الذي يليه ، ثمَّ الذي يليه ـ وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا » .

معنى ذلك أنَّه قد تقع الفتنة العظيمة التي تخلع القلوب ، وتصيب المؤمن بالذُّهول ، ثمَّ سرعان ما تقع فتنة أخرى أعصف فتُنْسِي الفتنةُ الثانيةُ الفتنةَ الأولَى « فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا » فينظر المسلم إلى الفتنة الجديدة إلى هَوْلِها وفَظَاعَتِها وبَشَاعَتِهَا ، فيرى أن الفتنةَ الأولى التي سبقت لا شيء إلى جوار الفتنة الجديدة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تدبر كلام النبيِّ ﷺ :

« وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ ـ أي : هذه مهلكتي هذه مهلكتي ـ فَمَنْ أَحَبَّ

أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الـجَنَّةَ ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ »(١) .

يقول الله جلَّ وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

أي : في ظل هذه الفتن يجب عليك أن تُجدد الإيمان ، فإن الإيمان يَخْلَقُ ويضعف ، ويزيد وينقص.

• كما في الحديث الذي رواه الطبراني في « معجمه الكبير » والحاكم في «المستدرك» من حديث عبد الله بن عمرو ﵄ أن النبيَّ ﷺ قال: « إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكِمْ ،كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ - أي كما يبلى الثَّوب - فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ »(٢) .

فالأمر يحتاج في ظل هذه الفتن - كما سنبين إن شاء الله تعالى - إلى أن يجدد الإنسانُ المسلمُ إيمانه بالله - جلَّ وعلا - وباليوم الآخر ، وأن يتعوَّذ بالله من شرِّ هذه الفتن ما ظهر منها وما بطن .

• وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان ﵁ أن النبيَّ ﷺ قال : وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الفتَن فَقَالَ رَسُولُ الله

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٤).

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٤) ، وقال الحاكم : رواته مصريون ثقات ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي فى «المجمع» (١/ ٥٢) :«رواه الطبرانى فى الكبيروإسناده حسن» ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٥٩٠) ، و« الصحيحة » (١٥٨٥) .

ﷺ - وَهُوَ يَعُدُّ الفِتَنَ :

« مِنْهُنَّ ثَلاَثٌ لاَ يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا - أي : لا يتركن شيئًا - وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ ، وَمُنْهَا صِغَارٌ ، وَمِنْهَا كِبَارٌ »[(١)].

يعني :أن الفتن متفاوتة في قوَّتها كرياح الصَّيف ؛ فمنها ما هو شديد ، ومنها ما هو صغير ؛ ولذلك أخبر النبيُّ ﷺ أن الفتن قد تشتد ، وأن البلاء قد يزيد ، لدرجة أن يتمنى العبد المسلم إذا مر على قبر الرجل أن لو كان مكانه .

● ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة ﷺ أن النَّبي ﷺ قال :

« لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَهُ »[(٢)].

ألم نسمع هذه الكلمة مرارًا وتكرارًا من كثير من الناس ؟ يتمنى كثير من الناس من شدة الفتن والبلاء الموت ؛ مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد نهى أن يتمنى العبدُ الموت لضُرٍّ وقع به !! نسأل الله ﷻ أن يختم لنا ولكم بالصالحات.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور (٧١١٥) ، ومسلم في كتاب الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء(١٥٧) .

● فعن أنس ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ :

« لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي »[1] .

ولا تعارض بين الروايتين - إن شاء الله تعالى - فإن النَّبيَّ ﷺ نهى أن يتمنى العبد الموت من باب القنوط أو اليأس من الحياة ، لكن لا حرج أن يقول العبد : اللهمَّ أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي . وأسأل الله - جلَّ وعلا - أن يختم لنا جميعًا بالإيمان ، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ، إنَّه وليُّ ذلك ومولاه .



(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب : تمني المريض الموت (٥٦٧١) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب : كراهة تمني الموت لضر نزل به (٢٦٨٠) .



مصدر الفتن ومنبعها

مصدر الفتن ومنبعها

بيَّن الصادقُ المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أن معظم الفتن التي ستقع ستخرج من جهة المشرق؛ كما في «الصحيحين» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبيَّ ﷺ قال وهُوَ مستقبلُ المشرقَ:

«أَلاَ إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا - وَيُشِيرُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِهَةِ الْـمَشْرِقِ - مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[1].

● ويقول - عليه الصلاة والسلام - كما في حديث صحيح مسلم: «رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَا هُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[2].

يعني: من المشرق.

● وفي «الصحيحين»[3] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الفِتَنُ، نَحْوَ المَشْرِقِ».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق» (٧٠٩٣)، ومسلم في كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق، من حيث يطلع قرن الشيطان (٢٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الفتن، باب: الفتن من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ...﴾ (٤٣٩٨) واللفظ له، وانظر: (٣٣٠٢)، ومسلم كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه (٥١).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ دعا فقال :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمَنِنَا » - في الشام واليمن - فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : يَا نَبِيَّنَا ! ، وفي عراقنا ؟ فقال النبيُّ - عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ بِهَا قَرْنَ الشَّيْطَانِ وَتَهِيجُ الْفِتَنُ ، وَإِنَّ الجَفَاءَ بِالْمَشْرِقِ »[(١)] .

وهذا الحديث رواه الطبراني . ورواته ثقات .

• وأخرج البخاريُّ[(٢)] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ! وَفِي نَجْدِنَا ؟

قال : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا ».

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ! وَفِي نَجْدِنَا ؟ فأظنه قال في الثالثة :« هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالْفِتَنُ ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » والمعنى واحد .

• قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري »[(٣)] : « قال الخطابي : نَجْد

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢/ ١٢٥٥٣) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/ ٣٠٥): ورجاله ثقات ، وصحح الألباني سند رواية الطبراني وقال : وقد شرحت ذلك في كتابي «تخرج أحاديث فضائل الشام » للربعي (رقم ٨١) .

(٢) « صحيح البخاري » كتاب الفتن ، باب قول النبيﷺ : « الفتن من قبل المشرق » رقم (٧٠٩٤) .

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٥٨) ط الحديث .

من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده : بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة .

○ **قال ابن حجر** : وأول الفتن كان من قبل المشرق ـ تدبر لتقف على صِدْقِ من لا ينطق عن الهوى ﷺ ـ فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة» ا.هـ .

«فمن العراق ظهر الخوارج والشِّيعة ، والروافض ، الباطنية ، والقدرية ، وكان أول من قال بالقدر في البصرة : معبد الجهني ، والمعتزلة وغيرها .

وأكثر الفتن ، وأبشع مقالات الكفر التي خرجت ، خرجت من جهة المشرق ؛ كما قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

فمن جهة الفرس المجوس ، خرجت كل فرق الكفر والضَّلال ، كالزردشتية ، والقاديانية ، والبهائية ، والهندوسية ، والبوذية .

وأيضًا ظهر التَّتار في القرن السَّابع الهجري ، وكان ظهور التَّتار من قبل المشرق ، وقد حدث على أيديهم من الدَّمار والقتل ما الله تعالى به عليم ، حتى وصلت برك الدماء وأكوام الأشلاء في بلاد العراق ـ وفي بغداد على وجه التَّحديد ـ إلى منتصف ساق الخيول ، من كثرة

القتل والدَّم ، ومُنِعَتْ صلاة الجماعة في بلاد العراق أربعين يومًا ، لا يستطيع أحد أن يخرج من بيته!

وإلى يومنا هذا لا يزال المشرق منبعَ كلِّ فتنة ، ولنعلم أن النبيَّ ﷺ لا ينطق عن الهوى .

فالشيوعيةُ الملحدة والصين الشيوعية والفاتيكان ، وكل فرق الضلال لا زالت إلى يومنا هذا تخرجُ ابتداءً من المشرق [1] ، وهذا ما نبأنا به معلِّم البشرية جميعًا ﷺ .

وليس هناك عاصم من كلِّ هذه الفتن ـ كما سأفرد لهذا بابًا مستقلًّا بإذن الله تعالى ـ إلا الإيمان بالله جلَّ وعلا ، وباليوم الآخر ، ولزوم جماعة المسلمين من أهلِ السُّنَّة ـ ولو كانوا قلَّة ـ والابتعاد عن الفتن ، والتعوذ منها ؛ فقد قال النبيُّ ﷺ :

« تَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » .

قَالُوا : نَعُوذُ بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ [2] . والحديث رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت ﷺ .

وكان النبيُّ ﷺ يتعوذ في صلاته من فتنة المحيا ، وفتنة الممات ، ومن

---

(١) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (٩٣-٩٥) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٦٧) .

فتنة المسيح الدَّجال ، وهي أعصف وأخطر فتنة سيتعرض لها من يعيش في الأرض في هذه اللحظات التي يخرج فيها الدجال ، والعياذ بالله .

هذا بالنسبة لفتنة المشرق ؛ أما فتنة المغرب فأعظم وأطَمُّ .

● ففي « معجم الطبراني » من حديث عصمة بن قيس السلمي ﷺ عن النبي ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِالله مِنْ فَتْنَةِ المَشْرِقِ ، فَقِيلَ لَهُ : فَكَيفَ فِتْنَةُ المَغْرِبِ؟

قال : « تِلْكَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ » .

○ وفي لفظٍ : « تِلْكَ أَعْظَمُ وَأَطَمْ ، تِلْكَ أَعْظَمُ وَأَطَمْ »[١] .

وأظنكم ترون الآن صدق كلام النبيِّ ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى .

● وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» ـ بسندٍ فيه موسى بن عبيدة ـ عن أبي الرباب وصاحب له : أنهما سمعا أبا ذر ﷺ يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها ، أطال قيامها وركوعها وسجودها . قال : فسألناه : مم تعوَّذت؟ وفيم دعوت ؟ فقال : تعوَّذتُ بالله من يوم البلاء ويوم العورة . فقلنا : وما ذاك ؟! قال : أمَّا يوم البلاء : فتلتقي فئتان من

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٧/ ٥٠١،٥٠٢) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٣٨٨) ط الراية ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٢٢٠) : ورجاله ثقات ، ونعيم ابن حماد في الفتن (٧٤٨، ٧٤٩) .

المسلمين ، فيقتل بعضهم بعضًا ، وأما يوم العورة : فإنَّ نساء من المسلمات ليسبين ؛ فيُكشف عن سُوقِهِنَّ فأيتهن كانت أعظم ساقًا اشْتُرِيَتْ على عِظَمِ ساقها ، فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ، ولعلكما تدركانه ! قال : فقتل عثمان ، ثم أرسل معاوية بُسْرَ بن أرطأة إلى اليمن ، فسبى نساءً مسلمات ، فأقمن في السُّوق[1] .

فهل وقعت أم لا ؟ نعم ، وقعت فتنة عليٍّ ومعاوية ــ رضي الله عنهما ـ وعن جميع أصحاب النَّبيِّ ﷺ ، وغفر الله لنا ولهم ، وجمعنا معهم في جنَّة النَّعيم وتجاوز عنَّا وعنهم ، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

ولقد سأل رجلٌ خَبِيثٌ عالمًا من العلماء يومًا عن الفتنة بين علي ومعاوية ﷺ فقال له : يا أخي ، إن أخطأ معاويةُ ؛ فإن عليًّا كريم ، وإن ربَّ عليٍّ ومعاوية لغفور رحيم .

ولله درُّ القائلِ :[2] « تلك فتنة ـ نعم فتنة بكل المقاييس ــ سلمت منها أيدينا فلتسلم منها ألسنتُنا » وعند الله تجتمع الخصوم . نسأل الله ﷻ أن يغفر لنا ولهم ، وأن يجمعنا بهم في جنَّة النَّعيم .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٨/ ٦٧٢رقم١٦٢) ، ومن طريقه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٤٩) .

(٢) في شرح الطحاوية (٧٢٤ ، ٧٢٥) وهو يتحدث عن أمير المؤمنين علي ﷺ قال : والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا ، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا ، بمنِّه وكرمه .

فأبو ذر يقول : أمَّا يوم البلاء ، فتلتقي فئتان من المسلمين ، فيقتل بعضهم بعضًا ، وأمَّا يوم العورة : فإنَّ نساء من المسلمات ليسبين ، فيُكشف عن سوقهن، فأيتهن كانت أعظم ساقًا اشتريت على عِظَمِ ساقها ، فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ، ولعلكما تدركانه ــ هكذا يقول أبو ذر لصاحبيه ـ رضوان الله عليهم جميعًا .

○ وأقول : لقد وقع ما خشيه أبو ذر ﷺ من يوم العورة ؛ فلقد كُشِفَت الآن عورات المسلمات ــ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ وأنتم ترون المسلمات قد انطلقن في الشَّوارع هائمات ، وقد كشفت المرأةُ عن صدرها وشعرها وساقيها وذراعيها ، كشفت عن فتنتها وعورتها .

بل وكما قال أبو ذر : «فأيتُهن أعظم ساقًا اشْتُرِيَت على عِظَمِ ساقها» .

ولقد وقع ـ ورب الكعبة ــ ما قاله أبو ذر ﷺ ! كيف وأين ؟! ألم نقرأ ونسمع عن حفلات اختيار ملكات جمال العالم ؟! حيث تختار تلك الملكات بمثل هذه المواصفات التي ذَكَر ، يُنظر إلى كل تفاصيل جسدها ، ثم تُقدم من تنال النصيب الأوفر من هذه المواصفات .

وكذلك في حفلات عروض الأزياء ؛ بل إننا نرى ذلك في شوارعنا

وطرقاتنا ؛ بل تظهر العورات المغلظة على الشواطيء العارية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ نسأل الله أن يستر نساء المسلمين .

• ويروى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

«اللَّهُمَّ لاَ يُدْرِكُنِي زَمَانٌ - أَوْ لَا أُدْرِكُ زَمَانَ - قَوْمٍ لاَ يَتَّبِعُونَ الْعَلِيمَ ، وَلاَ - يُسْتَحْيُونَ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ الأَعَاجِمِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ »[١] .

• وفي رواية لأحمد[٢] عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

« اللَّهُمَّ لاَ يُدْرِكُنِي زَمَانٌ ، وَلاَ تُدْرِكُوا زَمَاناً لاَ يُتْبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ ، وَلاَ يُسْتَحْيَ فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الأَعَاجِمِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ» .

وهذا وصف عجيبٌ قد وُصِفَ بِهِ أهلُ آخر هذا الزمان !

وإن كثيرًا من أفراد الأمَّة الآن لا يتَّبعون العلماء ؛ بل يتَّبعون

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥١٠) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في « الجامع لشعب الإيمان » (٧٧٤٠) وقال عثمان بن صالح ـ أحد رواة الحديث: الأعاجم : الدواب ، وتفسير ذلك قول رسول ﷺ : « العَجْماءُ جَرْحُها جُبَارٌ » .

(٢) « مسند الإمام أحمد » (٥/ ٣٤٠) ، وضعفه الشيخ الألباني فى ضعيف الجامع (١٢١٨) ، والضعيفة (١٣٧١) .

السُّفهاء والرُّويبضات ، الذين أخبر عنهم النبيُّ ﷺ .

• كما في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه في « سننه » ، وأحمد في « مسنده » ، والحاكم في « مستدركه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » .

قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟

قَالَ: « الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ »[1] .

• وفي رواية للحاكم وأحمد : « السَّفِيهُ» بدل « التَّافِهُ» .

وفي رواية للطبراني : « مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ » .

وفي رواية لأنس بن مالك رضي الله عنه : « الفَاسِقُ » .

وفي رواية له رضي الله عنه : « الفُوَيْسِقُ »[2].

(١) أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب شدة الزمان (٤٠٣٦) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩١ ، ٣٣٨) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٥ ، ٤٦٦) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، ونعيم بن حماد في الفتن (١٤٠٧) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٥٠) وفي الصحيحة (١٨٨٧) .

(٢) «معجم الطبراني الكبير» (١٢/ ٤٣٨ رقم ١٤٥٥١) أخرجه من طريق أنس رضي الله عنه ، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٢٠) ، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٥٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٧١٥) =

هذا هو الذي يتكلم الآن « الرُّوَيْبِضَةُ » والنَّاس لا يتَّبعون العلماء ؛ بل يتَّبعون السُّفهاء ، ويكرمونهم ، ولو أقاموا شرعًا لأقاموا عليهم الحد ! ولا يستحيون من أهل الحلم أبدًا ، قلوبهم قلوب الأعاجم ، قلوب الغرب ، وألسنتهم ألسنة العرب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ويزداد الأمر خطرًا إذا علمنا أن النبيَّ ﷺ قد أخبر أن الفتن تُعرض على القلوب ـ وهذا مكمن الخطر ـ كما في « صحيح مسلم » من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال :

كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟

فَقَالَ قَوْمٌ : نَحْنُ سَمِعْنَاهُ.

فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ ؟

قَالُوا : أَجَلْ .

قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ ، وَالصِّيَامُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟

= وروي عن عوف ابن مالك ﷺ ، أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٦٧) وفي مسند الشاميين (٤٨) ، وانظر : السلسلة الصحيحة (٢٢٥٣) .

قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ ، فَقُلْتُ: أَنَا.

قَالَ: أَنْتَ لله أَبُوكَ! قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:

« تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : عَلَى أَبْيَضَ مِثْلَ الصَّفَا ، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ »[1] .

اللهم اجعلنا من أصحاب هذه القلوب البيضاء التقيَّة النقيَّة ، التي لا تضرها الفتنُ ما دامت السموات والأرض ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

« أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِتَنًا كَأَنَّهَا اللَّيْلُ يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب (١٤٤) ، وانظر البخاري (٥٢٥).

(٢) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه أحمد (٣/ ٤٥٣) عن الضحاك بن قيس بسند ضعيف مرفوعًا ، والحاكم (٦٢٣٤) ، والطبراني فى الكبير (٨/ ٢٩٨) ، وابن سعد فى الطبقات (٧/ ٤١٠) ، وأخرجه نعيم بن حماد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا (١١٣) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٤٦٥٤) .

يا الله !! كم من قلوب ماتت الآن في الصُّدور كما تموت الأبدان وأصحابها لا يشعرون ، تحجبُ الفتنُ القلوبَ عن أنوار الإيمان ؛ قال تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٤، ١٥] .

يقول : أخاف عليكم فتنًا كأنها الليل من سوادها وظلامها ، يموت فيها قلبُ الرجل ، كما يموت بدنُه ، والعياذ بالله ، تنكت الفتنة في القلب - إن أشربها نكتةً سوداء - فإن لم يتب العبد إلى الله وأُشرب قلبه فتنة أخرى ، تزيد بقعة السواد في القلب ، فإن لم يرجع إلى الله - جلَّ وعلا - بالتَّوبة والأوبة وعُرضت على قلبه فتنة ثالثة ، تزيد بقعة السواد ، وهكذا حتى يحجب سوادُ الفتن نورَ الإيمان في القلوب .

● وفي الحديث الذي رواه أبو نعيم والديلمي ، وحسنه الألباني من حديث عليٍّ ﷺ أن الحبيب النبيَّ ﷺ قال :

« **مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ ، إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ** »[١] .

فالقمر في كبد السَّماء منير ؛ فإذا تحركت سحابة كثيفة وحالت بين

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٢٢٠) ط الحرمين ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٩٦) ، والديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٦٥٥٢) ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٦٨٢) ، و«الصحيحة» (٢٢٦٨) .

القمر وبين الأرض حجبت السَّحابَةُ نورَ القمر عن الأرض .

كذلك القلب إذا علاه الرَّان ، وتكاثفت سحبُ المعاصي والذنوب عليه حَجَبَت هذه السُّحبُ الكثيفةُ المظلمةُ نورَ الإيمانِ في القلوب ؛ فإن تاب العبد إلى علَّام الغيوب ، وعاد إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ ورجع انقشعت تلك السحب ، وعاد نورُ الإيمان في قلب العبد المؤمن مرة أخرى .

● وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ :زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ،وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ الله :﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤] »[1] .

● والسؤال الآن : كيف يعرف المرْءُ هل أصابته الفتنة أم لا ؟

○ والجواب : من حذيفة بن اليمان ﷺ يقول :

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب من سورة المطففين (٣٣٣٤) وقال : «حديث حسن صحيح» ، وابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الذنوب (٤٢٤٤) ، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٨) ، والحاكم في المستدرك (٣٩٠٨،٦) ، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب (٧٢٠٣) ، والكبرى (١٠/ ١٨٨) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٦٩، ٣١٤١) .

« إذَا أَحَبَّ أَحدُكُمْ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ أَصَابتهُ الفِتْنَةُ أَمْ لاَ ، فَلْيَنْظُرَ فَإِنْ كَانَ رَأى حَلاَلاً كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ الفِتْنَةُ» .

○ وفى لفظ أبي نعيم : «إنَّ الفِتَنَةَ تُعْرَضُ عَلَى القُلُوبِ ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فإنْ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ ، أَنْ يَعْلَمَ هَلْ أَصَابَتْهُ الفِتْنَةُ أَمْ لاَ ؛ فَلْيَنْظُرَ فَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلاَلاً ، أَوْ يَرَىَ حَلاَلاً مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا ، فقَدْ أَصَابَتْهُ الفِتْنَةُ» (١)

نسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يجدِّد الإيمان في قلوبنا ، وأن يذيقنا طعمَه وحلاوتَه ، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ؛ إنه ولي ذلك ومولاه .



(١) [illegible] الحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم (٨٤٤٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٢ ، [illegible]) ، ونعيم بن حماد في الفتن (١١٠،١١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الفتن ([illegible]/٦٢٨) ، والداني فى السنن الواردة في الفتن (٢٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق ([illegible]/٢٥٨).



بداية الفتنة



○ **متى بدأت الفتنة ؟**

• والجواب من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ؛ كما في « الصحيحين »[(١)] من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ : أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟

فقال حذيفة بن اليمان : أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَهُ رَسُولُ الله ﷺ ـ هذه خصوصية لحذيفة ؛ فقال عمر : هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ ـ وفي لفظ : لله أَبُوكَ .

فقال حذيفة : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ».

فقال عمر : لَيْسَتْ هَذِهِ ، وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ .

فقال حذيفة بن اليمان : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٥٨٦) وانظر رقم (٥٢٥) ، ومسلم كتاب الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ، وعرض الفتن على القلوب(١٤٤) وكتاب الفتن ، باب : في الفتنة التي تموج كموج البحر (٤/ ٢٦) .

قال عمر : يُفْتَحُ الْبَابُ أَمْ يُكْسَرُ ؟ - انظر إلى فقه عمر !.

فقال حذيفة : لاَ ، بَلْ يُكْسَرُ .

فقال عمر - الفقيه الملهم: ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لاَ يُغْلَقَ .

قلنا : أَعَلِمَ الْبَابَ؟ هل علم من سيكون هذا الباب الذي سيظل حاجزًا لهذه الفتنة التي تموج كموج البحر حتى يكسر هذا الباب ؟

فقال حذيفة : نَعَمْ - إنه علمه - كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حديثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ - أي : إني حدثت عمر الليلة حديثًا صادقًا صحيحًا ، ليس بالأغاليط والأكاذيب - إنما هو حديث عن النَّبِيِّ ﷺ الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

قلنا : فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ - أي : تهيّبوا أن يسألوا حذيفة بن اليمان ﷺ - وأمرنا مسروقًا [١] فسأله فقال مسروق لحذيفة ﷺ : مَنِ الْبَابُ؟ فقال له حذيفة : إِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ .

فكأنّه مثَّل الفتن بدار، ومثل حياة عمر ﷺ بابًا مغلقًا لهذه الدَّار ؛ فإن فتح الباب أو كسر ؛ خرج من هذه الدار ما فيها من الفتن .

○ وقد روي عن عثمان بن مظعون ﷺ ، أنه قال لعمر بن الخطَّاب

(١) هو مسروق بن الأجدع وهو من أتباع التابعين - وكان من أقرب المقربين لحذيفة بن اليمان ، ولعبد الله بن مسعود ﷺ .

ﷺ يومًا : يا غَلْقَ الفتنة - أي : يا من جعلك الله بابًا مغلقًا للفتن - فسألَهُ عمر بن الخطاب ﷺ عن ذلك ؛ فقال عثمان بن مظعون ﷺ : بينما نحن جلوس عند النَّبيِّ ﷺ مررت - أي مرَّ عمر ﷺ - فقال النبيُّ ﷺ وهو يشير إلى عمر :

« هَذَا غَلْقُ الْفِتْنَةِ ، لَا يَزَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْفِتْنَةِ بَابٌ شَدِيدُ الْغلقِ مَا عَاشَ هَذَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ »(١) وأشار إلى عمر .

• وروى الطبرانيُّ أيضًا بسندٍ رجاله ثقات كما قال الحافظ أن آبا ذرٍّ ﷺ لقي عمر بن الخطَّاب يومًا ، فأخذه عمر بن الخطاب من يده فغمزه ، فقال له أبو ذر ﷺ : أرسل يدي يا قَفْلَ الفِتْنَةِ ، فقال عُمر : وَمَا قَفْلُ الفِتْنَةِ ؟ قَالَ : جِئْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَرَسُوْلُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَجَلَسْتَ فِي آخِرِهِمْ فَقَالَ : « لاَ تُصِيْبُكُمْ فِتْنَةٌ مَا دَامَ هَذَا فِيْكُمْ » وأشار إلى عمر بن الخطاب ﷺ (٢) .

---

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٢٣٣زوائد البزار) ، والطبراني في « الكبير » (٩/ ٨٣٢١) ، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة(١٩٢٥) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٣٤) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٧٢) : « رواه الطبراني والبزار ، وفيه جماعة لم أعرفهم ، ويحيي بن المتوكل ضعيف » .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (ح١٩٦٦) ، وابن عساكر في تاريخه (٤٤/ ٣٣٤) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٧٣) : « ورجاله رجال الصحيح غير السري بن يحيى ، وهو ثقة ثبت ، ولكن الحسن البصري لم يسمع من أبي ذر فيما أظن » ، وقال الحافظ فى «الفتح» (١٠/ ٣٩١) تحت حديث (٣٣٢١) : «بإسناد رجاله ثقات».

لله درُّ عمر ؛ فعمر بن الخطَّاب ﷺ كان بابًا مغلقًا لدار الفتن ــ أو لنار الفتن ـ التي استشرت ، فما استشرت الفتن إلا بعد عمر ﷺ .

وفيما يلي من فصول هذا الكتاب ــ بإذن الله تعالى ــ سأتعرض لأعصف فتنةٍ بدأت في حياة هذه الأمة بعد موت عمر ، ألا وهي قتل الخليفة الراشد عثمان ﷺ .

وسأضع النقط على الحروف ؛ لأننا نرى الآن كثيرًا من المنافقين ممن لا يجيدون الصَّيد إلا في المياه العكرة ، ويحسنون النَّيل من أصحاب النبيِّ ﷺ ولا يعرفون إلا التطاول على هذه القمم الشَّمَّاء ، أسأل الله تعالى أن يرضى عنهم ، وأن يجمعنا معهم في جنَّة النَّعيم ، بحبِّنا لهم ، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم ؛ إنه على كل شيء قدير .

فعمر بن الخطَّاب بشهادة النبيِّ ﷺ كان بابًا مغلقًا على الفتن ، فلما كسر هذا الباب بقتل عمر خرجت الفتن ، وأطلت الفتن برأسها الظلوم ، وبوجهها الكالح الغشوم !!

ومن « الفتن » : أن يَسُبَّ الأقزامُ الأنجاسُ عُمَرَ بن الخطَّاب ﷺ الذي قال النَّبيُّ ﷺ في حقِّه الكثير والكثير :

- فأخرج أبو داود وابن ماجه في « سننهما » عن أبي ذرٍّ ﷺ قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ اللهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ »[١] .

• وفي رواية الترمذي بسندٍ حسن من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال :

«إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»[٢] .

• وفي الحديث الذي رواه البخاريُّ ومسلم في « صحيحيهما » من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

«لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ أي : ملهمون من غير أن يكونوا أنبياء - فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ»[٣] .

• وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في « صحيحيهما » من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه ﷺ قال :

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٦٥) ، وأبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في تدوين العطاء (٢٩٦٢) ، وابن ماجه في المقدمة باب فضل عمر ﷺ (١٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٤) والمشكاة (٦٠٣٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣،٩٥) ، والترمذي كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٢) وقال : «حديث حسن صحيح غريب هذا الوجه» ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣٦) .

(٣) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب (٢٣٩٨) من حديث عائشة ﷺ .

« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ ـ جمع قميص ـ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ ،وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ » أي: قميص يجره على الأرض ، قالوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « الدِّينَ » [1] يعني : عمر مسربل بسربال الدِّين .

● وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ﵄ قال:

« بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي » يقول :

« ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ».

قالوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قال : « الْعِلْمَ » [2].

فعمر يتسربل بسربال الدِّين والعلم .

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب لإيمان ، باب : تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٢٣) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر ﵁ (٢٣٩٠) .

(٢) اخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب : في فضل العلم (٨٢) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب : من فضائل عمر ـ رضي الله تعالى عنه (٢٣٩١) .

• بل وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص ﷺ قال : اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله!

فَقَالَ النَّبِيُّ - عليه الصلاة والسلام : « **عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ** » .

قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله ، أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ ؟! قلن : نَعَمْ ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ ﷺ .

فقال النبيُّ ﷺ : «**إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ** » . أي : مشى في طريق غير طريقك [(١)] .

أَيُّ طبيعةٍ هذه ؟! وهل عند بلغاء الأرض وأدباء الدنيا من الكلمات ما يستطيعون أن يعبروا به عن هذه الطبيعة العمرية ، التي لا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ (٣٦٨٣) ، وانظر: رقم (٣٢٩٤) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر ﷺ (٢٣٩٦) .

مثيل لها البتة على وجه الأرض بعد عمر ﵁ ؟!

الشيطانُ يهاب عمر ، إذًا لا تعجب إن كان عمر ﵁ هو الباب المغلق الذي إن كُسر لخرجت الفتن بوجهِها الكالحِ الغشومِ الظلومِ ـ كما سأبين ذلك ـ إن شاء الله تعالى .

ومن « الفتن » أيضًا : أن يجهل كثيرٌ من أفرادِ الأمَّة قَدْرَ وَعِلْم الصَّحَابيِّ الجليل حذيفة بن اليمان ﵁ الذي يروي لنا جُلَّ أحاديثِ الفتن، ذلك الرجل الذي قال ـ كما في « صحيح مسلم » :

«وَالله إِنِّي لأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ» [١]

سبحان الله !! .

• وهو الذي قال كما في « الصحيحين »: قَامَ فينَا رَسُولُ الله ﷺ مقَامًا ، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ في مَقَامِهِ ذَلِك إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ ، فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[٢] .

• وفي « صحيح مسلم » عن حذيفة بن اليمان ﵁ قال : أَخْبَرَنِي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر ، باب : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٦٦٠٤) ، ومسلم في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) واللفظ له .

رَسُولُ الله ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ قَدْ سَأَلْتُهُ ، إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ ، مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ؟ (١) .

● وفي الحديث الذي رواه أبو داود في « سننه » عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : «وَالله مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْا ؟ وَالله مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا ، يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاثَمِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لَنَا ﷺ بِاسْمِهِ ، وَاسْمِ أَبِيهِ ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ» (٢) .

● وقال حذيفة ﷺ أيضًا ـ كما عند نعيم بن حماد في «الفتن»: « مَا مِنْ صَاحِبِ فِتْنَةٍ يَبْلُغُونَ ثَلَاثَمِائَةٍ ،إِلاَّ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهِ بِاسْمِهِ ، وَاسْمِ أَبِيهِ ، وَمَسْكَنِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ الله ﷺ ».

ثم قال حذيفة : « إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَأَسْأَلَهُ عَنِ الشَّرِّ ، وَتَسْأَلُونَهُ عَمَّا كَانَ ، وَأَسْأَلَهُ عَمَّا يَكُونُ» (٣) .

● وعن حذيفة ﷺ قال : « مَا أَنَا إِلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِكُمْ بِأَهْدَى مِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن ، باب : ذكر « الفتن » ودلائلها (٤٢٤٣) ، وضعفه الألباني في « ضعيف سنن أبي داود » (٩١٣) ، « والمشكاة » (٥٣٩٣) ، والمعنى له شواهد .

(٣) أخرجه نعيم في « الفتن » (١٦) (١/ ٣١) ط التوحيد / القاهرة ، من طريق مكحول عن حذيفة .

بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ وَسَائِقِهَا وَقَائِدِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[(١)] .

● وعن حذيفة ﷺ قال : « وَاللهِ مَا أَنَا بِالطَّرِيقِ إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى ، وَلَا إِلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ بِأَعْلَمَ مِنِّي بِمَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ﷺ وَأَرْضَاهُ »[(٢)] .

● وعن حذيفة ﷺ أيضًا أنه قال : « لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ مَا رَقَدْتُمْ فِي اللَّيْلِ »[(٣)] .

فحذيفة بحقٍّ كان صاحبَ سِرِّ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ كما قال ، وكما روى ذلك [illegible] البخاري ومسلم .

وحذيفة بن اليمان ﷺ من نجباء أصحاب النَّبِيِّ ﷺ واسم اليمان : حِسْل ـ ويقال[(٤)] : حُسَيل ـ بن جابر العبسي ، كان والده قد أصاب دمًا في قومه ، فهرب إلى المدينة وخالف بني عبد الأشهل ، فسماه قومه : اليمان ؛ لحلفه لليمانية، وهم الأنصار[(٥)] ، قتل والده في غزوة أحد .

وأسلم حذيفة وأخوه صفوان وأبوه في يوم واحد لما رأو النَّبِيَّ ﷺ

(١) أخرجه نعيم في « الفتن » (٢٦) (١/ ٣٤).

(٢) أخرجه نعيم في « الفتن » (٢٧) .(١/ ٣٤) .

(٣) أخرجه نعيم في الفتن (١٨)(١/ ٣٢) .

(٤) وراجع «التقريب» لابن حجر(ترجمة حذيفة١١٥٦) .

(٥)«سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٦٣) للذهبي.

وسمعوا منه .

○ له في «الصحيحين» اثنا عشر حديثًا عن النَّبيِّ ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ انفرد البخاري له بثمانية أحاديث ، وانفرد مسلم له بسبعة عشر حديثًا ؛ قاله الذهبيُّ رحمه الله في « سير أعلام النبلاء »[1] .

وبعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وبدأ يتربى على يد النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ نمت موهبته في جانبٍ فذٍّ عظيم ، وكأن هذا الرَّجل المبارك قد تخصَّصَ في السُّؤال عن معرفة الفتن ،ومعرفة الشرِّ واجتنابه .

وبدأ يبحث عن الأمور التي ستكون بين يدي السَّاعة ، فهو يرى أصحابَ النبيِّ ﷺ يسألون عما كان ، وحذيفة ـ في موهبة فذَّة عجيبة ـ يسأل النبيَّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ عمَّا سيكون .

ولقد بلغ من موهبةٍ وفطنةٍ وذكاءِ حذيفة أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وهو الملهم الفطن العاقل الذكي الأريب ـ كان يستأنس دومًا ويستدل برأيه .

حتى ذهب إليه عمر في يوم وسأله[2] : أنشدك الله يا حذيفة ، هل

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أخرجَهُ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٧٦) عن حذيفة قال: «مرَّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال : ....».

سمَّاني لك رسول الله ﷺ في المنافقين ؟! لأنَّ النبيَّ ﷺ قد اتَّخذ حذيفة أمينًا وحافظًا لسرِّه ، فأطلعه بأخبار الفتن ، وأخبره أيضًا بأسماء المنافقين ،والعياذ بالله .

لقد أوتي حذيفة بن اليمان من الحصافة والفطنة ما جعله يدرك أن الخير في هذه الحياة واضح بيِّن لمن يريده ، وإنما الشَّر هو الذي يتنكر ويتخفى .

ومن ثم فإنه من الواجب على العاقل الأريب أن يعتني وأن يهتم بدراسة الشَّرِّ حتى لا يقع فيه ، والخير واضح بيِّن جليٌّ - إن شاء الله تعالى .

وهكذا عكف حذيفة بن اليمان على دراسة الشَّرِّ والأشرار ، والنفاق والمنافقين ، والفتن حتى ما بطن منها ، فتراه يسأل رسول الله ﷺ عنها ، ورسول الله ﷺ يخبره .

● تدبر معي هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : يقول حذيفة ﷺ : « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي » .

○ وفي رواية : « وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَسْبِقُنِي» أي . لا يفوتني .

يقول : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ - أي : قبل الإسلام - فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الْخَيْرِ - أي : بهذا الإسلام العظيم - فَهَلْ

بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قال النبيُّ ﷺ : «**نَعَمْ**» .

فقال حذيفة : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟

قال النبي ﷺ : « **نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ** » ـ خير ليس صافيًا مكدر بشوائب الفتن .

قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ يَا رَسُولَ الله ؟

قال ﷺ:«**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي ، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ** » .

قال حذيفة : هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ ـ أي : الذي يشوبه الدخن ـ مِنْ شَرٍّ ؟

قال النبيُّ ﷺ : « **نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا** » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! صِفْهُمْ لَنَا؟

قَالَ: « **نَعَمْ ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ ـ هذا هو الجواب الذي يريد أن يصل إليه .

فقال النبيُّ ﷺ : « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْـمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » .

قال حذيفة : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ ـ سؤال عجيب أي : ماذا أصنع ؟ ـ فقال النبيُّ ﷺ :

« فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْـمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ »[(١)] .

اللهمَّ جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

هكذا يبين لنا هذا الحديث وأحاديث الفتن ، شخصية حذيفة بن اليمان ﷺ بجلاء ووضوح .

ذلكم الرجل الذي عاش مفتوح البصر والبصيرة على بؤر الفتن، وتواريخ الفتن ، وأسباب الشر حتى لا يقع فيه ، وليحذر الناس منه .

• ولذلك يقول حذيفة ﷺ : «إنَّ الله تعالى بعثَ محمدًا ﷺ فدعا النَّاس من الضلالة إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان ؛ فاستجاب له من استجاب ، فحيا بالحقِّ مَنْ كان ميتًا ، ومات بالباطل من كان حيًّا ، ثم ذهبت النبوة ، فكانت الخلافة على منهاجها ، ثم يكون ملكًا عاضًّا ، فمن النَّاس مَنْ ينكِرُ بقلبه ويده ولسانه ، أولئك استجابوا للحق ، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٧٠٨٤) ، انظر: رقم (٣٦٠٦)، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

الناس من ينكر بقلبه ولسانه ، كافًّا يده ؛ فهذا ترك شعبةً من الحق ، ومنهم من ينكر بقلبه كافًّا يده ولسانه ، فهذا ترك شعبتين من الحق ، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا بيده ولا بلسانه ؛ فذلك ميت الأحياء » [١].

● ويتحدث حذيفة الخبير بأحوال القلوب فيقول : «القلوبُ أربعة : قلبٌ أجردُ فيه سِراجٌ يزهِرُ ؛ فذلك قلبُ المؤمن ، وقلبٌ أغلف ـ أي : غلف في أغلفة الكفر والعياذ بالله ـ فذلك قلبُ الكافر ، وقلبٌ منكوسٌ : عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمِي ؛ فذلك قلبُ المنافق ، وقلبٌ تمدُّه مادَّتان: مادَّة إيمان ومادَّة نفاق، وهو لَمِا غلَب عَلَيْه منهما» [٢].

وإيمان حذيفة ـ رضوان الله عليه ـ وولاؤه لله ورسوله وللمؤمنين ، لا يعترفان بالعجز أبدًا ولا بالضَّعف ؛ بل ولا بالمستحيل .

فها هو حذيفة بن اليمان ـ رضوان الله عليه ـ نتعرف على شخصيته القوية حتى في جوانب المعارك والأزمات المهلكة الطَّاحنة ، التي لا

---

(١) أخرجَهُ أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٣٦) عن أبي البختري عن حذيفة ، قال أبو نعيم فى الحلية(٤/ ٣٨٥) : «.. وأرسله» ، وقد روي مرفوعًا ؛ أخرجه أحمد (٣/ ١٧) ، وأبو نعيم (٤/ ٣٨٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ؛ وفيه علتان : ضعف ليث والانقطاع بين أبي البختري وأبي سعيد ؛ وضعفه الشيخ شعيب في «تحقيق المسند» (١١١٢٩) ، وانظر: «مجمع الزوائد»(١/ ٦٣) .

يقف إليها الأقوياء ولا يتعرض لها إلا الأبطالُ الصناديد .

ففي غزوة الخندق ؛ «غزوة الأحزاب» ، وبعد أن دَبَّ الفشل في صفوف كفَّار قريش وحلفائهم من اليهود .

أراد الرسول ﷺ في ليلة حالكة السواد ، شديدة الريح ، عظيمة البرد ، بصورة قاتلة ، أن يقف على آخر تطورات الموقف في معسكر الأحزاب ـ معسكر المشركين .

وكانت العواصف رهيبة ، والرِّياح تزمجر وسط الصحراء ، وكان الليل مظلمًا شديد السواد ، وأراد النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يرسل واحدًا من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ إلى معسكر العدو ؛ ليتسلل إلى داخل المعسكر ، ليسمع بأذنيه ، ويرى بعينيه ، وليقف على آخر تطورات معسكر أهل الشرك بشرط أن يرجع إلى النبيِّ ﷺ ليخبره .

يعني : حذَّر النبيُّ ﷺ أن يتعامل مع الأعداء ، وحذَّر من أن يراه الأعداء .

بل البطولة والرجولة أن يرى ويسمع ويرجع بالخبر إلى النبيِّ ﷺ .

فمن في مثل هذا الجو القاتل المهلك ، في هذا الليل الحالك السواد ،

وفي هـذه العواصـف التـي تكـاد أن تقتلـع الجبـال، وفي هـذه اللحظـات القاسية البرودة، يقدم على هذه المهمة الصعبة خلف خطوط العدو؟!

نادى النبيُّ ﷺ على رجل مـن أصـحابه ليقـف وليقـوم بهـذه المهمَّـة العظيمة؛ فمن هو ؟ إنَّهُ حذيفةُ بن اليمان ﷺ .

دَعُونا نسمع حذيفة بن اليمان وهو يحكي لنا هذا الموقف الجميل الذي رواه الإمام مسلم، والإمام أحمد في « مسنده »ـ واللفظ له:

○ يقول حذيفة ـ رضوان الله عليه: قَالَ فَتًى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ : يَا أَبَا عَبْدِ الله ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ الله ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، يَا ابْنَ أَخِي . قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ : وَالله لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ ـ أي : نتعرض للشدَّة والضِّيق والجهد والبلاء . فأجاب الفتى على جواب حذيفة بجواب بديع ـ ، قال الفتى لحذيفة ﷺ : وَالله يَا أَبَا عَبْدِ الله ، لَوْ أَدْرَكْنَا رَسُولَ الله ﷺ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ ، وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا [(١)]

سبحان الله ! اللهـمَّ إنـا نشـهدك أننـا نـردد الآن بقلوبنـا وألسـنتنا وجوارحنا ما قاله هذا الشاب المبارك: والله لو كنَّا مع رسول الله ﷺ لحملناه على أعناقنا .

---

(١) سبق تخريجه (ص ٢٧) ، وهو في «المسند» (٥/ ٣٩٢) ، ومسلم (١٧٨٨) .

لكن أرجو ألا يفهم شابٌّ أن من يأتي بعد أصحاب النبي ﷺ هم أشد حبًّا ، وأكثر اتباعًا ، وأكثر حرصًا على النبيِّ ﷺ منهم .

كلاَّ - وألف كلَّا - فما شهِدت الأرض ولا عرفت البشرية نموذجًا فريدًا للحب كما عرفت من حبِّ الصحابة للحبيب النبيِّ ﷺ .

كما قال عروة بن مسعود : « والله لقد قدمت على كسرى وقيصر والنجاشي ، والله ما رأيت مَلِكًا يُعظِّمُهُ أصحابهُ كما رأيتُ أصحابَ محمدٍ يعظمون محمدًا ﷺ »[1] .

لكن انظر إلى هذه الفطرة ، وإلى هذا الحب الجياش الفياض في قلب هذا الشاب .

• يَقُولُ حُذَيْفَةُ : يَا ابْنَ أَخِي ، وَالله لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِالْخَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا - أي حينًا طويلًا من الزمان - ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا - أي إلى الصحابة - فقال النبيُّ ﷺ لأصحابه : « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ؟ يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ « أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ » .

يعني : مَن مِن القوم ؛ يقوم إلى معسكر الأعداء ليتعرف لنا على أخبارهم بشرط أن يرجع إلينا «أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ» أي : إن فعل ذلك.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧).

ثم قال النبيُّ ﷺ ـ مرة ثانية: « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَينْظَرَ لَنا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجع ـ يَشْرطُ لَهُ رسُولُ الله ﷺ الرَّجْعَة ـ أَسْأَلُ الله أَنْ يَكُونَ رَفِيقي فِي الجنَّة» .

يقول حذيفة : فَما قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ ، فقال رسول الله ﷺ : « قُمْ يَا حُذَيْفَةَ »ويا لها من كرامة !

يقول : فلمّا دعاني رسول الله ﷺ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، قال رسول الله ﷺ لحذيفة :« يَا حُذَيْفَةُ ، فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ وَلاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا ».

أوامر واضحة .. تعليمات صريحة من النبيِّ ﷺ .

يقول حذيفة : فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ الله تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ لاَ تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرٌ ـ القدر : الإناء الذي يوضع على النار ـ وَلاَ نَارٌ وَلاَ بِنَاءٌ ـ ذلك من شدة الريح وعصفها ـ فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ ؟! .

انظر إلى دهاء أبي سفيان رأى أن السَّواد حالك ، والظَّلام دامس ، والخيام تقتلع ، فخشي أن يتسلل رجلٌ من أصحاب النَّبيِّ ﷺ إلى معسكرهم .

فأمر كل أفراد الجيش أن يتعرف كلٌّ واحد على صاحبه إلى جواره ،

فيسأله عن اسمه وإسم أبيه .

يقول حذيفة : فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ. ـ ونجا حذيفة ﷺ من هذه الخطة الخبيثة .

يقول حذيفة : ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ ـ أي : الخيل ـ وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ ـ بنو قريظة أخلفت الوعد مع المشركين ـ وَبَلَغَنَا مِنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، وَاللهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ ، وَلاَ تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلاَ يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ ـ هذا يحكيه حذيفة بالتفصيل ؛ أي : مربوط ـ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَى ثَلاَثٍ .

ـ انظر إلى دقة الوصف ـ فَوَثَبَ عَلَى ثَلاَثٍ ـ أي : على ثلاث مراحل . فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلاَّ وَهُوَ قَائِمٌ.

يقول حذيفة : وَلَوْلاَ عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيَّ : « لاَ تُحْدِثْ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي » ، ثُمَّ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ ـ يعني : لَقُتِلَ أَبُو سُفْيَانَ بِسَهْمِي.

يقول حذيفة : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرجلٌ ـ يعني : كساء من صوف مخطط .

يقول :فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ، ثُمَّ

رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنِّي لَفِيهِ - أي : وحذيفة في مرط النَّبيِّ ﷺ - فَلَـمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ. هذا لفظ أحمد .

● وفي صحيح مسلم زيادة رائعة جميلة يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدَهُ ﷺ جعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ» (١) .

تدبر كيف كان حذيفة يقول قبل ذلك : فما قام رجل من القوم ... الحديث .

والآن يقول : فلمَّا أمرني النبيُّ ﷺ بهذه المهمة وانطلقت . يقول: فمضيت كأنَّما أمشي في حمَّام ، لا أشعر ببرد . سبحان الله !!

حتى أتيت القوم - فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ - يعني : يحتمي ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ « وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ ». وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ.

قال : فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ ، فأخبرتُهُ بِخَبر القَوْم وفَرَغتُ قُرِرْتُ - يعني : أَصَابَنِي الْبَرْدُ حِينَ فَرَغْتُ .

وكأنَّما حين خرج من المهمَّة خرج من المعيَّة ، شعر بالبرد !.

وهذه - والله الذي لا إله غيره - يشعر بها كثير من الإخوة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : غزوة الأحزاب (رقم ١٧٨٨) .

الصادقين . قد تكون مثلًا مريضًا مرضًا شديدًا جدًّا ، وتخرج إلى زيارة مـريض أو إلى جنـازة أو مجلـس علـم ، وأنـت لا تقـوى البتـة عـلى أن تتلفظ بكلمة قبل أن تـذهب إلى هـذا البـاب مـن أبـواب الخير ، وهـذا الطريق من طرق البر .

فإذا ما شرعت في العمل الذي خرجت من أجله طاعة لله لا تشـعر البتة بشيء ؛ لأنك دخلت معية الله ـ جلَّ وعـلا ـ التـي لا تكـون إلا للمحسنين ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

○ **فالمعية نوعان :**

معية عامة : وهي معية العلم والمراقبة والإحاطة .

ومعيـة خاصـة : وهـي معيـة الـنصر ، والتأييـد ، والحفـظ ، والمـدد ، والعون .

تدبَّر ما يقول حذيفة : فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ الله ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَـا ، فَلَـمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: « **قُمْ يَا نَوْمَـانُ !** »[1] أي : يا كثير النوم .

صلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد ، ورضي الله عن حذيفة بن اليمان .

(١) هذه رواية مسلم ؛ انظر الحديث المتقدم .

وحسبنا أن نعلم أن حذيفة بن اليمان ﷺ كان ثالث ثلاثة ـ أو خامس خمسة ـ كانوا أصحاب السَّبق العظيم في فتوح العراق كلها ، حتى لا يظن بعض شبابنا أنه كان عاكفًا عابدًا فحسب .

فهؤلاء كانوا في محاريب العبادة عبَّادًا زهَّادًا ، وكانوا في المتاجر أمناء ، وكانوا في وقت الغزوات والمعارك أبطالًا أفذاذًا ينطلقون في صفوف الأعداء ، يبحثون عن الشَّهادة في سبيل الله قبل أن يبحثوا عن النَّصر .

فحذيفة بن اليمان هو قائد معركة نهاوند (١)، حيث احتشد الفرس في مائة ألف فارس .

وفي هذا اليوم اختار عمر بن الخطاب ﷺ لقيادة الجيوش النُّعمان بن مقرن ﷺ .وقُتِلَ النُّعمان ؛ فقال عمر بن الخطاب ﷺ : إنْ قتل النُّعمان ؛ فليتولَّ القيادةَ حذيفةُ بن اليمان .

وأرسل عمر إلى المقاتلين كتابه يقول : إذا اجتمع المسلمون ؛ فليكن كلُّ أمير على جيشه ، وليكن أمير الجيوش جميعًا النُّعمان ؛ فإذا استشهد النُّعمان فليأخذ الرَّاية حذيفةُ بن اليمان ؛ فإذا استُشهد حذيفة فليأخذ الراية جرير بن عبد الله.

انظر إلى تخطيط القائد الأعلى ؛ عمر في المدينة ، يخطط للجيوش في

---

(١) «البداية والنهاية»(٧/ ٢٥٥، سنة إحدى وعشرين) ط. دار ابن رجب .

نهاوند أمام جحافل الفرس الجرارة .

يقول : ومضى أمير المؤمنين يختار قواد المعركة حتى سمَّى منهم سعبة - اختار سبعة قواد ؛ إن قتل قائد يتولَّى فلانٌ القيادة بعده .

والتقى المسلمون مع الفرس - المسلمون لا يزيدون عن ثلاثين ألف مقاتل ، والفرس يزيدون عن مائتي ألف مقاتل .

وبدأت المعركة وسقط قائد المسلمين الأول شهيدًا ، سقط النُّعمان رضي الله عنه وقبل أن تهوي الراية إلى الأرض التقطها وانقضَّ عليها كالأسد أو كالصقر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

وانطلق حذيفة - رضوان الله عليه - ينادي بأعلى صوته يكبر في صفوف المعركة وهو يقول : الله أكبر ، صدق وعده ، الله أكبر ، نصر جنده .

ثم لوى زمام فرسه صوب المقاتلين في جيوشه ، وظلَّ ينادي على أصحاب النبيِّ ﷺ ويقول : يا أتباع محمَّد ، ها هي جنان الله - عزَّ وجلَّ - تتهيأ لاستقبالكم ؛ فلا تطيلوا عليها الانتظار ، هيا يا رجال بدر ، تقدَّموا يا رجال الخندق ، تقدَّموا يا أبطال أحد ، تقدَّموا يا أبطال تبوك .

وهكذا ظلَّ حذيفة بن اليمان ينادي بهذه الكلمات التي تحركُ

الإيمان والشَّوق في القلوب إلى الشَّهادة ، وإلى الجنَّة في قلوب أصحاب النبيِّ ﷺ حتَّى انقضَّ أصحاب النبيِّ ﷺ في هذا العدد القليل على هذا الجيش الجرار ، وأوقعوا بالفرس هزيمة ساحقة على يد هذا البطل القائد ، على يد حذيفة بن اليمان ﷺ .

وهكذا شهد حذيفة كثيرًا من المشاهد والغزوات ؛ بل كان قائد معظم المعارك في أرض العراق كلها .

وفي يوم من أيَّام العام الهجري السادس والثلاثين ينام حذيفة بن اليمان ﷺ على فراش الموت ويأتيه بعض إخوانه وأصحابه بأكفان فيلمسها حذيفة بن اليمان ، فيرى أنها غالية الثَّمن .

فيقول حذيفة : «ما هذا لي بكفن ، إنما يكفيني لفافتين بيضاوين ، ليس معهما قميص ، فإنِّي لن أُتْرَكَ في القبر إلا قليلًا حتى أبدل خيرًا منهما أو شرًّا منهما» (١).

وتمتم حذيفة ـ رضوان الله عليه ـ بكلمات استمع إليها بعض إخوانه سمعوه يقول(٢) : «مرحبًا بالموت ، حبيبٌ جاء على شوق ، لا أفلح من ندم » وصعدت روحه إلى الله ـ جلَّ وعلاـ إلى : ﴿ جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي

---

(١) «سير أعلام النبلاء ». (٢/ ١٦٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٥٨) والحاكم (٤/ ٥٤٧) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٧٤٢).

مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥] . فرضي الله عن حذيفة ، وصلى الله وبارك على أستاذه ومعلمه.

فقد يزول عجبكم إذا علمتم أن هذا الشاب المبارك - أي : حذيفة بن اليمان ما وصل إلى ما وصل إليه إلاَّ لأن الذي رباه هو المصطفى ﷺ وكفى!!

فإذا كان كلُّ تلميذ في العادة يقتبس من أستاذه ومعلمه ؛ فكيف يكون اقتباس حذيفة إذا كان أستاذه ومعلِّمه هو المصطفى ﷺ ، وإذا كان كلُّ منهج يترك بصماته وطابعه على مَنْ يتربون عليه ويتتلمذون عليه ، فكيف تكون البصمات ؟ وكيف يكون الطَّابع إذا كان المنهج الذي تربى عليه حذيفة هو قرآن الله - جلَّ وعلا - ومنهج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم ؟

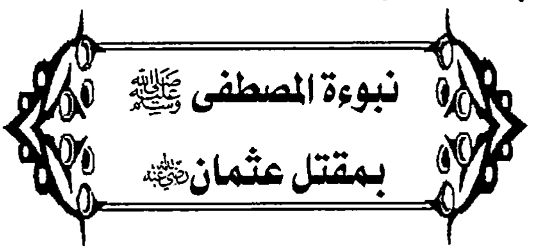
وسأعاود الحديث - إن شاء الله تعالى - في الباب المقبل عن الفتن مع حذيفة بن اليمان ﷺ .

فما أردت فقط - في هذه العجالة - إلاَّ أن أعرِّف الأمَّة بصحابي جليل قد لا يعرفه الكثيرون منها ؛ مع أنَّه روى معظم أحاديث الفتن كما بينت ، أسأل الله أن يجنبنا الفتن .





نبوءة المصطفى ﷺ بمقتل عثمان رضي الله عنه



وكان ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى .

فقد قُتِلَ عمر ، وكسر الباب الذي كان مغلقًا على فتن كثيرة ، وظهرت الفتن ووقع البلاء .

فكانت الفتنة الأولى بلا نزاع ، والتي ظهرت هي : فتنة قتل عثمان رضي الله عنه على يد طائفة من دعاة الشرِّ ، الذين تألبوا عليه من العراق ، والكوفة ، والبصرة ، ومصر ، ودخلوا المدينة ، وقتلوا عثمان رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن الكريم ـ كما سأبين إن شاء الله تعالى .

وأسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يوفقني وأن يسددني لأُجَلِّيَ لكم الحديث في هذه الفتنة الحالكة ، التي بدأت بقتل عثمان ، وانتهت بقتل عليّ والحسن والحسين وجمع كبير من أصحاب النبي ﷺ ـ ورضي الله عنهم أجمعين .

لاسيما وأنا أعلم أنه قد خاض في بحر متلاطم الأمواج من لا يجيد السباحة ، ونازل في تاريخ الأصحاب ، وفي سيرة الأطهار من لا يجيد النزال ، وتكلم من لا يجيدون الكلام ممن يحملون قلوبًا مريضة

مشوشة ، وعقيدة فاسدة كاسدة ملوثة.

فَمِنْ هؤلاء من تطاول على هذه القمم الشَّماء ، ونال من هؤلاء الأطهار ، ونقل بعض الآثار ، وإن كانت في كتب أئمتنا أئمة السلف ؛ كابن عساكر ، وابن جرير الطبري ، وابن كثير وغيرهم .

نقل هذه الآثار دونما علم البتة بأقوال أهل الجرح والتَّعديل في أسانيد هذه الآثار ؛ فإن علماءنا الذين سطَّروا كلَّ هذه الآثار ، رووا كل أثرٍ بسنده ؛ ليسهل على كلِّ ناقلٍ أن يستخرجَ الحقَّ من بينِ ركامِ الباطل .

وتبدأ الفتنة بمقتل عثمان بن عفَّان ﷺ وقد أخبره النبيُّ ﷺ الصَّادق الذي لا ينطق عن الهوى وخصه بقوله : « **مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ** »(١) .

○ والسؤال الآن : لماذا خصَّ النبيُّ ﷺ عثمانَ بذكر البلاء ، مع أنَّ عثمان قُتل كما قُتل عمر؟

والجواب : أنَّ عمر بن الخطَّاب ﷺ قد قتل ، وكانت الدَّولة فَتِيَّة أَبِيَّةً قَوِيَّة ، وكان عمر مُهابًا ، قويًّا ، لكن عثمان ﷺ قتل وامتحن بمثل ما لم يمتحن به عمر ﷺ .

ولقد تسلَّط على قتل عثمان ﷺ مجموعة من القوم ، ممن أرادوا أن

(١) سيأتي قريبًا .

يخلعوا عثمان من الإمامة ، أو يقتلوه بسبب ظلم وقع فيه عثمان كما زعم الكذَّابون المبطِلُون .

فعثمان ابتلي بما لم يبتل به عمر ؛ فعمر قتله أبو لؤلؤة المجوسي[1] ـ عليه من الله ما يستحقه ـ بين الصَّحب الكرام ، وهو حادث فردي .

لكنَّ عثمان﵁ ابتلي بحثالة من القوم ، ممن ادعوا ورعًا باهتًا ، وزهدًا كاذبًا ، وانطلقوا في زي الحُجَّاج ، وقد خدعوا الناس ـ كما سأبين الآن ـ وأنهم ما خرجوا إلا للحج ، وإلى لقاء عثمان﵁ ليبيِّنوا له بعض المظالم التي يشكو منها بعض الناس ، وهم ما خرجوا إلا بخطَّة مدبَّرة آثمة على يد هذا اليهودي الخبيث : عبد الله بن سبأ ؛ ليقتلوا عثمان﵁ أو ليخلعوه من الإمامة .

وهذه كانت أول فتنة يخرج فيها مجموعة من المجرمين ، من الثوار ؛ ليخلعوا خليفة المسلمين بالقوة أو يقتلوه !!

لم يتعرض لذلك عمر ؛ بل قتل في حادث فردي ، وعلى فراش الموت رشَّحَ عمر ستةً من أصحاب النبي ﷺ وكان على رأس هؤلاء : عثمان ؛ ليكون خليفة للمسلمين من بعده ، وبايع المسلمون عثمان بالإجماع بيعة عظيمة جليلة .

---

(١) عند البخاري كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة المبايعة ، والاتفاق على عثمان بن عفان (٣٧٠٠).

وتولى عثمان الخلافة ، وعاش النَّاس في رخاء إلى أن دبَّت وظهرت هذه الفتنة الحالكة السواد ، وثار هؤلاء على خلع عثمان أو قتله ، وهذه هي المرة الأولى التي تقع فيها مثل هذه الفتنة ، في تاريخ أمَّة النبيِّ ﷺ .

وبمقتل عثمان ﷺ انقسم المسلمون ، ووقع القتال بين الصحابة ، وانتشرت الفتن والأهواء ، وكثر الاختلاف ، وتشعبت الآراء ، وازدادت المعارك واشتعلت نارها .

وفي يوم علا النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على جبل مرتفع من جبال المدينة ، وقال كلامًا عجيبًا ، قال ـ بأبي هو وأمي ـ لأصحابه :

« هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ » .

قَالوا : لا يا رَسُولَ الله !

فَقَالَ ـ عليه الصلاة والسلام : « إِنِّي لأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ »[١] .

تدبر كلام النبي ـ عليه الصلاة والسلام !!

○ قال الإمام النَّوويُّ ـ رحمه الله تعالى[٢] : «فالنبيُّ ﷺ يريد بذلك

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر « مسلم بشرح النووي » (ج ١٨ ص٨،٧) .

الفتن التي وقعت بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بعد مقتل عثمان».

وأصابت هذه الفتن الحالكة جُلَّ بيوت أصحاب النبيِّ ﷺ إن لم أقل كلَّ بيوت أصحاب النبيِّ ﷺ ؛ فلقد اشترك في الفتنة من اشترك ، فوقعت الفتنة في كلِّ بيت ودخلت الفتنة كلَّ بيت ، مصداقًا لقول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى :

« إِنِّي لأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ »[1] .

وذكر النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، سيقتل مظلومًا ، وسيصيبه بلاءٌ بعد أن بشَّره بالجنَّة .

○ تدبر معي هذا الحديث الجميل ، الذي رواه البخاري ومسلم[2] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّه تَوضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا. قال : فَخَرَجتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عنْهُ ـ يعني : يتتبع أثر النبيِّ ﷺ وخُطاه ـ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ ، يقول : .. وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا ـ أي : فتحة البئر ـ وَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ «ولو كنت متخذًا خليلاً» (٣٦٧٤) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠٣) .

عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلاَّهُمَا فِي الْبِئْرِ. يقول : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ـ سلم أبو موسى الأشعري ﷺ على النبيِّ ﷺ ـ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَقُلْتُ : لأَكُونَنَّ الْيَوْمَ بَوَّابَ رَسُول الله ﷺ .

يقول أبو موسى الأشعري ﷺ : فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ :عَلَى رِسْلِكَ؟ ـ انتظر حتى أستأذن رسول الله ﷺ، قال أبو موسى : ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ ـ عَلَيْكَ ـ فقال له النبيُّ ﷺ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» .

يا لها من كرامة ! لقد سعد الصِّدِّيق بهذه الكلمة سعادة لا شقاوة بعدها أبدًا ؛ إذ إن المُبَشِّرَ هو الصَّادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

يَقُولُ : فَقُلْتُ لَهُ : ادْخُلْ و رَسُولُ الله ، يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ ، فَدَخَلَ أبو بَكْر الصِّدِّيقُ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ ؛كَمَا صَنَعَ رَسُولَ الله ﷺ ، وكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ .

يقول أبو موسى : ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلاَنٍ ـ يريد أخاه ـ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ .

هو يريد أن يأتي ليستأذن ، لعله أن يبشَّر بمثل ما بشَّر به النبيُّ ﷺ أبا بكر .

وهذه لفتةٌ إيمانيةٌ تبين لنا معنى الأُخوَّة - رضوان الله عليهم جميعًا .

يَقُولُ : فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ .فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فقلت : عَلَى رِسْلِكَ؟ ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ ، وقلْتُ : هذا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ .

فقال النبيُّ ﷺ لأبي موسى : « **ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** » .

ما شاء الله ! لقد سعد هو الآخر سعادة لا شقاوة بعدها أبدًا .

قال أبو موسى : فجِئتُ عُمرَ فقلْتُ : أذِنَ ويُبَشِّرُكَ رسُولُ الله ﷺ بِالجنَّةِ .

يقول أبو موسى رضي الله عنه : فَدَخَلَ فَجَلَسَ عَنْ يَسَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي القُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ ؛ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ - اتباع دون مناقشة - رضوان الله عليهم جميعًا .

يقول أبو موسى رضي الله عنه : فَرَجَعْتُ حَتَّى جَلَسْتُ - عَلَى الْبَابِ - ، فقلت : إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ خَيْرًا - يعني أخاه - يَأْتِ بِهِ يَقُولُ : فَرَأَيْتُ إِنْسَانًا يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقَلْتُ : مَنْ هذا ؟ فَقَالَ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ؟ قال وجئتُ النبيَّ ﷺ وأخبرتُه ، فقال لأبي موسى: « **ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ** » .

قال : فجئْتُ فقُلْتُ : ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رسولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى

تُصِيبُكَ .

قال : فدخل عثمان بن عفَّان ﭬ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنْ الشِّقِّ الآخرِ يعني : فجلس في مواجهة النبي ﷺ وصاحبيه ودلى رجليه في البئر ، كما فعل رسول ﷺ وصاحباه .

● في رواية مسلم [1]: حينما قال له أبو موسى : رسول الله ﷺ يأذن لك ويبشِّرك بالجنَّة مع بلوى تصيبك . قال عثمان : «اللَّهُمَّ ! صَبْرًا ، أو الله المُسْتَعَانُ» .

ﮤ وقبل أن أشرع في الحديث عن الفتنة أرى من الجفاء جدًّا ألَّا أبيِّن في عجالة سريعة : مَنْ هو عثمانُ بن عفَّان ﭬ ؟

تدبَّروا معي كلام النبي ﷺ في هذا الحديث الجميل الذي رواه مسلم في كتاب فضائل الصَّحابة من حديث عائشة ﭭ.

قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُضْطَجِعًا في بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ ، فَتَحَدَّثَ.

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﭬ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ كَذَلِكَ ،

---

(١) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان (٢٤٠٣) ، وانظر: «صحيح البخاري» (٣٦٩٣) .

فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رضي الله عنه فجَلَسَ رسُولُ الله ﷺ وسَوَّى ثِيابَهُ ، فَدَخَلَ فتَحَدَّثَ .

فلما خرج عثمان قالت ـ الذكية العبقرية الفقيهة ـ عائشة أمُّنا رضي الله عنها : يَا رَسُولَ الله ، دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ؟ فَقَالَ المصْطَفَى ﷺ :

« أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ ؟! »[(١)] .

إنَّه رجلٌ بلغ هذه المكانة من شدَّة حيائه من الله ، فاستحيت منه ملائكة الله ـ تبارك وتعالى ـ إنها فضيلة عظيمة ، ومنقبة جليلة .

○ وتدبروا هذه البشارة من رسول الله ﷺ لعثمان ؛ كما في الحديث الذي رواه البخاريُّ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْجَبَلِ :

« اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ »[(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٦٨٦) ، وانظر: رقم (٣٦٧٥) .

النبيُّ هو محمَّدٌ ﷺ، والصِّدِّيق: هو أبو بكر، والشَّهيدان: عمر وعثمان، ولا زالا يقفان مع النبي ﷺ، وإذ بالنبيِّ ﷺ يحكم لهما بالشَّهادة في سبيل الله.

وأنتم تعلمون فضل الشَّهادة عند الله؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[آل عمران:١٦٩].

فالذي يحكم بالشَّهادة لعمر وعثمان ﷺ هو النبيُّ ﷺ الصَّادق الذي لا ينطق عن الهوى.

ولما هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينة فاجأ النبيَّ ﷺ والصحابةَ مشكلةٌ خطيرة، ألا وهي مشكلة المياه، فشق على الصَّحابة هذا القحط، وكان يتحكم في المياه رجل يهودي خبيث، يبيع الماء بالمال وبالشَّعير والتَّمر [(١)].

وتمنى النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن لو وجد من بين

---

(١) واليهود، هذا ديدنهم في كل زمان ومكان، يتحكمون في المصادر الحقيقية في هذه الأرض: في المياه، في الذَّهب، في الإعلام، في التَّعليم، فالتَّحكم في المياه تحكم في آلاف؛ بل في ملايين البشر.

وكذلك في الإعلام توجه عقول البشر، وكذلك في التعليم؛ يقول خبيث منهم: «دعوا أولادهم يذهبون إلى المساجد، ويقرؤون القرآن، ولكنَّا سنغير هذا كله لأبنائهم في مدارسنا»، يخططون ويدبرون ويضعون المناهج التي تغير عقول أبنائنا وبناتنا في المدارس، ولا زالت منظمة اليونسكو إلى الآن هي التي تضع مناهج أولادنا وبناتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فاشتكى الصَّحابة للنبيِّ ﷺ قلَّة المياه في المدينة، وجشع هذا اليهودي الخبيث!

أصحابه من يشتري بئر رومة من هذا اليهودي الجشع ، الذي يبيع قربة الماء بمدٍّ من الصَّاع ، أو من الشَّعير .

ولم تجد هذه الأزمة إلا عثمانها المعطاء ﷺ الذي انطلق فورًا بعد ما سمع النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ ؛ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنَّةِ ؟ » قال عثمان : فَاشْتَرَيْتُها مِنْ صُلْبِ مَالِي [1] .

وانطلق عثمان ﷺ ليشتري البئر من هذا اليهودي الخبيث ؛ فقال هذا اليهودي الغبي : لا أبيع لك البئر كاملة ؛ بل أبيع لك نصفها - كيف تباع نصف البئر - فقال : البئر لك يوم ولي يوم ، فوافق عثمان واشترى العين منه باثني عشر ألف درهم .

فكان المسلمون بفضل الله تعالى في يوم عثمان يأخذون الماء الذي يكفيهم ليومين ، ويجلس اليهودي في يومه ، ليرى مسلمًا يشتري منه ، فلا يجد .

فذهب اليهوديُّ الغبيُّ إلى عثمان ﷺ ليعرض عليه نصف البئر الآخر .

---

(١) أخرجه الترمذي فى كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ (٣٧٠٣) ، والنسائي (٦/ ٢٣٥، ٢٣٦) ، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١٢١) ، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٦/ ٣٨) ، وأخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الوصايا ، باب : إذا أوقف أرضًا أو بئرًا أو اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين (٢٧٧٨) عن أبي عبد الرحمن السلمى عن عثمان بلفظ : «من حفر رومة فله الجنة فحفرتها» .

وضاق المسجدُ النبوي يومًا بأصحاب النبيِّ ﷺ ودعا النبيُّ ﷺ أصحابه أن لو تقدم أحد ليشتري الأرض المجاورة للمسجد ؛ ليزيد مسجد النبيِّ ﷺ، ولم تجد هذه المشكلة - أيضًا - إلا عثمانها المعطاء .

فتقدم عثمان بن عفَّان ﭬ واشترى الأرض المجاورة ، وزادت رقعة المسجد النَّبوي على صاحبه أفضل الصلوات وأزكى السلام [١] .

• وفي العام السادس للهجرة خرج النبيُّ ﷺ وأصحابه من المدينة إلى مكَّة وهم يريدون العمرة وعلِمَتْ قريش بذلك ؛ فأراد النبيُّ ﷺ أن يخبر قريشًا أنه ما جاء مقاتلًا ولا محاربًا ؛ بل جاء لزيارة البيت ، فخرج النبيُّ ﷺ وهو يلبس ملابس الإحرام ، وساق الهدي أمامه ليؤكِّد لهم أنَّه ما جاء إلَّا معتمرًا ، ولكنَّ قريشًا أبت ورفضت رفضًا باتًّا دخول النبيِّ ﷺ مكَّة .

وأراد النبيُّ ﷺ أن يرسل إلى قريش رجلًا من وجوه القوم ؛ ليؤكد لسادة قريش أنَّه ما جاء إلا للعمرة .

فأرسل النبيُّ - عليه الصلاة والسلام - خراش بن أمية الخزاعي [٢] ،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب عثمان بن عفان ﭬ (٣٧٠٣) ، والنسائي في كتاب الأحباس ، باب : وقف المساجد (٣٦٠٨) عن ثمامة بن حزن القشيري ، وقال الألباني في « ضعيف سنن النسائي » (٢٣٧) : صحيح دون قصة ثبير ولفظ الحديث: « من يشتري بقعة آل فلان ، فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة » وانظر الإرواء (٦/ ٣٩) .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٤) من طريق : محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة=

وهو رجل شريف في قومه ، فكادت قريش أن تقتله بعدما عقروا ناقته لولا أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نجَّاه ، ولولا أن مجموعةً من عقلاء قريش قالوا : لا تقتلوه؟ فإنَّ الرَّجل ما جاء إلا رسولًا ؛ والرسل عندهم لا تقتل ، فمنع الأحابيش قريشًا من قتل خراش بن أمية الخزاعي .

فدعا النبيُّ ﷺ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ؛ ليرسله بعد خراش ، فقال عمر : يا رسول الله ، ليس بمكَّة أحد يمنعني ، عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ، ولكنِّي سأدلك على رجل هوأعزُّ بها مني ، فقال له النبيُّ ﷺ : « مَنْ هُوَ؟» .

فقال عمر : إنه عثمان بن عفَّان . واختار النبيُّ ﷺ عثمان رضي الله عنه وانطلق عثمانُ بأمر النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليخبر قريشًا أنه ما

= عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : فذكراه . قال الشيخ شعيب في تعليقه على المسند:«إسناده حسن . محمد بن إسحاق وإن كان مدلسًا ، وقد عنعن ، إلَّا أنه قد صرَّح بالتحديث في بعض فقرات هذا الحديث فانتفت شبهة تدليسه» انتهى . لكن ابن إسحاق فى هذه اللفظة لم نقف له فيها على تصريح. وقد رواه ابن إسحاق (كما في السيرة لابن هشام ٣/ ٢٠٨) ومن طريقه الطبري في «التاريخ» (٢/ ١٢١) قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي ... القصة .

والقصة لعلها مدرجة هنا ؛ لذا قال العلامة الألباني فى تعليقه على ابن خزيمة (٢٩٠٦) : « إسناده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق» . وراجع «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ٤١٣) (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

جاء إلا للعمرة ، وهو لا يفكر إلا في أن يبلِّغ رسالة النبيِّ ﷺ حتى ولو قتل ، فهو يعلم يقينًا أن خراش بن أمية قد تعرض للموت والهلاك ، لولا أن الأحابيش منعته من القتل ، إذًا هو ذاهب وهو يعلم يقينًا أنه ربَّما يعود أو لا يعود .

فانطلق عثمان ﷺ وسط هذه المخاطر المرعدة المرعبة ، ولا يعنيه أن يرجع حيًّا أو ميِّتًا ، وإنما كل الذي يعنيه أن يبلِّغ لقريش رسالة النبيِّ ﷺ فاستقبلته قريش وأحسنوا استقباله ، وبالغوا في إكرامه ، فهو الوجيه في قومه ، الشَّريف النَّسيب ، وبلَّغهم رسالة النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام .

فقالوا له : يا عثمان ، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . سبحان الله ! وهل جاء عثمان مع رسول الله ﷺ إلا ليطوف بالبيت ؟! وهذه أمنية ، لكن انظروا إلى الفقه والفهم : قالوا : يا عثمان ، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ فقال عثمان النَّقي التَّقي الحيي : والله ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله ﷺ ؟ فحبسوه ، ووصل الخبر إلى النبيِّ ﷺ أن عثمان قد قُتل .

فلما سمع الصحابة بأن عثمان قد قتل ، بايعوا النبيَّ ﷺ على الموت ، بايعوا النبيَّ ﷺ البيعة التي خلَّد ذكرها القرآن ، إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها ، والتي سمِّيت ببيعة الرضوان ، والتي زكاها من فوق سبع سموات الرحيم الرحمن ؛ فقال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

• وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠].

قام النبيُّ ﷺ يبايع الصَّحابة ، وتصور معي بقلبك وبكيانك كله ، هذا المشهد المهيب الجليل وهو يقول : « **إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فِي حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ** »[1] وقدَّم النبيُّ ﷺ يده اليمنى ، وضرب بيده اليمنى على يده اليسرى وقال : « **هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ** » .

يقول أنس ـ رضوان الله عليه: فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيرًا من أيديهم لأنفسهم .

هل تدبرتم هذه العبارة ؟! فالذي يضرب بيد عثمان هو النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ، يا لها من كرامة ومنقبة .

والحديث أخرجه الترمذي وقال : «حديث حسن صحيح غريب»

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٠٢) وقال : «هذا حديث حسن غريب» بسندٍ فيه الحكم بن عبد الملك ؛ قال في التقريب : «ضعيف» لذا ؛ ضعَّف إسناد هذا الحديث الشيخ الألباني في «ضعيف الترمذي»(٧٦٥) و«المشكاة» (٦٠٦٥) وقوله : « هذه يد عثمان» لها شاهدٌ في البخاري ، كتاب فضائل الصحابة (٣٦٩٩) عن ابن عمر ، وعند أحمد(١/ ٥٩) ، والنسائي (٣٦١٠) عن أبي سلمة عن عثمان رضي الله عنه .

من حديث أنس بسندضعفه الشيخ الألباني» . وأصله في صحيح البخاري [١] من حديث ابن عمر ﷺ.

ولم يمض على بيعة الرِّضوان ثلاثة أعوام ، إلا وقد ترامت الأنباء إلى رسول الله ﷺ أنَّ هِرَقلَ ملك الرُّوم قد عزم على غزو المسلمين في المدينة ، وكان الصَّيف حارًّا ، يصهر الجبال ، وكانت البلاد تعاني من الجدب والعسر ، فإذا قاوم المسلمون بإيمانهم ، فأين ما يركبون عليه ؟ أين الطعام ؟ وأين الشراب ؟ وأين الظَّهْر؟ أراد النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يجيِّش جيشًا جرَّارًا ؛ لقتال الروم بقيادة هِرَقلَ ، وهنا دعا النبيُّ ﷺ إلى تجهيز جيش العسرة ؛ فارتقى المنبر يحثُّ النَّاس على النَّفقةِ ؛ كما في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي بسند حسن من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال : جَاءَ عُثْمانُ إلى النبيِّ ﷺ بألْفِ دِينَارٍ في ثوْبِه حِين جَهَّز النَّبيُّ ﷺ جَيْشَ العُسْرَةِ ، فصَبَّهَا فِي حِجْرِ النبيِّ فجعَلَ النَّبيُّ ﷺ يُقَلِّبُها بِيَدِه في حِجْرِه و يقُولُ : « مَا ضَرَّ عُثْمانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ » [٢] يرددها مرارًا .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفضائل ، باب : مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ﷺ (٣٦٩٩) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان بن عثمان ﷺ (٣٧٠١) ، وأحمد في « مسنده » (٥/ ٦٣) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (ح ١٢٧٩) ، وقال الألباني في «المشكاة» (٦٠٦٤) : «إسناده حسن» .

• وفي حديث أخرجه الترمذي بسندٍ ضعَّفه الألباني من حديث عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى - تجهيز - جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا - في سبيل الله، ثُمَّ حضَّ عَلَى الجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ - مَرَّةً ثَانِيَةً - فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ حضَّ عَلَى الجَيْشِ؟ فَقَامَ عُثْمَانُ - للمرَّةِ الثالثة - فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، عَلَيَّ ثَلاَثُمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ الله.

يقول عبد الرحمن: فنزل النبيُّ ﷺ من على المنبر وهو يقول:

« مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ »[1] رضي الله عنه.

هذه شهادة من النبيِّ ﷺ له بأنَّ الملائكة تستحي منه، وشهادة له بأنه شهيد، وشهادة له بأنه لا يضره شيء سيعمله بعد يومه هذا.

مناقب وشهادات من النبيِّ ﷺ لعثمان، ولو تحدثنا عن الصَّحابة

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٥٥)، وأحمد في « مسنده »(٤/ ٧٥)، وابن أبي عاصم في « السنة » (ح ١٢٨٠)، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢١٥)، وضعفه الألباني في « ضعيف سنن الترمذي » (٧٩٤)، و«المشكاة » (٦٠٧٢).

من منطلق تكريم الله وتكريم النبيِّ ﷺ لو قفنا على قدرهم وفضلهم ، ولَـمَا رَمَيْتَ واحدًا منهم بما لا يمكن أن يُرْمَى به مؤمن من آحاد المؤمنين الصادقين ، فضلًا عن أن يكون من أصحاب سيد النَّبيِّين - صلى الله عليه وآله وسلم .

ها هو عثمان بن عفان ﷺ يصحب رسول الله ﷺ حتى يتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ ، ويصحب أبا بكر حتى يتوفى أبو بكر وهو راض عنه ، ويصحب عمر حتى يتوفى عمر وهو عنه راض ، بل ويختاره عمر من بين ستَّة من الصَّحابة ليكون الأمر لأحدهم [١]، فاختارت الأمَّةُ كلُّها بالإجماع عثمان بن عفَّان ﷺ .

○ وَبُعَيْدَ تَوَلِّيه الخلافة اشتعلت نار الفتنة اشتعالًا ، وبدأت ثورات مسلَّحة ، تنتفض على هذه الدَّولة العظيمة المترامية الأطراف من هنا وهنالك .

انتفضت دولة الرُّوم وغارت على حدود الدَّولة الإسلامية ؛ بل ووصلوا بأسطولهم فعلًا إلى الإسكندرية وفلسطين ، بعد موت عمر ﷺ وتولى عثمان .

كانت كل الأرض تهاب عمر ﷺ ، وأعتى الإمبراطوريات كُسِرَتْ

---

(١) كما عند البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة (٣٧٠٠) عن عمرو بن ميمون قال : فذكر قصة مقتل عمر ﷺ .

أنوفُها على يد عمر رضي الله عنه، فما أن قتل عمر وتولَّى الخلافةَ عثمانُ إلا وقامت كلُّ دولة بثورة مسلَّحة على الدَّولة الإسلامية .

وتمرَّدت كذلك قوى التَّمرد في أرمينية وأذربيجان ، واشتعلت النَّار لتطوق دولة الإسلام بأسرها .

حينئذٍ أصدر عثمان بن عفَّان رضي الله عنه على الفور الأوامر ، وقام بنفسه ليختار قوَّاد الجيوش ؛ لإطفاء هذه النَّار[١] .

سبحان ربِّي ! كأنَّما تحرك داخل إهاب هذا الشَّيخ الكبير شبابُ التَّاريخ بأسره ، فانطلق في كل حيويَّة وشباب ؛ ليختار قوَّاد الجيوش بنفسه ، وينطلق مع كل قائد ليوصيه ، وسرعان ما تحوَّلت هذه الفتن إلى فتوحات ؛ بل ومُهِّدت الأرض لزحف المسلمين الجَسُور في عهد عثمان .

فانطلق الفتح الإسلامي في عهده كأنَّه اللَّيل والنَّهار ، حتى بلغ المسلمون السودان والحبشة في الجنوب ، والهند والصين في الشَّرق ، نعم ؛ رفرفت رايةُ الإسلام على بلاد الصين في عهد عثمان رضي الله عنه .

لكنَّ الفتنة لو اشتعلت نارُها من الدَّاخل ؛ فإنها أخطر بكثيرٍ من كلِّ الفتن الخارجية ولو اجتمع أهلها .

---

(١) انظر : صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن (٤٩٨٧) .

يقول الأعداء في مقولة خبيثة : لابد أن يتسبب في قطع الشَّجرة أحدُ أغصانها !! لو كُسر فرع منها ، فمال هذا الفرع في طريق النَّاس ، وحال بين النَّاس وبين المرور ؛ يمكن أن يهيِّج النَّاس على قطع الشَّجرة من جذورها .

فنحن لا نخشى أبدًا من الفتن الخارجية مهما كان أهلها أقوياء .

ولكنَّ الفتنة كلَّ الفتنة أن تشتعل نارها من داخل البيت الإسلامي ، من داخل الصَّف المسلم .

وهذا هو الذي وقع ، سرعان ما تحولت هذه الريح الباردة الهادئة إلى عاصفة مدمِّرة ، أخذت تتجمع شيئًا فشيئًا وينادي بعضها بعضًا ، حتى تحولت إلى إعصار مزلزل مدمر ، كُتب على الخليفة الشيخ عثمان ﷺ أن يواجهه وحده في محنة هبطت بها شراسة الثُّوار المجرمين إلى الحضيض ، وارتفع فيها تسامح الخليفة إلى القمة ﷺ .

واشتعلت نار الفتنة التي قتل فيها عثمان مظلومًا بشهادة النبي ﷺ

• وتدبَّر ما قاله رسولُ الله ﷺ وهو يتحدث عن فتنة وأشار إلى عثمان [١]: « **يُقْتَلُ هَذَا فِيهَا مَظْلُومًا** » .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ (٣٧٠٨) ، وأحمد في « مسنده »(٢/ ١١٥) ، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٢٥) وله شاهد عند ابن ماجه (١١١) .

ﷺ وفي رواية: ذكر رسُولُ الله ﷺ فتنةً، فمرَّ رجلٌ، فقال: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا المقَنَّعُ يَوْمَئِذٍ مَظْلُومًا»، قَالَ: فنظرتُ فَإذا هُوَ عُثْمانُ بنُ عَفَّان.

والحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه». وأورده الحافظ ابن حجر في «الفتح»[1]، وقال: «إسناده صحيح».

وتولى كبر هذه الفتنة المروِّعة: عبد الله بن سبأ - ابن السَّوداء - اليهودي الخبيث، هذا الرَّجل الذي انتحل الإسلام، وادَّعى الغيْرة الشديدة على قِيَمه.

ومضى الخبيث يَدْرُسُ في صمت ودهاء كل جوانب الحياة في مدينة النبي ﷺ من جوانب القوة والضَّعف على السَّواء، حتى إذا ما رسم الخطة بإحكام بدأ يتحرك، فلم يجد له أعوانًا ولا أنصارًا في المدينة؛ فالمدينة عامرةٌ بأصحاب النبي ﷺ.

فتوجه الخبيثُ إلى العراق - إلى البصرة والكوفة - ثم نزل إلى مصر، وأعد له أعوانًا، وأنصار الفتن لا يخلو منهم زمان ولا مكان، ووجد هذا الخبيثُ أعوانًا له على فتنته ضد عثمان!

عثمان زوج ابنتي رسول الله ﷺ!

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٨) ط المعرفة.

عثمان خليفة المسلمين !

عثمان الذي اشترى بئر رومة!

عثمان الذي جهز جيش العسرة !

ينطلق الخبيث - عبد الله بن سبأ - ليجيِّش جيشًا من حثالة الخلق ، وأقذر النَّاس ضدَّ هذا الحييِّ الطَّاهر ﷺ .

والمصيبة الكبرى أنه نجح في أن يحرك هؤلاء الغوغاء ، والسَّفلة بزعم أنهم لا يتحركون إلا لنصرة الإسلام !!

وأرجو أن تنتبهوا ؛ فإن الفتن كلَّها في كلِّ زمان ومكان ترفع رايتها باسم الإسلام .. باسم الإسلام يُنال من القادة الأطهار ، ومن العلماء الأخيار !! وتعلن الحرب دومًا لكسر أضلاع القيادة ، ولتحطيم رأسها باسم الإسلام !!

فكانت الحرب على النبيِّ ﷺ والصحابة والعلماء - من السَّلف والتَّابعين لهم - إلى يومنا هذا ، باسم التحرر من عقدة القديم ، والتَّخلُّص من التَّاريخ البالي ، والتَّحرُّر والانفتاح ، والانطلاق ؛ لنساير المدنية و... و ... إلى آخره .

زَخَمٌ ضاغطٌ على شباب الأمَّة بحجة التحرُّرِ من القيود والقديم ، وهم في الأصل يريدون أن يهدموا الثوابت والأصول الحقيقية لدين

الله وإسقاط رموز هذه الأمة ، والحرب تُعلن من أول مرحلة إلى آخر مرحلة بأنها حرب لصالح الإسلام !

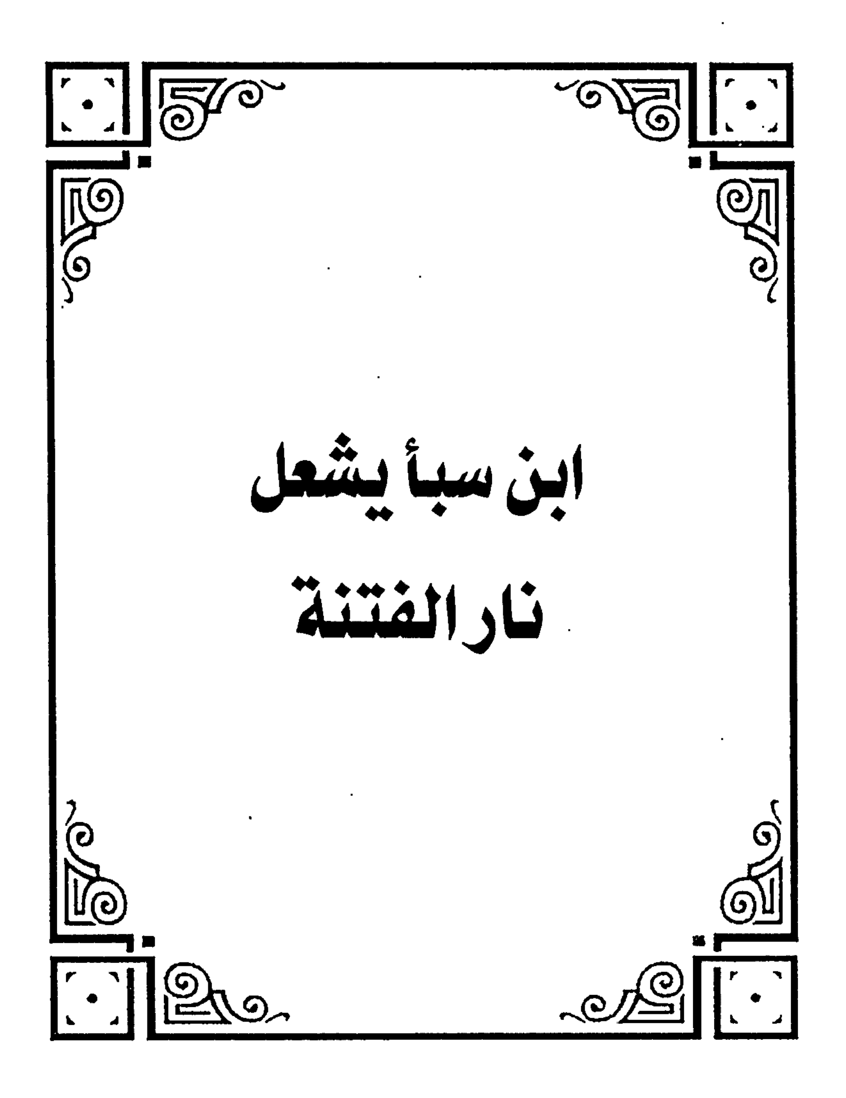
انطلق ابن السَّوداء عبد الله بن سبأ الخبيث ؛ ليثير حثالة من أقذر النَّاس ضد الطاهر عثمان رضي الله عنه ، وراح يوغر صدورهم ؛ ويقول [١]: « إن لكلِّ نبيٍّ وصيًّا ، وَعَليٌّ وصيُّ رسول الله ﷺ !!

ولقد وثب عثمان بن عفان على أمر هذه الأمَّة ، وأخذ الحقَّ من عليٍّ ، فَهُبُّوا وردُّوا الحقَّ إلى صاحبه» !

انتبه ! فهذه بداية الفتنة ؟



(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٤٧) عن يزيد القعسي قال : « كان عبد الله بن سبأ...» .



ابن سبأ يشعل نار الفتنة

ابن سبأ يشعل نار الفتنة

لقد تظاهر عبد الله بن سبأ بالإسلام ، ودرس حياة المدينة دراسة جيدة، وخطط لهذه الفتنة الخبيثة .

واستطاع أن يصطفي من المفتونين أنصارًا ، وهؤلاء كما ذكرت لا يخلو منهم زمانٌ ولا مكانٌ ممن مردوا على النِّفاق ، وهبَّت ريح الشَّك على قلوبهم .

ورسم لهم ابنُ سبأ منهجهم ، في هذه الكلمات الخطيرة ، التي أرجو أن تتدبروها جيدًا ؛ لأنني ذكرت لكم قبل ذلك أن الحرب تُعلن في كلِّ زمانٍ ومكانٍ على القيادة المسلمة في هذه الأمَّة باسم الإسلام ، ومن مظلة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر !

قال ابنُ السَّوداء : انهضوا - ووضع لأتباعه من صفوته الخبيثة هذا المنهج الخبيث ، الذي يعتبر أصل المناهج التي خرج أهلها بعد ذلك على الإسلام ، وعلى المسلمين.

ثم قال : وأَظْهِرُوا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ؛ لتستميلوا الناس إليكم !! **هذا أول أصل من أصول الضلال .**

مَنْ مِنَّا ينكر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلٌ من أصول الدِّين ؟ لا ينكر ذلك أحدٌ ، فهو يستتر وراء هذا الأصل العظيم الذي ما شرفت

الأمَّة إلا به ؛ فقد قال تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فقد يخرج على الأمَّة الآن أو على الجماعة الآن رجلٌ يزعم أنَّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويثير فتنةً تحت هذه المظلة ، وسرعان ما سينقسم النَّاس حتمًا إلى فريق يعي أبعادَ هذه الفتنة ، وإلى فريق بسيط سرعان ما يخدع في كلِّ فتنة ، ويقول : إن هذا الرَّجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر !

وينطلق ليدلِّل على صحة فعل هذا الخير بأصول عامَّةً ثابتةٍ ، وبأدلة صريحة من قرآن الله ومن سنَّة رسول الله ﷺ .و هذا هو الذي فعله ابن السَّوداء .

الأصل الثاني : قال[1] : وابدؤوا في الطَّعن في أمرائكم ، وقولوا للنَّاس : إن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حقٍّ ، وإن عليًّا هو وصي رسول الله ﷺ ، فانهضوا وردُّوا الحقَّ إلى صاحبه !!

وهؤلاء الأمراء في هذه اللحظات هم أصحاب النبيِّ ﷺ الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ .

واستجاب لابن السوداء ـ كما ذكرت ـ حُثالةٌ من أصحاب القلوب

(١) في «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٤٧) .

المريضة من المفتونين : من البصرة ، ومن الكوفة ، ومن مصر ، ومن الشام .

وخرجوا جميعًا يتواعدون على أن يكون اللِّقاء في مدينة النبيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهم يعلمون جيدًا أن النَّاس لو علموا أنهم ما خرجوا إلا لعزل عثمان أو لقتله لذبَّحوهم وقتَّلوهم .

فتظاهروا مرة أخرى بالخروج بملابس الإحرام في موسم الحج ، وكأنهم ما ذهبوا إلا لحج بيت الله الحرام ، ومن مكَّة إلى المدينة لزيارة مسجد النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمر لا يثير الشُّكوك أبدًا ، ولا الشُّبهات .

قوم بلباس الإحرام خرجوا بنية الإحرام ، وقد تواعدوا ، وبيَّتوا الخطَّة ، ودبَّروها بإحكام ، وانطلقوا على أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؛ ومن ينكر هذا ؟!

ولكن عثمان رضي الله عنه علم بمجيء القوم ، وعلم مرادهم ، فأرسل إلى النَّاس رجلين من بني مخزوم ، لِيَنْدَسَّ الرَّجلان في صفوف القوم ، ليتأكَّدا من الخطَّة الخبيثة التي من أجلها خرج هؤلاء الأوباش.

وتأكد عثمان رضي الله عنه بمقصد هؤلاء ، وبسبب مجيئهم إلى المدينة ، فماذا فعل عثمان ؟ .

ارتقى المنبر ﵁ وحمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على النبيِّ ﷺ، وأخبر النَّاس في مسجد النبيِّ ﷺ بما خرج إليه هؤلاء القوم؛ فقام الرجلان من بني مخزوم، فأخبرا النَّاس بما سمعا من هؤلاء، وأكَّدا كلام عثمان ﵁.

فردَّ الناس في مسجد النبيِّ ﷺ على لسانِ رجلٍ واحد: اقتلهم يا أمير المؤمنين.

هذا حكمهم شرعًا؛ فإن النبيَّ ﷺ قال:

« إِنَّهُ سَتكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَـذِهِ الأُمَّةِ، وَهْيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ ».

وفي رواية: «فاقْتُلُوه».

وفي رواية: «مَنْ أَتَاكُم وأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيْدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُم، أَوْ يُفرِّقَ جَمَاعَتكمُ، فَاقْتُلُوهُ»(١).

هذا حكم من خرج على إمام المسلمين الذي بايعه المسلمون، وارتضوا خلافته.

والله الذي لا إله غيره، لو كان عثمان ممَّن لا هَمَّ لَهُمْ إلا أن يجلسوا على الكرسي بأي ثمن لَقَتَلَ هؤلاء، ومعه الدَّليل من كلام النبيِّ ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٨٥٢).

بل والرِّضا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ .

لكنَّ عثمان ﷺ ليس من عُبَّاد الكراسي ، ولا من عُبَّاد المناصب ، وليس ممن يسفكون الدِّماء ، ويمزِّقون الأشلاء !

فالصحابة في المسجد يقولون له : اقتلهم يا أمير المؤمنين ؟

فقال ﷺ - وهو الحييُّ الكريم - :« **بل نعفو ونقبل ، ونبين لهم الحق - إن شاء الله -** أي : نقبل منهم ما جاؤوا من أجله - **ونبصرهم جهدنا ، ولا نقيم الحدَّ على أحد حتى يركب حدًّا** - أي : حتى يفعل ما يوجب عليه الحدَّ - **أو يبدي كفرًا** ».

ثم أخذ عثمان بن عفَّان ﷺ يذكر الأمور التي نقمها القوم عليه ، وأخذ يجيب على كلِّ مسألة بعد الأخرى .

فوقف ﷺ يبيِّن بكلِّ تواضع - وهو القادر على أن يقتل هؤلاء فورًا - لكنه قال : «**ماذا تنقمون عليَّ ؟**» ما هي المسائل التي تعترضون عليَّ بسببها؟ فقالوا : «أتممت الصلاة في الحج - في المزدلفة - وقد قصرها من قبلك رسول الله ﷺ وصاحباه »، فهذا ابتداع ، وأنت مبتدع أتيت بما لم يأت به النبيُّ ﷺ وصاحباه ؟

فقال عثمان:« **ألا إنِّي قدمت بلدًا وفيه أهلي فأتممت** » [١] . هذا

---

(١) انظر : «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥١) ، و«تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣١٣) .

اجتهادٌ منه ﷺ.

وفي رواية البيهقي : أن عثمان ﷺأتم الصلاة في مزدلفة ، ثم قام فخطب في النَّاس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أيُّها النَّاس ، إنَّ القصر سنَّة نبيِّكم وصاحبيه ـ أي : أبي بكر وعمر ﷺ ، ولكن حدث طغام ـ أي : أعراب جهلاء ، لا يعلمون شيئًا عن الدين ولا عن السنة ـ فخِفْتُ أن يستنُّوا »(١).

انظر إلى فقه عثمان ﷺوإلى نظرته الثَّاقبة بأن الأعراب في هذا العام الهجري قد كثروا ، فأحبَّ عثمان ﷺأن يعلمهم أن الصَّلاة أربع(٢) ؛ لأنهم لم يعيشوا في المدينة النَّبوية ، ولم يعرفوا السُّنَّة ؛ فقال :«حدث طغام ، فخفتُ أن يستنُّوا ».

● وعن ابن جريج أن أعرابيًّا نادى على عثمان ـ لما رآه يصلي أربعًا ـ وقال : يا أمير المؤمنين ، ما زلت أصليها ركعتين منذ رأيتك عام أول صليتها ركعتين»(٣) . يعني : أصلي الظهر ركعتين ، والعصر ركعتين ، والعشاء ركعتين ، فعثمان كان يقصر الصلاة في الحج في العام السَّابق .

---

(١)أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٣/ ١٤٤) .

(٢)أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٢٥) .

(٣)أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٢٧٧) .

●وقد قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٦٦٥) بعد إيراده لهذه الروايات : «وهذه طرقٌ يقوي بعضها بعضًا».

أرجو أن تتدبروا هذا ؛ فإنَّ التَّاريخ مملوء بالكذب والروايات المصنوعة الموضوعة ، التي شككت كثيرًا من النَّاس ؛ بل من الصَّفوة ، فضلًا عن العامَّة في حياة أصحاب النبيِّ ﷺ !!! فالتاريخُ يحتاجُ إلى تحقيق وتمحيص من ناحية ، وإلى فهمٍ دقيقٍ ووعي عميقٍ في نقل الرِّوايات من ناحية أخرى .

فقد تجد هذه الرِّوايات الخطيرة في « تاريخ ابن عساكر » أو في «تاريخ الطَّبري » ، أو في « البداية والنهاية » لابن كثير في كتب أئمة السَّلف .

ولكن هؤلاء ـ لابد أن نعي هذه الحقيقة ـ قد سجَّلوا كلَّ الرِّوايات بأسانيدها ـ كما ذكرت ـ وجاء مَنْ بعدهم ممَّن لا يُجيدون النِّزال ؛ فنزلوا هذا الميدان الخطير ، وممِّن لا يحسنون السِّباحة ، فنزلوا هذا البحر المتلاطم الأمواج ، فنقلوا هذه الرِّوايات ، وبنوا عليها أحكامًا دون أن يحققوا السَّند ليقفوا على صحَّة الرِّواية من عدمها !

● فالتاريخ لم يُدَوَّن إلا في عهد الدَّولة العبَّاسية ، وقام على تدوينه ثلاث طوائف [١] :

○ الطَّائفة الأولى : هي طائفة المنتفعين ، التي لا يخلو منها زمان ولا

---

(١) راجع «العواصم من القواصم» (تعليق الشيخ محب الدين الخطيب ص١٧٩) .

مكان ممَّن يكتبون ؛ ليأكلوا بأقلامهم ، وهؤلاء شوَّهوا تاريخ بني أمية ؛ ليرضوا بهذا التَّشويه أمراء بني العباس !

○ الطَّائفة الثانية : هي طائفة محترقة من الخوارج والروافض ؛ فالخوارج كفَّروا عليًّا ﷺ ، ونسفوا تاريخه نسفًا ؛ بل واتَّهموه بتحكيمه الرِّجال في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ !

وجاءت طائفة أخرى في مقابل هذه الطائفة التي كفَّرت عليًّا ﷺ ، ألا وهي: طائفة الروافض .

فكتبوا تاريخًا جديدًا ، رفعوا فيه عليًّا ﷺ إلى مرتبة الألوهيَّة ، ونسفوا تاريخ الخلفاء ـ رضوان الله عليهم ـ بل وأساؤوا إساءة بالغةً إلى بيوت النُّبوة لاسيَّما إلى بيت عائشة ﷺ .

○ الطَّائفة الثالثة : وهي الطَّائفة الوسط من أهل السُّنَّة ؛ كالأئمَّة : الطَّبري ، وابن كثير ، وابن الأثير ، وابن عساكر ، والذَّهبي ، وابن هشام ، وغيرهم ـ رحمهم الله .

ونظرًا للظروف الصَّعبة التي كانت تمر بها الأمَّة في هذه المرحلة الحرجة نقل الأئمَّة جميع الرِّوايات بأسانيدها ؛ ليتبيَّن كلُّ باحثٍ صحة الرواية من عدمها بالوقوف على سندها .

فجاء من لا يجيد هذا الفنَّ فنقل من هذه التَّركة الضخمة دون تمييز

بين الصحيح والخطأ ، لعدم تحقيقه للروايات ، ظنًّا منه أن مجرَّد وجود الرِّواية في كتب الأئمَّة دليلٌ على صحتها . ولم ينتبهوا إلى أن الأئمَّة قد ذكروا سند كل رواية ؛ للتعرف على صحتها من بطلانها ــ كما ذكرت ــ وهذا سببٌ رئيسٌ في تشويه تاريخ الصَّحابة ﷺ في حقبة تاريخيَّة حرجة .

هذا تأصيلٌ مهمٌّ لابد من معرفته جيدًا حتى لا نخوض في عرض أشرف وأطهر الخلق بعد الأنبياء والرُّسل ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام .

قال عُثْمان ﷺ : «أيُّها النَّاس ، إن القَصْرَ سنَّةُ نبيِّكم وصاحبيه ، ولكن حدث طغام ــ أعراب جهلاء لا يعلمون شيئًا عن السنة ــ فخشيت أن يستنوا »ـ أي لا يستنوا بسنَّة النبيِّ ﷺ بإتمام الصَّلاة في الحضر ، وقصرها في السَّفر ، ثم زاد الأمر وضوحًا ؛ فقال ﷺ : «ألا إني قدمت بلدًا فيه أهلي فأتممت» [1] .

• ثم قال عثمان لأصحاب النبيِّ ﷺ في المسجد : «أو كذلك هو ؟»

---

(١) سبق ، وقد قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى: في «الفتح» (٢/ ٦٦٥) : « ولا مانع أن يكون هذا هو أصل الإتمام عند عثمان ﷺ » . ويقول ابن العربي ــ رحمه الله ــ في « العواصم من القواصم » (ص/ ١٩٠ ط الجيل) : « وأما ترك القصر فاجتهاد ؛ إذ سمع عثمان ﷺ أن الناس افتتنوا بالقصر . وفعلوا ذلك في منازلهم . فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة ، فتركها مصلحة خوف الذريعة» ا.هـ .

ولا شك أن المسألة اجتهاد من عثمان ﷺ .

فقال الصَّحابة : «اللَّهمَّ نعم» .

إقرار من كلِّ أصحاب النبيِّ المختار ﷺ في المسجد لعثمان ﷺ .

قالوا - أي الثُّوَّار الخبثاء: أكثرت الحِمَى لنفسك ؟ أي : المرعى ، فاستثمرت أموالك ، وجمعتها لنفسك ولأولادك ؛ فماذا قال عثمان ﷺ ؟

قال : إني قد وليت - أي : توليت الخلافة - وأنا أكثر العرب بعيرًا وشاة ، وليس لي اليوم من الشَّاة والبعير غير بعيرين اثنين لحجي . أكذلك هو ؟ قالوا : اللَّهمَّ نعم .

فلقد أنفق عثمان ﷺ المال كله .

فيا أيُّها الثُّوار الحاقدون المجرمون أنسيتم أن عثمان بن عفَّان هو الذي اشترى بئر رومة ؟

- أنسيتم عثمان الذي جهَّز جيش العسرة ؟
- أنسيتم عثمان الذي أنفق ليشتري أرضًا جديدة ؛ ليوسِّع المسجد النَّبوي لأصحاب الحبيب ﷺ .

تتَّهمون عثمان المنفق ؟! تتَّهمون عثمان السخي؟! تتَّهمون عثمان الباذل ؟!

لتعلموا يقينًا أن أهل البَاطِل يحاولون بكل السُّبل أن يُسقطوا أهل الحقّ ، ويشوِّهوا صورتهم بالطَّعن في دينهم وشرفهم وأعراضهم ؛

للفصل بينهم وبين عامَّة المسلمين .

فها هو عثمان ـ رضوان الله عليه ـ يُتَّهَمُ في ذمته المالية .

ثُمَّ قال لهم : هاتوا الثالثة ؟ قالوا : كان القرآن كتبًا ؛ فجعلتها كتابًا واحدًا ؟ [١] أي : كان القرآنُ في صحف عدَّة ، فجمعتها في كتاب واحد .

ومعلوم أن الصُّحف كانت عند حفصة ـ رضوان الله عليها ـ ؛ ولما اختلف الصحابة بعد غزو أرمينية وأذربيجان ، وخشي عثمان أن تختلف الأمَّة في كتاب الرَّحيم الرَّحمن ، كما اختلف أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى ، جمع الصُّحف كلَّها ، وجعلها في مصحفٍ إمام ؛ ألا وهو : مصحف عثمان الذي بين أيدينا الآن .

فكتبه زيدُ بن ثابت ﷺ مع نفر من أصحاب النبيِّ ﷺ بلغة قريش [٢] وهي اللغة التي نزل بها القرآن على لسان النبيِّ ﷺ ، ثم أرسل إلى كلِّ مِصْرٍ مصحفًا ، وأمر بحرق بقية الصُّحف .

• ولا بد أن ننبه أيضًا إلى أن أول من جمع القرآن هو : أبو بكر الصديق ﷺ ، وذلك بمشورة عمر بن الخطَّاب ﷺ .

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٢) و «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣١٣) و «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن (٤٩٨٧) .

○ يقول أبو بكر ﭬ: «فو الله ما زال عمر يُكلِّمني حتى شرح الله صدري لما شرح الله صدره له»، فجمع القرآن، وكان مفرقًا في صدور الصَّحابة، وعلى الجلد، والرِّقاع، والأخشاب [1].

فجمع الصِّديقُ القرآن في صحفٍ، فجعل الصُّحف عنده، ثُمَّ انتقلت إلىٰ عمر، ثم توفي عمر، فانتقلت إلى حفصة.

ثم انتقلت من حفصة إلى عثمان بن عفَّان، فأمر بجمع الصُّحف في مصحف واحدٍ إمام، ثم ردَّ الصُّحف إليها، وأمر بجمع الصُّحف في الأمصار، وأرسل إلى كلِّ مِصْر - أي: إلى كلِّ بلدٍ أو قطر - بمصحفٍ واحدٍ إمام؛ لتجتمع كلمة الأمَّة على اللفظ والحرف الذي قرأ به القرآن نبيُّنا ﷺ.

وقال: أيُّها النَّاس، إنَّ القرآن واحد، جاء من عند الله - سبحانه وتعالى - وإنَّما أنا تابع لصاحبيَّ أبي بكر وعمر؛ ونظر عثمان لأصحابه. وقال: أكذلك هو؟ قالوا: اللَّهمَّ نعم.

هاتوا الرابعة: قالوا: إنَّك استعملت الأحداث! تدبر الإفلاس! أي: جعلت الولاة والقادة والأمراء من صغار السن!

أهذه حجة تنكر على خليفة المسلمين وعلى أمير المؤمنين؟!

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤٦٧٩).

أليس لأمير المؤمنين الحق في أن يختار من يشاء لما يشاء ؟

ألم تتفق الأمَّة بالإجماع على بيعة عثمان رضي الله عنه ؟!

ما ولَّت الأمَّةُ عثمان إلا لدينه وزهده وورعه وخلقه وفضله ؛ فكيف يُعاب عليه إن اختار واليًا ؟ كيف يُتَّهم إن اختار أميرًا ؟ كيف يُتَّهم إن اختار قائدًا ؟

• ثم ألم يختر النبيُّ ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ على أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي ـ رضوان الله عليهم أجمعين ؟[1].

• ألم يكن أسامة ـ وهو الشاب الذي يبلغ العشرين من عمره ـ قائدًا لجيش كبير ، انطلق ليناطح الصُّخور الصمَّاء في الرُّوم ؛ ليقلم أظفار هؤلاء الذين أغاروا على أطراف الدولة الإسلامية ، وتحت قيادة أسامة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وغير هؤلاء الكبار ؟!

ما كان السنُّ أبدًا عاملًا لتنحية الأكْفَاء .

وهذا ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما قد اختاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه عضوًا من أعضاء مجلس الشورى المكوَّن من أصحاب النبيِّ ﷺ الكبار ـ مع أشياخ بدر ـ ، وهو شابٌّ في ريعان الشَّباب !

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤٤٦٩) (مع الفتح ٧/ ٧٥٩) .

بل لما شعر عمر بشيء في نفس أصحابه ، من أنَّه يُدْخِلُ المجلس معهم هذا الشَّاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره ، أراد أن يبين لهم لماذا اختار ابن عبَّاس ؟ فسأل عمر المجلس كلَّه سؤالًا قال لهم : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١-٣] .

فقالوا : إنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ يأمر نبيه إذا فتح عليه أن يكثر من الاستغفار والتوبة . فالتفت عمر إلى ابن عبَّاس وقال : ماذا تقول يا ابن عبَّاس ؟

قال : أقول بغير هذا يا أمير المؤمنين . قال : ماذا تقول ؟ فقال ابن عبَّاس : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له (١) . يعني : أن الله ـ جلَّ وعلا ـ قد نعى بهذه السورة لرسول الله ﷺ أجله.

مسألة الفهم رزق ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فالقضية ليست بالسَّبق ، ولكن بالفضل والصِّدق .

● وفي « صحيح مسلم » أنَّ نافعَ بنَ عبدِ الحارث لَقِيَ عمرَ بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٤٩٧٠) .

الخَطَّابِ بعُسْفَان وَكانَ عُمَرُ اسْتَعَمَلَهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَقَالَ : مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ : ابْنَ أَبْزَى ؛ فَقَالَ عُمَرُ : وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ : مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا . فَقَالَ عُمَرُ : فاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى ؟! فقال : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ الله ، وإِنَّهُ عالِمٌ بالفَرائِضِ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ :

« إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ »[1] .

فهؤلاء قد رُفِعُوا بالقرآن والسُّنَّة ، وليس بالسنِّ إطلاقًا !!

فكم من عُمْرٍ طالت آماده ـ أي : طالت سنواته ـ وقلَّت أمداده ، وكم من عُمْرٍ قلَّت آماده وطالت أمداده !!

• يقول عثمان حينما قالوا له : لقد استعلمت الأحداث ـ أي : وليتَ صغار السن ؛ فقال ﷺ : «والله لم أستعمل إلا مَرْضِيًّا ، وقد وَلَّى مَنْ قبلي أحدث منهم ، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ في استعماله لأسامة أشد مما قيل ؛ أكذلك هو؟» قالوا : اللَّهمَّ نعم ، زالت الشُّبهة .

والله لو كان عندهم ذرة حياء لعادوا وكمَّموا أفواههم بعد أوَّل حجَّة ، ولكن هؤلاء ما خرجوا لله ، ما خرجوا إلا للباطل ، وإشعال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب ، فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (٨١٧) .

نار الفتنة ، وإلا فَمَنْ على الحقِّ كعثمان ؟ مَنْ في ورع عثمان وإيمانه ؟! وَمَنْ مِنْ هؤلاء الكذَّابين شهد له رسول الله ﷺ بالجنَّة كما شهد لعثمان ؟!

قالوا : الخامسة: إنَّك أعطيت ابن أبي السَّرح أكثر من إخوانه ، ونفَّلته خُمُسَ ما أفاء الله عليه من الغنائم .

فقال : « إنِّي أعطيتُ ابن أبي السَّرح ما أفاء الله عليه ، وإني نفَّلْته خُمُس ما أفاء الله عليهم من الخمس . وقد نفل مثل ذلك أبو بكر وعمر ، ولمَّا زعم الجند أنهم يكرهون ذلك رددته عليهم ، وليس لهم حقٌّ في ذلك ، أكذلك هو ؟ قالوا : اللَّهمَّ نعم .

هاتوا السادسة : قالوا : إنَّك تحبُّ أهل بيتك ، وتكثر لهم في العطاء !

فقال ﷺ: أما حُبِّي لأهل بيتي ؛ فإني لم أَمِلْ معهم إلى جَوْر ـ يعني : لم أجامل أهل بيتي ـ لحبي لهم ـ في حد من حدود الله ، أو في معصية ؛ بل أجري الحقوق عليهم ، كغيرهم من المسلمين.

وأمَّا إعطاؤهم ؛ فإنَّما أعطيهم من مالي ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ، ولا لأحدٍ من أهلي ، فو الله لم آكل منذ أن وليت الخلافة إلا من مالي ، ولا آكل من مال المسلمين ثم قال : أكذلك هو ؟ قالوا : اللَّهمَّ نعم .

* وفي «المصنف» لابن أبي شيبة [1] عَن ابن عمر ﷺ قال : «قد كنا

---

[1] «المصنف» (٢/ ١٩٤٢).

نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ : أفضل أمَّةِ رسول الله ﷺ : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وإنا والله ما نعلم عثمان فعل شيئًا بغير حق ، ولا جاء من الكبائر شيئًا ، ولكن هو هذا المال إن أعطاكموه رضيتم ، وإن أعطى إلى قرابته سخطتم ، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم ، لا يتركون لهم أميرًا إلا قتلوه» .

• **قال أبو نعيم في «تثبيت الإمامة»** [1] : « عثمان ﷺ أعلم ممَّن أنكر عليه ، وللأئمَّة إذا رأوا المصلحة للرَّعية في شيء أن يفعلوه ، ولا تجعل إنكار من جهل المصلحة حجَّة على من عرفها ، ولا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحقَّ من حيث لا يعرفون ، ولا يلزم عثمان ﷺ فيما أمر به إنكار لِمَا رأى من المصلحة ، فقد فرَّق رسول الله ﷺ غنائم حنين فى المؤلَّفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الأنصار لما رأى من المصلحة ، حتى قال قائلهم : تقسَّم غنائمنا في النَّاس ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ! فكان الذي دعاهم إلى الإنكار على ما فعل رسول الله ﷺ قلَّة معرفتهم بما رأى من المصلحة فيما قسَّم ، وكان أعظم من إنكار من أنكر على عثمان ﷺ ؛ لأنَّ مال المؤلَّفة من الغنيمة ، فلا يلزم عثمان ﷺ من إنكار من أنكر عليه شيء إلا ما لزم رسول الله ﷺ حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداءً بنبيه ﷺ» ا.هـ .

---

(1) «تثبيت الإمامة» (١٤٩).

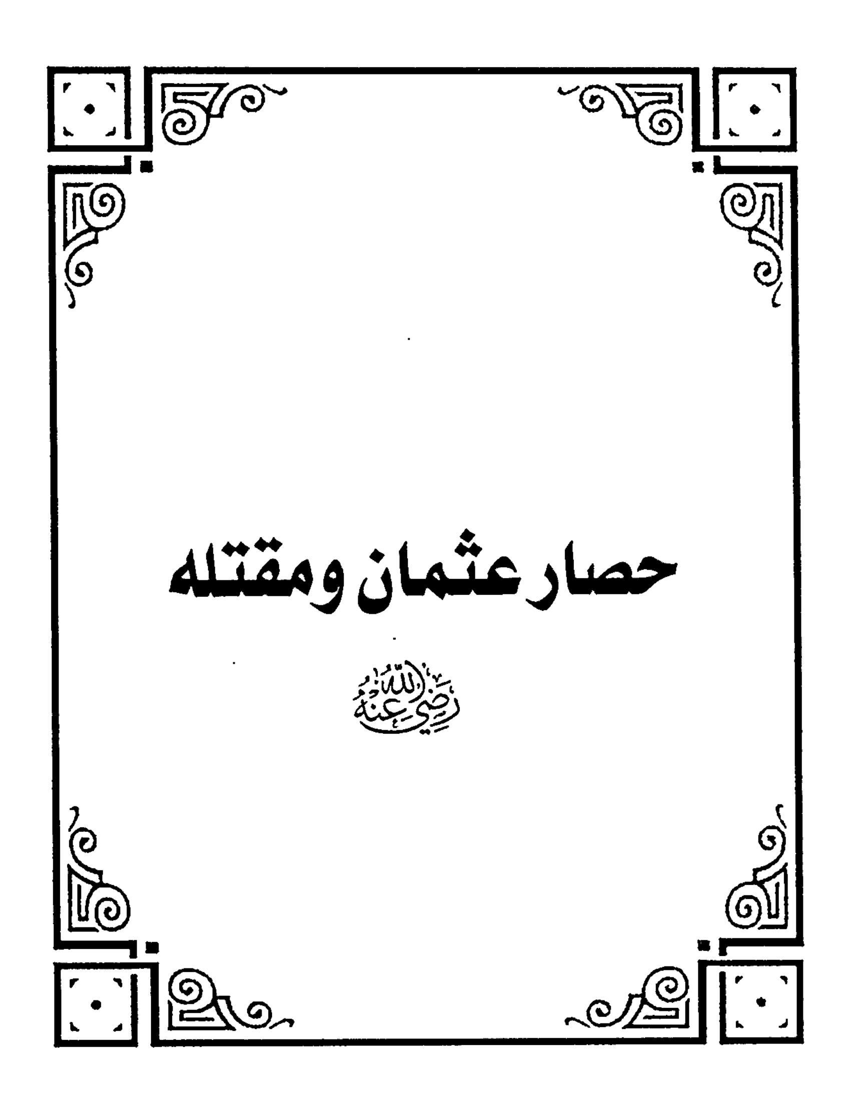
وظن عثمان بعد هذه الحجج الدَّامغة البالغة الوجيهة الناصعة أنَّه قد أصابَ مِنْ نفوسِ هؤلاء الخبثاء المجرمين موضعًا ، وظنَّ أن عفوه عنهم سيطفئُ نار الحقدِ والغلِّ المشتعلة في قلوبهم .

ولكنَّ القوم ـ كما ذكرت ـ ما خرجوا لله أبدًا ؛ وإنَّما خرجوا للفتنة ؛ فعادوا وتفرقوا .

عاد الفريق الذي جاء من البصرة إلى اتجاهه ، وعاد الفريق الذي جاء من الكوفة إلى اتجاهه ، وعاد الفريق الذي جاء من مصر إلى طريقه .

○ تدبر معي : وسرعان ما فوجئت المدينة مرة أخرى بهؤلاء المجرمين الخبثاء يحاصرون بيت عثمان من كلِّ ناحية .. كيف جاؤوا ، وما الذي جاء بهم ؟ وهذا ستتعرف عليه في الفصل التالي بإذن الله ـ جلَّ وعلا .





حصار عثمان ومقتله

رضي الله عنه

حصار عثمان ومقتله رضي الله عنه

انتهيت في الفصل السَّابق عند هذه الحجج الدَّامغة البالغة التي أقامها عثمان رضي الله عنه على الثُّوَّار الموتورين المجرمين، من الغوغاء والرِّعاع الذين خرجوا من الكوفة والبصرة والشَّام ومصر، وهم لا يريدون إلا أن يعزلوا عثمان رضي الله عنه أو يقتلوه، فما خرج القوم لله ـ جلَّ وعلا ـ أبدًا.

فكان من الواجب بعد ما أقام عثمان رضي الله عنه الحجَّة عليهم أن ينصرفوا، وقد عرفوا الحقَّ، ولكنَّهم ما خرجوا للحقِّ، وإنَّما خرجوا والحقد الأعمى يغلي في قلوبهم، وقد أعمى بصائرهم، لا يريدون إلا عزل الخليفة أو قتله.

ظن عثمان رضي الله عنه أن القوم بعد أن عفا عنهم وبيَّن لهم الصَّواب، أنَّهم سيعودون إلى بلادهم، بعد ما أخذ عليهم العهد أن يرجعوا، وألا يشقُّوا عصا، وألا يفرقوا جماعة المسلمين.

ولكن ـ كما ذكرت ـ ما خرج القوم إلا وقد خططوا، ودبَّروا لقتل عثمان رضي الله عنه، فبعدما انصرفوا من المدينة، وعاهدوا عثمان رضي الله عنه على ذلك، سرعان ما عادوا جميعًا على الرَّغم من اختلاف طرقهم التي سلكوها؛ ليفاجئوا المدينة يومًا بحصارهم بيت الخليفة من جديد.

سبحان الله ! كيف عاد أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام وأهل مصر في وقتٍ واحدٍ ؛ لتلتقي هذه العصابة المجرمة أمام بيت عثمان ؟!

والمعلوم أن الطَّريق إلى الشَّام يختلف تمامًا عن الطَّريق إلى البصرة ، وعن الطَّريق إلى الكوفة ، وعن الطَّريق إلى مصر ؟

● هذا سؤالٌ لابد أن ننتبه إليه .

○ والجواب : أن هؤلاء قد عادوا عبر مسرحيَّةٍ هزليَّة لا يجيدها إلا الأفَّاكون ، ادَّعوْا من خلال هذه المسرحيَّة الهزليَّة أنَّهم في طريق العودة ، قبضوا على رجل وقالوا : بأن هذا الرَّجل هو رسولٌ مِنْ قِبَلِ عثمان ﷺ إلى واليه على مصر !

وهذه أوَّل أكذوبة ؛ فوالي عثمانَ على مصر هو : عبدُ الله بن سعد بن أبي السَّرح ، كان قد استأذن عثمان ﷺ أن يركب إليه إلى المدينة ، بعد ما سمع ما سمع ، فأذن له عثمان ﷺ .

ففي الوقت الذي زعم فيه المجرمون الكذَّابون أن الرِّسالة جاءت من عثمان ﷺ إلى واليه على مصر ، كان واليه على مصر في طريقه إلى المدينة .

قالوا : بأنهم قبضوا على رسول أمير المؤمنين عثمان ! وقد أرسل معه عثمان كتابًا ـ أي : رسالة ـ بخطِّه وعليها خاتَمُهُ ، يأمر فيها عثمانُ

أميره في مصر - أي : عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح - أن يقتل هؤلاء أو يصلِّبهم ، فأقبلوا بهذا الكتاب المكذوب ! وعادوا إلى المدينة ، فأتوا عليًّا ﷺ فقالوا له : ألم تر إلى عدو الله - أي عثمان - كتب فينا بكذا ، وقد أحل الله دمه ؟ - هكذا يحكمون في الحال - فقم معنا إليه ؛ فقال علي ﷺ : والله لا أقوم معكم . قالوا : فلِمَ كتبت إلينا ؟

فقال عليٌّ ﷺ : والله ما كتبتُ إليكم ؟ فنظر بعضهم إلى بعض - وهذا يبين لنا أن هؤلاء ينقسمون إلى فريقين : فريق خادع وفريق مخدوع ، وما أكثر المخدوعين ؛ فالفريق الخادع الذي يقود الحركة ، القائد الذي يدبر المؤامرة السَّوداء هو الذي يقود المخدوعين من السُّذج والرِّعاع ، الذين انطلقوا وراء هؤلاء ينعقون وراء كلِّ ناعق.

والذي نظر ؛ كما يقول ابن العربي - رحمه الله : هو الفريق الثاني - أي : الفريق المخدوع - فتركهم عليٌّ ﷺ وخرج من المدينة فانطلقوا إلى عثمان ﷺ ؛ فقالوا له : لقد كَتبتَ فينا كذا وكذا ؛ فقال لهم عثمانُ الحييُّ الكريم : إمَّا أن تقيموا اثنين من المسلمين - أي : ليشهدا عليَّ - أني كتبت هذه الرسالة الخطيرة ، أو يميني [1] - فالبينة على من ادَّعى ، واليمين على من أنكر [2] .

---

(١) انظر : «العواصم من القواصم» لابن العربي (١/ ١٢٠، ١٣٣- ١٣٦) ط دار الجيل.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام ، باب : ما جاء أن البينة على المدعي واليمين على المدعي عليه (١٣٤١) ، والبيهقي ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وللحديث شاهد ؛ =

تدبر هذا النَّص ؛ لتقف على الأكذوبة الكبرى ، فلقد نُسب كتابٌ مزوَّرٌ إلى عثمان ﷺ ، ونُسب كتابٌ مزوَّرٌ إلى علي ﷺ ، ونُسب كتابٌ مزور ـ كما سنرى ـ إلى عائشة ﷺ لتتم الخطة !!

إن من أعجب العجب أن قوافل الثُّوَّار العراقيين التي كانت متباعدة في الشَّرق عن قوافل الثُّوَّار المصريين التي كانت في الغرب .

والتي أخذت طريقها لتسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر لتنزل إلى خليج السويس ، ثم إلى العريش ، فكيف التقت هذه القوافل في وقتٍ واحدٍ عند باب الخليفة ﷺ بعد ما سار كلُّ فريق في اتجاهه ؟! .

ولذا تدبر فقه وعبقرية عليٍّ ﷺ ؛ فهو أول من فَطِنَ لهذه الخطة الخبيثة ، ولم لا ؟!

وقد تربَّى عليٌّ في حجر المصطفى ﷺ وكفى ؟!

قال لهم ﷺ : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر ، وقد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا ؟! هذا والله أمر دُبِّر بالمدينة !!

استوعبتم ـ أيها الأحبة ـ هذه العبارات الخطيرة ! فلقد استأجر

أخرجه مسلم في كتاب الأقضية ، باب : اليمين على المدعي عليه (١٧١١) عن ابن عباس ، وانظر « الإرواء » (ح١٩٣٨، ٢٦٦١) .

هؤلاء راكبًا لينطلق إلى الشَّام بحكاية هذه الرِّسالة المكذوبة التي أمسك بها أهل مصر .

وأرسلوا في الوقت نفسه رسولًا آخر إلى أهل الكوفة ، وإلى أهل البصرة ، يخبرهم ما كان من أمر الرسالة المكذوبة على لسان عثمان ﷺ ليرجع الجميع في وقتٍ واحدٍ ، ولتلتقي هذه العصابة المجرمة حول بيت الخليفة ﷺ .

فقال الثُّوَّار العراقيون : فضعوه على ما شئتم ، لا حاجة لنا في الرَّجل ، ليعتزلنا [1] . أي: فضعوا الكتاب على ما شئتم . يعني : فسِّروه كما تريدون .

لكن انظر إلى ما خرجوا إليه أصلًا ، لا حاجة لنا بهذا الرَّجل ! هذا هو الهدف الذي من أجله خرجوا ، ولأجله التقوا !!

وهذا تسليمٌ واضحٌ منهم بأن قصَّة الكتاب مفتعلة ، وأن الغرض الأوَّل والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان ﷺ ، أو سفك دمه الذي عصمه الله ـ جلَّ وعلا ـ بشريعة نبيه ﷺ .

هذا الحوار الذي دار بين عليٍّ وبين الثُّوَّار مجمعٌ عليه في كل كتب السِّيرة والرِّوايات ، وهو نصٌّ قاطع على أن اليدَّ التي زوَّرت الكتاب

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٣) ط دار الكتب .

على عثمان ، وبعثت إلى العراقيين لتخبرهم بذلك ، ولتطلب منهم أن يعودوا إلى المدينة هي نفس اليد التي زوَّرت الكتاب باسم وخاتم علي بن أبي طالب ﭬ .

فالثُّوَّار ـ كما ذكرت ـ فريق خادع وهو القائد ، وفريق مخدوع وهم الكثرة ، وللأسف زُوِّر كتابٌ ثالث على لسان عائشة ، تُهيج فيه عائشة ـ أي : في هذا الكتاب المكذوب المزعوم ـ الصحابة على قتل عثمان ﭬ !!!

هل تتصور أن مؤمنةً من أمَّهاتنا الفاضلات في زماننا تهيج المسلمين على قتل عالمٍ من أهل السُّنَّة ؟ فكيف بأمِّ المؤمنين عائشة زوج النَّبيِّ ﷺ التي ترعرعت في بستان الوحي ، وسمعت القرآن وحدها من فم نبيِّها ﷺ ؟!

بل ما نزل جبريل بالقرآن أو بالوحي على زوج من زوجات النبيِّ ﷺ وهو في لحافها إلا في لحاف عائشة [(١)] .

فمن الذي يتصور ـ إلا وهو يحمل قلبًا من أمرض قلوب أهل الأرض ـ أن عائشة ﭭ تحثُّ وتُهيج الصَّحابة على قتل عثمان ﭬ !!!.

وتدبر ماذا قال لها مسروق بن الأجدع ـ ومسروق تابعي كريم جليل من كبار التَّابعين المقرَّبين إلى عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب: فضل عائشة ﭭ (٣٧٧٥) .

اليمان ، وعثمان ﷺ .

يُعاتب مسروق بن الأجدع أم المؤمنين عائشة ﷺ ويقول لها : لقد كتبت كتابًا تؤلِّبين النَّاس فيه للخروج على عثمان ؟! ـ فأقسمت عائشة قسمًا لم يقسم به أحد من قبلها قط ـ ماذا قالت عائشة ؟ قالت : أقسم بالله الذي آمن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ، ما كتبت إليهم سوداء في بيضاء» ؛ كما أخرج ذلك ابن أبي شيبة [(١)] وغيره وصححه الحافظ ابن كثير في «تاريخه» .

●أخي : هل تتصور أن عالمًا من علمائنا يكذب ؟ هذا مستحيل !! فمَنْ يتصور أن أمَّ المؤمنين عائشة تكذب ؟ ولصالح من ؟!

قفوا مع هذه الحقائق ؛ فلقد ذكرت ـ وأكرر: لا يجوز لأحد أن يتكلَّم في أصحاب النبي ﷺ إلا بأصول ؛ فإنَّ الحديث عنهم يتطلَّب صحَّة العقيدة ، وأمانة النَّقل ، ودقَّة الفهم ، وإخلاص النِّية ، ونظرة فاحصة مدققة لأراجيف المغرضين والكذَّابين والوضَّاعين والمبطلين .

فعائشة تقسم وتقول : « ما كتبت سوداء في بيضاء »أي : ما خططت خطًّا واحدًا في ورقة .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٦٣) وهو في «تاريخ خليفة بن خياط» (٣٩) عن عائشة بسندٍ صححه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٥) ، وراجع : «العواصم من القواصم» لابن العربي (١/ ١٤٢) .

● قال الحافظ ابن كثير [١] : « وفي هذا دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبَّحهم الله زوَّروا كتبًا على لسان الصَّحابة إلى الآفاق يحرِّضونهم على قتال عثمان » .

فاللعبة كلُّها لتشويه تاريخ أطهر الخلق بعد الأنبياء ، ولتزوير الحقائق ، ولتأليب الخلف على السَّلف ، ولتشويه حقبة من أحرج أوقات التَّاريخ الإسلامي حتى لا تصل إلينا ناصعة البياض .

لابد أن ينطلق كل مسلم صادق من هذه الأسس ، ومن هذه الأصول ليعلم عمَّن يتكلم ، وفي تاريخ من يقرأ ؟! إنَّه يتكلَّم عن القمم الذين قال في حقهم ابن مسعود رضي الله عنه : « إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، فَابْتَعَثَهُ لِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ » [٢] .

وقد ذكرت أن الله قد زكَّاهم وعدَّلهم في مواضع كثيرة في القرآن ، وأن رسول ﷺ قد زكَّاهم وعدَّلهم ، وشهد لكثيرٍ منهم بالجنة ، وهم يعيشون في الدُّنيا بين ظهرانيِّ النَّاس ، ويا لها ـ والله ـ من كرامة !

---

(١) «البداية» (٧/ ١٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) بسند حسن.

فتدبر معي - أيُّها الأخ الحبيب الكريم - لتقف على هذه اليد الخبيثة التي زوَّرت الكتاب على عثمان ، وزوَّرت الكتاب على عليٍّ ، وزوَّرت الكتاب على عائشة ، وزوَّرت بعد ذلك على طلحة والزبير - رضي الله عنهم جميعًا .

○ **والسؤال الخطير الآن** : أين كان الصحابةُ - رضوان الله عليهم - والثُّوَّار الموتورون المجرمون يحاصرون بيت الخليفة ؟

● والجواب : لقد كان عثمانُ ﷺ إزاء هذه الأحداث الخطيرة التي ألـمَّت به المثلَ الأعلى ، لما يمكن أن يقدمه الفردُ من تضحية في سبيل أمَّته ، وفي سبيل الجماعة .

فلقد كان بإمكان عثمان ﷺ أن يفدي نفسه بدماء الصَّحابة.

ما كان عليه فقط إلا أن يأمر الصَّحابة ؛ بل ما كان عليه إلا أن يتقبَّل رجاءَهم في أن يذبُّوا ويدفعوا عنه ، وفي أن يَحُولوا بينه وبين هؤلاء الموتورين المجرمين .

لقد حاول كلُّ الصَّحابة أن يفدوه ، ولكنهم لم يفلحوا ولم ينجحوا ؛ لماذا ؟

● يقول عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان ﷺ في الدَّار - أي : في داره يوم أن قُتِل - فقال عثمان : «أعزِمُ على كلِّ من رأى أنَّ عليه

سمعًا وطاعة لي إلا كفَّ يده وسلاحه ؛ فإنَّ أفضلكم عندي غناء ؛ من كفَّ يده وسلاحه» [(١)].

● وعن محمَّد بن سيرين قال : انطَلَقَ الحسن والحسين وابن عمرو وابن الزبير ومروان يحملون السلاح حتَّى دخلوا دار عثمان ، فماذا قال عثمان ؟ قال لهم ـ رضوان الله عليهم جميعًا : «أعزمُ عليكم أن ترجعوا ، وأن تضعوا أسلحتكم ، وأن تلزموا بيوتكم» [(٢)].

● وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال لعثمان : «اليوم طاب الضَّرب معك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عثمان : أعزم عليك لتخرجنَّ إلى بيتك يا أبا هريرة» [(٣)].

● وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن الزُّبير قال : قلت لعثمان يوم الدار : اخرج فقاتلهم ؛ فإنَّ معك من قد نصر الله بأقل منهم ، والله إنَّ قتالهم لحلال .

يقول عبد الله بن الزُّبير : فأبى عثمان ﷺ [(٤)].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه» (٨/ ٦٨١ح٨) ، وخليفة بن خياط في «تاريخه» (٣٨) ، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٧٠) بسند صحيح .

(٢) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (٣٩) ، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣٩١) وانظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٤٤٧) .

(٣) أخرجه خليفة بن خياط في (٣٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣٩٦) ، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٧٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه» (٨/ ٦٨١ح٩) ، وابن سعد (٣/ ٧٠) ، ومن طريقه ابن عساكر (٣٩/ ٣٩٤) .

● وأخرج أيضًا ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال : جاء زيد بن ثابت إلى عثمان ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين ، الأنصار بالباب ؛ فإن شئت أن نكون أنصار الله مرتين ؛ فأمرنا نقاتل ؟ أي مرَّة ينصرون فيها النبيَّ ﷺ ومرَّة ينصرون فيها عثمان ، فقال عثمان : أمَّا القتال فلا .

وفي رواية : لا حاجة لي بذلك ؛ فكفُّوا [1] .

● وروى ابن عساكر بإسناده إلى جابر بن عبد الله ﷺ أن علي بن أبي طالب ﷺ انطلق وهو معتم بعمامة رسول الله ﷺ مع خمسمائة دَارِعٍ من أبطال الصحابة ، وقال لأمير المؤمنين : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أمنعك من القوم ؛ فإنك لم تحدث شيئًا يستحلُّون به دمك ؟ فقال عثمان : جزيت خيرًا يا علي ؛ ما أحب أن يهراق دم بسببي [2] .

وهكذا تجمَّع حول عثمان ﷺ كثيرٌ من أبطال الصَّحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ؛ ليدافعوا ويذودوا عن أمير المؤمنين ﷺ والله لو أذن لهم عثمان في الحرب لحاربوا دون عثمان ﷺ .

● يقول القاضي أبو بكر بن العربي [3] ــ رحمه الله وطيب ثراه ــ في

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه» (٨/ ٦٨١ح ١١) وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٧٠) ومن طريقه ابن عساكر (٣٩/ ٣٩٥،٣٩٦) .

(٢) أخرجه ابن عساكر (٣٩/ ٣٩٨) .

(٣) «العواصم» (١٤٥) ط دار الجيل.

كتابه الماتع المهم في هذا الباب « العواصم من القواصم » :«إنَّ عثمان مظلومٌ محجوج بغير حجَّة ، وأن الصَّحابة برآء فى زمَّته بأجمعهم ، لأنَّهم أتوا إرادته ، وسلَّموا له رأيه فى إسلام نفسه» .

فعثمان ﷺ قتل ، والصَّحابة برآء من دمه ؛ لأنه مَنَعَ من قتال من ثار عليه ، وروى عنه أنه قال : « لا أكون أوَّل من خلف رسول الله ﷺ في أمَّته بسفك الدِّماء » فصبر على البلاء واستسلم للمحنة ، وفدى الأمَّة بنفسه ودمه .

○ والسؤال الآخر : هل كان عثمان ـ ولو لم يأذن للصَّحابة بالقتال ـ عاجزًا عن الفرار إلى الشَّام أو إلى مصر ، أو إلى بلد من البلدان ، لأي والٍ من ولاته على هذا المصر ؟

● والجواب : لا ؛ بل طُلِبَ منه أن يفر ؛ لقد قال معاوية ﷺ لعثمان ﷺ : يا أمير المؤمنين ، أبعث إليكم جندًا ـ أي : من أهل الشام ـ ليقيم معك إن نابت المدينة نائبة أو إيَّاك ؟

فماذا قال عثمان ﷺ ؟ قال : أخشى أن أضيِّق الطُّرق والأرزاق بجندك على أصحاب رسول الله ﷺ في المدينة ـ يا خالق عثمان ، سبحانك !!!

فقال له معاوية : إذًا فاخرج إلى الشَّام ، لا تبق بالمدينة ؟ فقال عثمان

رضي الله عنه : والله ما كنت لأقبل جوارًا على جوار رسول الله ﷺ أبدًا[١] .

إنَّ عثمان رضي الله عنه قوي الإيمان ، راسخ اليقين ، كبير النَّفس ، وكان يعلم يقينًا أنَّه سيبتلى .

ألم يخبره رسول الله ﷺ بذلك ؟ ألم يبشره رسول الله ﷺ على بلوى تصيبه ؟ ألم يعاهد عثمانُ رسولَ الله ﷺ على الصبر إذا ما وقعت به الفتنة ؟[٢].

○الجواب : بلى ، وهذه الفتنة قد وقعت ، فَلْتَصْدُقِ اللهَ يا عثمانُ ، ولْتَفِ بعهدك لرسولك وحبيبك ﷺ !!!

● ففي مسند أحمد ومستدرك الحاكم ومصنف ابن أبي شيبة[٣] عن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: « **مَنْ نَجَا مِنْ ثَلاَثٍ فَقَدْ نَجَا ، مَنْ نَجَا مِنْ ثَلاَثٍ فَقَدْ نَجَا ، مَنْ نَجَا مِنْ ثَلاَثٍ فَقَدْ نَجَا** » قَالُوا : مَاذَا يَا رَسُولِ الله ؟ قَالَ : «**مَوْتِي ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ ، وَقَتْلُ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ يُعْطِيهِ** » . وهذا هو ما كان منه رضي الله عنه .

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٠) و «البداية والنهاية» (٧/ ١٦٩) و «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٤٤١) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٩٠)، والحاكم (٣/ ١٠٨)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٦٤٥) : «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة» ، وصححه الشيخ الألباني في « ظلال الجنة» (١١٧٧).

فلقد فدى عثمان ﷺ الأمَّة كلِّها ونظام الخلافة بنفسه ؛ إذ لو تنازل عثمان لهؤلاء المجرمين لصارت سنَّة ، فكلُّ عصبة مجرمة لا ترضى عن خليفة المسلمين أو عن أميرها ، تقوم عليه لتخلعه !!

ولكن عثمان ﷺ تمسك ، لا حرصًا على الكرسي ؛ فهؤلاء ليسوا من هذا الصِّنف.

ومما لا شك فيه أن عثمان بهذا الصنيع قدَّم أعظم وأقوى ما يفعله رجلٌ صادق لأمَّة قلَّدته مقاليد الأمور.

لقد كان عثمان ﷺ يعلم يقينًا أنَّ هذه الفتنة ستقع ، وقد وافقه الصحابيُّ الجليل عبد الله بن عمر ﷺ ألَّا يخلع نفسه ، وعلى أن يصبر .

○ والحديث رواه أحمد في « فضائل الصحابة »وابن أبي شيبة وغيرهما[1] بسندٍ صحيح عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال لي عثمان وهو محصور في الدار ، وعنده المغيرة بن الأخنس ﷺ : انظر ما يقول هؤلاء القوم ، يقولون : اخلعها ولا تقتل نفسك ـ يعني : انج بنفسك واترك الخلافة.

فقال ابن عمر : يا أمير المؤمنين ، إذا خلعتها أمخلَّد أنت في الدُّنيا ؟

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٦٨٠/ ح٣) ، وأخرجه أحمد في كتاب فضائل الصحابة (١/ ٤٧٣) برقم (٧٦٧) ، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٦٦) ، وخليفة بن خياط في تاريخه (٣٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣٥٦ـ٣٥٨) .

ـ تدبر النصيحة الصادقة : يا أمير المؤمنين ، إذا خلعتها ـ أي : الخلافة ـ أمخلد أنت في الدنيا ؟ـ قال : لا . قال : فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال : لا ، قال : فهل يملكون لك جنَّة أو نارًا ؟ قال : لا ، قال ابن عمر : فلا أرى أن تخلع قميصًا قمَّصكه الله ﷻ فتكون سنَّة ، كلَّما كره قوم خليفتهم قتلوه ، حتى لا يقوم لله دين ، ولا للمسلمين نظام » .

●وأخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح من حديث عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ قال يومًا وهو يجلس في بيت عائشة ـ رضي الله عنها :

« ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي »، فقالت عائشة : أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: «لَا» ، قَالَتْ : عُمَرُ ؟ قَالَ : «لاَ»، قَالَتْ : ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ ؟ قَالَ: «لاَ». قَالَتْ : عُثْمَانُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ».

قالت عائشة : فَلَمَّا جَاءَ عُثْمَانُ قَالَ: « تَنَحَّي ». فَجَعَلَ يُسَارُّهُ وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ ـ أي : في اليوم الذي حاصروا فيه عثمان ـ وَحُصِرَ فِيهَا قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلاَ تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لاَ ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ [1].

هذا العهد كما هو معلوم ، وسأبين الآن ـ ألا يخلع عثمان نفسه أبدًا

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/ ٥١، ٢١٤) ، وابن ماجه في «المقدمة» (١١٣) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٨/ ٦٨١ح ٤) ، وأبو نعيم في« الحلية » (١/ ٥٨) ، وقال البوصيري : « إسناده صحيح رجاله ثقات» وصححه الشيخ الألباني فى صحيح ابن ماجه .

من الخلافة ، حتى لا يكون هذا الأمر سابقة في تاريخ هذه الأمَّة .

● ومن الأحاديث الجميلة الموضِّحة لذلك ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد في « مسنده » ، وابن ماجه في « سننه » والترمذي في «سننه» بسند صححه الألباني في « سنن الترمذي » ، و« سنن ابن ماجه » من طريق عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يَا عُثْمَانُ ، إِنَّهُ لَعَلَّ الله يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ لَهُمْ »(١) .

يقول النبيُّ ﷺ ذلك لعثمان ثلاث مرات .

هل هناك أمر أصرح من هذا ؟ والرَّسولُ ﷺ لا ينطق عن الهوى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[النجم:٣ـ٥] .

●وفي رواية : « يَا عُثْمَانُ ، إِنَّكَ مَقْتُولٌ مُسْتَشْهَدٌ ، فَاصْبِرْ صَبَّرَكَ الله ، وَلَا تَخْلَعَنَّ قَمِيصًا قَمَّصَكَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ »(٢) يعني : الخلافة .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/ ٧٥) ، والترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان ابن عفان ﷺ(٣٧٠٥) ، وابن ماجه في «المقدمة» ، باب : فضل عثمان ﷺ(١١٢) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٩٤٧) ، وانظر : «ظلال الجنة» (١١٧٢) و(١١٧٣) .

(٢)عند أبي يعلى في «مسنده» (٧٠٤٥) ، ومن طريقه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٦٤) وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٢٨٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٠) : «رواه أبو يعلى وفي إسناده إبراهيم بن عمر بن عثمان العثماني وهو ضعيف».

وأنا ـ ورب الكعبة ـ ألمس استجابة كريمة لدعوة النبيِّ ﷺ لعثمان رضي الله عنه انعكست على أقواله وأفعاله ، من أول لحظة خرج فيها المجرمون لملاقاته في المدينة .

نعم ؛ لقد استجاب الله دعاء نبيِّه ﷺ ، فصبَّر الله عثمان صبرًا تنوء عن حمله الجبالُ الرَّاسيات !!

أوامر من النبيِّ ﷺ بالصبر ، وعدم القتال ، وعدم الاختلاع من الخلافة ، فصبر عثمان رضي الله عنه ، ولم يقاتل ، ولم يختلع ، ومَنَّ الله عليه بالشَّهادة !!!

وفي هذه الأحاديث التي ذكرتُ دلالةً واضحةً على أن من قتل عثمان رضي الله عنه من المنافقين المجرمين بشهادة النبيِّ ﷺ الصادق الأمين ـ الذي لا ينطق عن الهوى ـ وفي اللَّيلة المقدَّرة في السَّنة الخامسة والثَّلاثين من الهجرة ، قام فصلَّى من اللَّيل ما قدَّر الله له أن يصلِّي ، وقرأ من القرآن ما قدَّر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ له أن يقرأ ، ونام فجاءه المصطفى ﷺ في رؤياه ، وقال له ﷺ : « **أَفْطِرْ عِنْدَنَا غَدًا يَا عُثْمَانُ** » [١] .

وفي لفظٍ : « **إِنَّكَ سَتُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ يَا عُثْمَانُ** » .

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» والحاكم في« المستدرك » [٢] وصححه

---

(١) عند الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٧١) وابن الأثير في الكامل (٢/ ٥٤٥) عن أبي سعيد .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٠) ، والبزار في «مسنده»=

ـ وأقره الذهبي ـ من حديث ابن عمر أن عثمان أصبح فحدَّث فقال : إنِّي رأيتُ النَّبيّ ﷺ في المنام اللَّيلة ؛ فقال :«يا عُثْمانُ ، أَفْطِرْ عِنْدَنا» ، فأصبحَ عثمانُ صَائمًا ، فَقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ ـ رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُ.

• وفي رواية أحمد[١] بسندٍ حسنٍ أن عثمان ﷺ قال :إنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ الْبَارِحَةَ فِي الْـمَنَامِ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا لي: اصْبِرْ فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا الْقَابِلَةَ ـ فأصبح عثمان صائمًا ـ ثُمَّ دَعَا بِمُصْحَفٍ ـ مصحفه الذي يقرأ فيه ، الذي جمعه هو ﷺ ـ فَنَشَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُتِلَ ـ عثمان ﷺ ـ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ[٢] .

• وفي زوائد فضائل الصَّحابة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بسندٍ صحيح عن عمرة بنت أرطأة قالت : خرجت مع عائشة ﷺ إلى مكَّة في السَّنة التي قتل فيها عثمان ـ أي : خرجت للحج ـ تقول : وفي طريق عودتنا مررنا بالمدينة ، ورأينا المصحف الذي كان في حجر

= (٣٤٧) ، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٣٨٤) .

(١) في «المسند» (١/ ٧٢) وعبد الله في الفضائل (٨٠٩) ، ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٧٥٣) ، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٧٥) ، وابن عساكر (٣٩/ ٣٨٧،٤٠٠) عن عثمان . وصحح سنده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٢) وللحديث شواهد : من حديث نائلة عند عبد الله بن أحمد (١/ ٧٣) في زوائد المسند ، وفي فضائل الصحابة (٨١١) ، وابن أبي شيبة (٦/ ١٨١ ،٣٦٢) ، وابن سعد (٣/ ٧٤) ، وابن عساكر (٣٩/ ٣٨٧) وانظر: «علل الدارقطني» (٢٨٩) وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة عند البخاري في التاريخ الكبير، (تعليقًا ٥/ ٣٧١) ، وأحمد في «الزهد» (١٢٨).

عثمان ﷺ يوم قتل .

تقول : فكانت أول قطرة قطرت من دمه قد نزلت على قول الله تعالى في المصحف بين يديه: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٣٧]

قالت عمرة : فو الله ما مات منهم رجل سويًّا [١].

● وعن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة فإذا برجل يقول : اللهم اغفر لي ، وما أظن أن تغفر لي . يقول: فتعجبت منه ، فقلت : يا عبد الله ، ما سمعت أحدًا يقول مثل ما تقول! فقال الرَّجل : إنِّي كنت قد أعطيت الله عهدًا لئن مكَّنني من عثمان بن عفَّان لأصفعنَّه !!

فلما قُتل ووضع في سريره في البيت . كان النَّاس يأتون ، ويصلُّون عليه ، وهو في بيته ، فدخلت أُظهر أنِّي أريد الصَّلاة عليه ، فلمَّا رأيتُ أن البيت ليس فيه أحد ، كشفتُ عن وجهه فصفعتُه ، وهو ميت ، فيبست يدي - أي شُلَّت - قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنَّها عود [٢] .

● وعن ابن عمر ﷺ قال : بينما عثمان يخطب إذ قام إليه رجل ، يُقال له جهجاه الغفاري تناول عصًا كانت في يد عثمان فكسرها على

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « الزهد» (ص١٥٩) ، وفضائل الصحابة (١/ ٥٠١) برقم (٨١٧) وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ» كما في «البداية» لابن كثير (٧/ ١٩١) مكتبة المعارف ومن طريقة ابن عساكر (٧٠/ ١٤١).

ركبته ، فرمي عن ذلك الموضع بآكلة .

وفي رواية : وصاح به الناس ، ونزل عثمان حتى دخل داره ، ورمى الله الغفاري في ركبته ، فلم يحل عليه الحول حتى مات (١) .

● وقال الحسن البصري : «ما علمتُ أحدًا أشرك في دم عثمان ، ولا أعان عليه إلا قتل» (٢).

والمتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان المعتدين عليه يجد أن الله تعالى لم يمهلهم ، بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم ، فلم ينج منهم أحد ، وهو سبحانه حسب المؤمنين .

فلمّا أصبح عثمانُ ، أمر الصَّحابةَ أن ينصرفوا ، وفتح بابَ داره وهو صائم ، وقد شدَّ على نفسه السَّراويل ؛ وهو يعلم يقينًا أنَّه مقتول ، ويخشى لفرط حيائه أن تكشف عورته ، فشدَّ على نفسه السَّراويل ، وفتح كتاب الله بين يديه ، وجلس يقرأ القرآن الكريم ، وهو ينتظر انقضاض المجرمين عليه في أي لحظة ؛ بل هو ينتظر ويرجو أن تقترب هذه اللحظة ؛ ليسعد بالإفطار مع رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر .

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٧٩) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٨).
(٢) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٥٢).

وانقضَّ عليه المجرمون الآثمون كالذِّئاب المسعورة[١] ، فضربه الغافقي بحديدة معه ، والتفت الغافقيُّ إلى المصحف في حجر عثمان ، فضرب الغافقيُّ المصحفَ برجله فاستدار المصحفُ دورةً كاملة ، واستقر مرة أخرى في حجرِ عثمان لتخالطه دماءُ عثمان ، كما خالطت آياتُ القرآن دماء عثمان !

أهؤلاء قوم خرجوا لله ؟ يضرب المصحفَ برجله ويدَّعي أنه خارج لله .

وها هو عثمان رضي الله عنه الصَّابر الأوَّاب لم يقاوم ولم يتحرك من مجلسه ؛ بل ظل جالسًا على كتاب الله كالطَّود الشامخ ، واستمر عثمان يقرأ

---

(١) وأحبُّ أن أنبِّه في هذا المقام الذي زلَّت فيه أقلام ، وزاغت فيه أفهام إلى مسألة من الخطورة بمكانٍ ألا وهي : أنَّهُ لم يشارك في قتل عثمان رضي الله عنه أحدٌ من أصحاب النبي ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ، وإنما الذي شارك في قتله هم من السبئية والمنافقين ؛ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حديثه الصحيح ، وقد أشرت إلى ذلك ؛ ولذلك قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٧) : « وأمَّا ما ذكره بعض النَّاس مِنْ أنَّ بعض الصَّحابة أسلمه ورضي بقتله ؛ فهذا لا يصحُّ عن أحدٍ من الصَّحابة أنَّه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ؛ بل كلهم كرهه ومقته ، وسبَّ من فعله ، ولكنَّ بعضهم كان يودُّ لو خلع نفسه من الأمر ؛ كعمَّار بن ياسر ، ومحمد ابن أبي بكر ، وعمرو بن الحمق ، وغيرهم » ا.هـ .

وما جاء في ذلك من روايات تقدح في أحدٍ منهم ، فلا يثبت بحال ، إذ هي من رواية الكذَّابين والوضَّاعين كالواقدي وغيره .

وهذا ما أدين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به ؛ فالصحابة مبرؤون ومنزهون عن ذلك ، فليسوا طلَّاب كراسي ، ولا مناصب ، ولا جاه ، وأسأل الله أن يجمعني بهم في جنَّات النعيم مع سيد النَّبيِّين

كتاب الله - جلَّ وعلا - فانقضَّ عليه مجرم يُقال له : التجَيْبِيُّ [١]، فضرب عثمان ﷺ ضربة آثمة، فأصابت كَفَّ عثمان ؛ فقال عثمان : الحمد لله ، والله إنَّها يد خطت المُفَصَّل [٢]، وكتبت القرآن لرسول الله ﷺ.

فلقد كان عثمان من كُتَّاب الوحي للمصطفى ﷺ.

وجاء التجيبيُّ مخترطًا سيفه فوضع السَّيف في بطن عثمان ﷺ.

فجاءت زوجته الصَّابرة الوفيَّة التَّقيَّة النَّقيَّة العفيفة الطَّاهرةُ : نائلة - رضوان الله عليها - لتفدي عثمان ﷺ بروحها ودمها ونفسها ، فطعنها هذا المجرم فقطع يدها ، ولما جرت نظر إلى مؤخرتها ؛ فقال : ما أعظم عجيزتها [٣] !! عليهم من الله ما يستحقون !

كل هذا والخليفة صابر ، وهو الحييُّ الوقور ، إنه رجل جاوز الثَّمانين من عمره ، إنَّه زوج ابنتي رسول الله ﷺ ، إنَّه صاحب بئر رومة ، وإنَّه مجهز جيش العسرة ، إنَّه جامع القرآن ، إنَّه كاتب الوحي لرسول الله ﷺ .

---

(١) هو رجل من بني سدوس يقال له : الموت الأسود ، واسمه : كنانة بن بشر - لعنه الله .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل (٧٦٥ ، ٧٦٦) والطبري في تاريخه (٢/ ٦٧١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٢٠) وخليفه بن خياط في تاريخه (٣٩) ، وابن حبان (٦٩١٩) ، وابن أبي داود في «المصاحف» كما في «فضائل القرآن» (٣٩) و «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٣٩ ، ٣٤٠) وابن عساكر (٣٩/ ٤١١ ، ٤١٤) .

(٣) انظر التعليق المتقدم .

ألم أقل لكم إن الذي يؤلم القلب ويبكي العين ؛ بل ويُدْمي الفؤاد أن هؤلاء المجرمين الخبثاء في كل عصر ، وفي كل مصر يرفعون الحرب ، ويشعلونها على أئمَّة الدِّين ، وقادة الأمَّة باسم الإسلام .

باسم الإسلام يرفعون شعار : لله ـ تعالى ـ لصالح الإسلام ! للحرب على الإرهاب ! للقضاء على التطرف !

إنهم يريدون أن يطمسوا هُوية الدِّين تحت هذه الشِّعارات المضللة الخبيثة الكاذبة . ولم يكتف المجرمون الخبثاء بهذا الأمر ، وإنما أبى ورعهم الباهت وزهدهم الكاذب ، أن يُدفن عثمانُ ﷺ في مقابر المسلمين !

هل تتصور هذا ؟! إلى هذا الحدِّ من الورع ، والزُّهد الكاذب الباهت المريض ، يقف هؤلاء ويمنعون تمامًا أن يُدْفن عثمان ﷺ في مقابر المسلمين في البقيع ، وإنما دفن ابتداءً خارج المقابر ، ثم بعد ذلك اتَّسعت البقيع وأدخلوا عثمان ﷺ إلى مقابر المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

إنَّ مكمن الخطر أن تُعْلَنَ الحربُ دومًا على القيادة ؟ لقطع رأسها ولتحطيم أضلاعها باسم الإسلام ، ومن أجل الله ـ تعالى !!

والمصيبة الكبرى أن الأمر ينطلي على كثير من السُّذج والرِّعاع والغوغاء ، الذين يتَّبعون وينقادون لكلِّ ناعق بالهوى والباطل والضَّلال ،

فهؤلاء المجرمون غوغاء من الأمصار ؛ كما وصفهم الزبير ﷺ [١].

● وهم نُزَّاع القبائل ؛ كما وصفتهم عائشة ﷺ [٢] وحُثالة النَّاس ، متفقون على الشر؛ كما في ابن سعد في « الطبقات » [٣].

● وهم رِعاع من غَوغاءِ القبائل ؛ كما ذكر النووي في «شرح صحيح مسلم» [٤].

● وهم خوارج مفسدون ظالمون باغون معتدون ؛ كما قال ابن تيمية في « منهاج السنة » [٥].

وهم رؤوس الشَّر والجفاء ؛ كما يقول الذَّهبي في « دول الإسلام » .

وهم أراذل من أوباش القبائل ؛ كما وصفهم ابن العماد الحنبلي في« الشَّذرات ».

هؤلاء هم قتلة عثمان ﷺ ليس من الصحابة أبدًا واحدٌ منهم!! كما فَصَّلْتُ قبل ذلك .

وقد قُتل عثمان ﷺ في ذي الحجة بالإجماع ، والجمهور على أن ذلك كان في يوم الجمعة لثمانِ عشرة خلت من ذي الحجة في السَّنة الخامسة

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٤، ١٩) .

(٣) «الطبقات» (٣/ ٧١) .

(٤) (١٥/ ١٤٨).

(٥) (٦/ ٢٩٧).

بعد الثَّلاثين من الهجرة ، وهو ابن اثنين وثمانين سنة وأشهر على قول الجمهور .

وقام نفرٌ من الصَّحابة يوم قتله فغسَّلُوه ، وكفَّنُوه ، وحملوه على باب ، ومن هؤلاء : حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العزَّى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وينار بن مكرم الأسلمي ، وجبير بن مطعم ، والزُّبير بن العوَّام ،وعلي بن أبي طالب .

وصلَّى عليه جبير بن مطعم ، وقيل : الزُّبير بن العوَّام ، وقيل : حكيم ابن حزام ، وقيل : مرْوان بن الحكم ، وقيل : المسوربن مخرمة[١] .

ورجحت رواية في مسند أحمد أن الذي صلَّى عليه هو الزُّبير بن العوَّام[٢] .

وكان عثمان ﷺ أوصى إليه ، ودفن يوم السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب بالبقيع ، وكان عثمان قد اشتراه فوسَّع به البقيع[٣] .

أتوقف عند هذا القدر لأواصل الحديث ـ إن شاء الله تعالى ـ في الفصل القادم عن هذه الفتنة الحالكة السَّواد لأُجَلِّيَ الحقَّ من الباطل لنبرِّئ ساحة أصحاب النبيِّ ﷺ في وقتٍ تطاول فيه الأقزام على القمم !

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٩).

(٢) انظر «مسند أحمد» (١/ ٧٤).

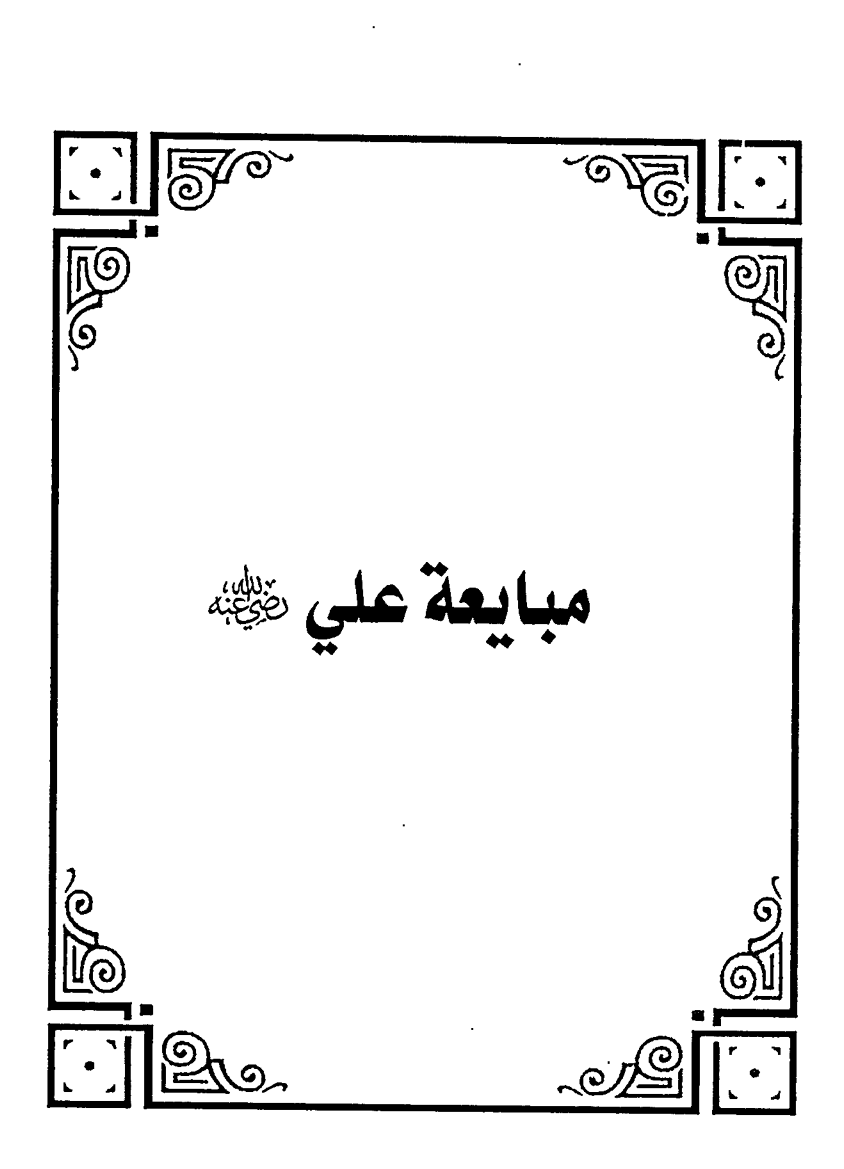
(٣) الإصابة (ترجمة عثمان ٥٤٥٢) (٤/ ٤٥٨) ط الجيل.

وإلا فورب الكعبة أنا أشعر بضآلة وحقارة أن يتقدم مِثْلي ليذبَّ عن أصحاب النبيِّ ﷺ.

فأنا ـ والله ـ لا أرفع من قدرهم ؛ وإنَّما أرفع من قدري وقدركم بالذَّود عن حياضهم ﷺ.

لأنني أعلم علم اليقين قَدْر أصحابِ سيِّد المرسلين ﷺ، وأعلم علم اليقين قدر نفسي ، فأنا لا أساوي حبَّة رمل وطئتها نعل عثمان ﷺ، وأسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجمعنا بهم في جنَّات النَّعيم ، وأن يتقبل منا ومنهم ومنكم جميعًا صالح الأعمال ؛ إنه وليُّ ذلك ومولاه .





مبايعة علي رضي الله عنه

مبايعة علي ﷺ

○ يقول القاضي ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه الماتع القيم « العواصم من القواصم »[1] : «فلما قضى الله من أمره ما قضى ومضى في قدره ما مضى ، علم أنَّ الحقَّ لا يترك النَّاس سُدى ؛ وأنَّ الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النَّظر فيه ، ولم يكن بعد الثَّلاثة كالرَّابع قدرًا وعلمًا وتقى ودينًا ؛ فانعقدت له البيعة ـ أي : لعلي ﷺ .

ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي ﷺ لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه ، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار .ورأى عليٌّ ﷺ أنَّ ذلك فرض عليه فانقاد إليه» ا. هـ .

○ قال الحافظ الذهبيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ في شأن البيعة لعليٍّ : « لمَّا قتل عثمانُ ﷺ سعى النَّاس إلى عليٍّ ﷺ وقالوا : لا بد للنَّاس من إمام ؟ فحضر طلحة بن عبيد الله ﷺ والزُّبير بن العوَّام ﷺ وسعد بن أبي وقاص ، والأعيان من المهاجرين والأنصار ﷺ ، فبايعوا عليًّا ﷺ ، وكان أوَّل من بايعه : طلحة بن عبيد الله ﷺ ، ثم تتابع الناسُ بعد ذلك» وقد بويع عليٌّ ﷺ يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي

---

(١) (١٤٦) ط دار الجيل .

الحجَّة ، في سنة خمس وثلاثين وقيل لخمس بقين من ذي الحجَّة [١] .

تصور معي أن المدينة ظلت خمسة أيام ـ على الرَّاجح من أقوال أهل السِّير ـ بدون إمام بعد مقتل عثمان ﷺ .

بل وتزداد الفجيعة حينما تعلم أن الغافقي قاتِلَ عثمان هو الذي كان يقود أمر المسلمين ؛ بل ويتقدم للصَّلاة في مسجد النبيِّ الأمين ﷺ [٢]، يا لها من فتنة! .

وأستهلُّ هذه الروايات في بيعة عليٍّ برواية واضحة ؛ لأنه قد قيل ما قيل ، وشُحنت كتبُ التَّاريخ والسِّير بالرِّوايات الموضوعة ، التي لا يجوز بحال أن تنسب إلى أصحاب سيِّد الرِّجال ﷺ ! .

فأستهل هذه الرِّوايات بروايةٍ مؤثرةٍ جدًّا عن علي ﷺ ، رواها الحاكم في «المستدرك» والحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » عن قيس بن عبَّاد يقول : سمعت عليًّا ﷺ يوم الجمل ـ وسأتحدث عن فتنة الجمل بالتفصيل ، إن شاء الله تعالى ـ يقول [٣] : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمان ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَقَدْ طَاشَ

(١) انظر : «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٣١) .

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ١٥٥) ط الفكر ، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢١٤،٢١٥) و «العواصم» لابن العربي (ص١٤٧) تعليق محب الدين الخطيب .

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ١٠١) ، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣) ، وابن عساكر (٣٩/ ٤٥٠) .

عَقْلِي يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ، وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي » تدبر كلام علي رضي الله عنه .

يقول : «وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي ، وَجَاؤُونِي لِلْبَيْعَةِ ، فَقُلْتُ : وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ أُبَايِعَ قَوْمًا قَتَلُوا رَجُلًا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ؟! »[(١)] .

هؤلاء ـ ورب الكعبة ـ ما كانوا أبدًا طلَّاب مناصب أو كراسي .

○ يقول علي رضي الله عنه : «والله إني لأستحي مِنَ اللهَ أنْ أُبايعَ وعُثمان قتيلُ الأرْضِ لَمْ يُدفن بعد ، فانصرفوا لَمَّا قال لهم ذلك ؛ فلمَّا دُفِن ـ أي : عثمان رضي الله عنه ـ رجَعَ النَّاسُ يَسْألونَ البيْعَةَ ؛ فقلْتُ : اللهمَّ إنِّي مشفقٌ ممَّا أُقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة ، فبايعتُ ـ أي عزم عليٌّ أهلُ بدرٍ من المهاجرين والأنصار ـ كما سأبين الآن .

فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين فكأنما صُدِعَ قَلْبي» يعني : لما سمعت قولتهم : يا أمير المؤمنين كأن قلبي قد انصدع ! ثم قال عليٌّ : « اللهُمَّ خُذْ منِّي لَعُثْمانَ حَتَّى تَرْضَى» .

● وفي «مصنف ابن أبي شيبة»[(٢)] عن عبيد الله بن أبي رافع كاتب عليٍّ قال: « رأيت عليًّا حين ازدحموا عليه حتى أدموا رجله ؛ فقال : اللهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠١) .

(٢) (٧/ ٤٤٣) ، وابن عساكر (٤٢/ ٥٣٥) .

إني قد كرهتهم وكرهوني فأرحني منهم ، وأرحهم مني» .

هؤلاء هم أئمَّة الورع ، فأنت أمَامَ إمَامٍ آخر من طراز عمر ، أمَامَ إمَامٍ من أئمَّة الزُّهدِ ، والورعِ ، والتُّقى ، والعلمِ ، والفقهِ ، والخطابةِ ، والبلاغةِ ، والبيانِ ، أمام عليٍّ رضي الله عنه .

يقول : فلما قالوا : يا أمير المؤمنين ، كاد قلبي أن ينصدع ، وانسكبت عيني بالعبرات ـ يعرف قدر هذه الكلمة ، ويعرف حجم الأمانة ، ويعرف خطورة الولاية ، ولم لا ؟ ألم يسمع عليٌّ رضي الله عنه من رسول الله ﷺ ـ كما في «صحيح مسلم» ـ أن أبا ذرٍّ رضي الله عنه ذهب يومًا يطلب الولاية من رسول الله ﷺ فضرب النبيُّ ﷺ على منكب أبي ذر ، وقال :

« يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا »[١] .

ألم يسمع عليٌّ من رسول الله ﷺ قوله ـ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاريُّ ومسلم ـ من حديث معقل بين يسار رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال :

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب : كراهة الإمارة لغير ضرورة (١٨٢٥) .

إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ »[١] .

فالإمامة والولاية والحكم مسؤولية عظيمة كبيرة ، وأمانة ثقيلة ، أسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يعين كل راع على رعيته ، وأرجو ألا تنصرف الأذهان إلى الحاكِم فحسب ؛ بل أنت راعٍ وأنا راعٍ .

● يقول النبيُّ ﷺ ـ كما في « الصحيحين » ـ من حديث ابن عمر :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »[٢] .

فكلٌّ له مسؤولية سيُسْأل عنها بحسب حجم هذه المسؤولية ، أسأل الله أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة .

فها هو عليٌّ رضي الله عنه لما ذهب إليه الناس رفض الخلافة ، وأشار عليهم بطلحة بن عبيد الله والزُّبير بن العوَّام رضي الله عنهما فقال النَّاس لعليٍّ : انطلق معنا إلى طلحة والزُّبير؟ فانطلق معهم عليٌّ رضي الله عنه إلى طلحة ، بدأ بطلحة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب :استحقاق الولي الغاش لرعيته النار (١٤٢) ، والبخاري في كتاب الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح (٧١٥١) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، عقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية (١٨٢٩) .

وسلَّم عليه، وقال عليٌّ ﷺ: يا أبا محمَّد، إنَّ النَّاس قد اجتمعوا إليَّ في البيعة أي: طلبوا مني البيعة - أما أنا: فلا حاجة لي فيها؛ فابسط يدك حتى أبايعك [١]. فقال طلحة - رضوان الله عليه: يا أبا الحسن، أنت أوْلى بهذا الأمر وأحقُّ به مِنِّي؛ لفضلك وقرابتك من رسول الله ﷺ وسابقتك في الإسلام.

وهل يعرف الفَضْلَ لأهلِ الفَضْلِ إلا ذوو الفَضْلِ؟

وقد حصل نفس الموقف تمامًا مع الزُّبير، لَمَّا رفض طلحة انطلق طلحة مع عليٍّ مع النَّاس إلى الزُّبير بن العوَّام؛ فقال له عليٌّ مثلما قال لطلحة؛ فقال له الزُّبير مثلما قال طلحة - رضوان الله عليهم جميعًا.

فانطلق عليٌّ ﷺ مع طلحة والزُّبير ﷺ إلى المسجد واجتمع النَّاس، وبايعوا عليًّا ﷺ.

○ تدبر معي هذه الرواية التي رواها الإمام أحمد في «فضائل الصحابة [٢]» بسندٍ صحيح عن محمد بن الحنفية وهو ابن عليٍّ ﷺ قال: كنتُ مع علي ﷺ وعثمان ﷺ محصور - أي: في الدَّار - فأتى عليًّا رجلٌ، فقال: إن أمير المؤمنين مقتول! ثم جاء رجل آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول في هذه الساعة! قال محمد بن الحنفية: فأمسكت

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٧٠٠).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٩٦٩)، والخلال في «السنة» (٦٢٠-٦٢٢).

بوسطه تخوُّفًا عليه فقال : خلِّ لا أمَّ لك .

فأتى عليٌّ الدَّار، فوجد عثمان ﷺ قد قُتِل ، فعاد إلى داره ، وأغلق عليه بابه ، فأتاه النَّاس فضربوا عليه الباب ، فدخلوا عليه فقالوا : إنَّ هذا الرجل قد قُتل ؟ـ وتدبر هذه الصيغة لا تكون أبدًا إلا على ألسنة المنافقين المجرمين ، قتلة عثمان : إن هذا الرجل قد قتل ، ولا بد للنَّاس من خليفة ، ولا نعلم أحدًا أحقَّ بها منك ؟ قال : لا تريدوني، فإنِّي لكم وزير خير منِّي لكم أمير ؛ فقالوا : لا ، والله ما نعلم أحدًا أحقَّ بها منك ؛قال: فإن أبيتم عَلَيَّ ؛ فإنَّ بيعتي لا تكون سرًّا أبدًا ، ولكن أخرج إلى المسجد ؛ فمن شاء أن يبايعني بايعني . قال : فخرج عليٌّ ﷺ إلى المسجد فبايعه النَّاس .

● روى الإمام أحمد أيضًا بسندٍ صحيح عن عوف ﷺ قال : كنتُ عند الحسن البصري ـ رحمه الله ــ وكان الحسن في المدينة عند مقتل عثمان . فذكروا أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال ابن جَوْشَن الغَطَفاني : يا أبا سعيد ، إنما أُزري بأبي موسى اتِّباعه عليًّا قال : فغضب الحسن البصري حتى تبيَّن الغضبُ في وجهه ، وقال : فمن يتبع ؟ فمن يتبع ؟ فمن يتبع ؟ وأخذ يكرِّرها ؛ ثم قال : قتل أمير المؤمنين عثمان مظلومًا ، فعمد النَّاس إلى خيرهم فبايعوه ــ أي :

عليٌّ رضي الله عنه[١].

هذه الرِّوايات تبين وتوضح لنا بجلاء أن بيعة عليٍّ رضي الله عنه كانت في العَلَن ولم تكن سرًّا، ولم تكن في الخفاء، وإنما كانت في المسجد.

● وروى أيضًا ابن عساكر[٢] عن الحسن البصري رحمه الله قال: «لما قدم عليٌّ البصرة في إثر طلحة وأصحابه قام عبد الله بن الكوَّاء وقيس بن عباد فقالا له: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرك هذا ـ أي: إلى البصرة ـ أوصية أوصاك بها رسول الله ﷺ؟ أو عهد عهده إليك؟ أم رأيٌ رأيته حين تفرقت الأمَّة؟ يعني: هل خرجت إلى البصرة بوصية لرسول الله ﷺ؟ أو بعهدٍ لرسول الله ﷺ؟ أم رأيك أنت حينما رأيتَ الأمَّة قد تفرَّقت واختلفت كلمتها بعد مقتل عثمان؟ قال: اللهم لا، فلو عهد إليَّ رسول الله ﷺ شيئًا لقمتُ به».

● وفي رواية قال: «والله ما أكونُ أوَّل كاذب على رسول الله ﷺ يعني: سأقول كلامًا صريحًا واضحًا صادقًا ـ قال: والله ما مات رسولُ الله ﷺ موتَ فجأة ولا قتل قتلًا، ولقد مكث النبيُّ ﷺ في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذن بالصَّلاة، فيأمر النبيُّ ﷺ أبا بكر

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٥٧٦) برقم (٩٧٦)، والخلال في السنة (٦٥١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٤٤٠ـ ٤٤٢)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» («تاريخ الخلفاء»٢٤١، ٢٤٢).

فيصلي بالنَّاس ، وهو يرى مكاني» .

○ هذا كلامٌ في غاية الدِّقة ؛ وحينما يقوله عليٌّ ﷺ ، فله مغازي كثيرة ، ومعاني جليلة . فهذا من أبلغ الرُّدود على الرَّوافض الذين يفضِّلون ويكرِّمون عليًّا على الصِّدِّيق الأكبر الأمين أبي بكر ﷺ .

يقول عليٌّ ﷺ : النبيُّ ﷺ يأمرُ في مرضهِ أبا بكرٍ أن يصلي بالنَّاس ، وهو يرى مكاني ـ يعني : لو كان يرى أني أهلٌ لهذه المكانة لقدَّمني على أبي بكر ﷺ .

● يقول عليٌّ المُنْصفُ ـ رضوان الله عليه: «ولقد أرادت امرأةٌ من نسائه أن تصرفه عن أبي بكرٍ ـ يعني عائشة ﷺ فقالت : إن أبا بكر رجلٌ رقيق لايستطيع أن يقوم مقامك ، فلو أمرت عُمَرَ يصلِّي بالنَّاس ؛ فَأَبَى وغَضِب وقال :

« أَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ ؟ »[1] أمرٌ صريح .

● يقول عليٌّ : «فَلَمَّا قَبَضَ اللهُ نبيَّنا نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب : أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (١٦٧٩) ، والبخاري في كتاب الأنبياء ، باب : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ (٣٣٨٤) ، والترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كليهما (٣٦٧٢) ، ومالك في « الموطأ » (١/ ١٧٠، ١٧١/ ٨٣) ، وأحمد في « مسنده » (٦/ ٩٦، ١٠٩) ، والدارمي في « سننه » (١/ ٢٨) .

من اختاره النبيُّ ﷺ لدينا، فكانت الصلاة أصل الإسلام وقوام الدِّين ، وهو أمين الدين» .

كلامٌ بديع ؛ فلقد اختار النبيُّ ﷺ أبا بكر للدِّين وأعظم أصلٍ في هذا الدِّين بعد التوحيد ، هو الصَّلاة ؛ فهل يختار النبيُّ ﷺ أبا بكر للدِّين ، ولا تختار الأمَّة أبا بكر للدُّنيا ؟!!

● يقول : «فبايعنا أبا بكر ﷺ فكان لذلك أهلًا ،لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديتُ لأبي بكر حقَّه ، ،وعرفتُ له طاعته ، وغزوتُ معه في جنوده ، وكنتُ آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوْطي ، فلما قُبضَ ﷺ ولاَّها عمر، فأخذها بسنَّة صاحبه ، وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ﷺ لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديتُ إلى عمر حقه ، وعرفتُ له طاعته ، وغزوتُ معه في جيوشه ، وكنتُ آخُذ إذا أعطاني ، وأغزُو إذا أَغْزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما قُبضَ عمر تذكَّرتُ في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي ، وأنا أظن ألَّا يعدلوا بي ولكن خشي أن لا يعمل بعده دم إلا لَحِقه في قبره ، فأخرج نفسه وولده ، ولو كانت محاباةً منه ، لآثر بها ولده ، فبريء منها إلى رهطٍ من قريشٍ ستة ؛ أنا أحدهم ، فلما اجتمع الرَّهط ، فذكرتُ في نفسي قرابتي وسالفتي ، وأنا

أظنُّ ألَّا يعدلوا بي ، فأخذ عبد الرَّحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيعَ لمن ولاَّه الله أَمْرَنَا» .

○انظر إلى عبقرية جديدة من عبقرية عمر ، لما نام على فراش الموت اختار ستة من الصَّحابة : طلحة والزُّبير وعبد الرَّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعليًّا وعثمان ؛ وقال : الخلافة في هؤلاء . فتنازل عبد الرَّحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزُّبير ، وظلت الخلافة بين عثمان وعليٍّ ، فأجمعوا أمرهم على أن تكون الخلافةُ لعثمان ؛ فجمع عبد الرحمن بن عوف الصَّحابة ، وطلب منهم العهد أن يبايعوا من اختير للخلافة ، فبايع الكلُّ بما فيهم علي ؛ فقرأ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه العهد والبيعة التي أخذها هؤلاء القادة الأطهار الذين جعل عمر الخلافة فيهم ، فاختاروا عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ؛ فهل شاغب عليٌّ وأنكر ؟! لا ؛ بل قال ـ كما سبق ـ في تلك العبارة الماضية الجميلة : «فلما قُبض ـ أي عمر ـ تذكَّرتُ في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي ، وأنا أظنُّ ألَّا يعدلوا بي . يقول : فأخذ عبد الرحمن مواثيقَنَا على أن نسمع ونطيع لمن ولاَّه الله أمرَنَا ، ثُمَّ أخذ عبد الرَّحمن بيد عثمان ، فضرب بيده على يده فنظرتُ في أمري ، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي» .

سبحان الله ! ألم أقل لكم : إن هؤلاء وربِّ الكعبة ما كانوا طلَّاب دنيا ؟ إنها أمانة ، ومع ذلك حينما رأى أن الصَّحابة قد قدَّموا عثمان رضي الله عنه

يقول : فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي !

أي : سبقت طاعته لعثمان ﷺ ما كان يرجوه لنفسه من أن يبايعه الناس بمن فيهم أصحاب النبي ﷺ .

• يقول : « وإذا ميثاقي قد أُخذ لغيري ، فبايَعْنَا عثمان ، فأديتُ إليه حقَّه، وعرفتُ له طاعته ، وغزوتُ معه في جُيوشه ، وكُنتُ آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أَغْزَاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوْطي ، فلما أصيب نظرت في أمري ، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا ، وهذا الذي أُخِذَ له الميثاقُ قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين ، وأهل هذين المصرين ــ يعني : الكوفة والبصرة» .

• وفي رواية ـ قال: «ثُمَّ إن عثمان قتل ، فجاءني النَّاس فبايعوني طائعين غير مُكرهين» .

فهذه روايةٌ واضحةٌ .

ويمكن القول بأنَّ عليًّا ﷺ كان ــ بلا نزاع ــ أقوى المرشَّحين للإمامة بعد قتل عمر .

فلقد ذُكِر ـ فيما سبق ـ أنه كان من بين السِّتة الذين اختارهم عمر بن الخطَّاب ﷺ على أنَّه لم يكن أحد من أصحاب النبيِّ ــ صلى الله عليه

وآله وسلم ـ الموجودين بعد عثمان أحقَّ بالخلافة من عليٍّ بلا نزاع بين أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره [(١)] .

فهو من السَّابقين الأوَّلين المهاجرين ، وهو ابن عمِّ النبيِّ الأمين ﷺ ، وهو صهره .. إلى غير ذلك من الفضائل التي أودُّ أن أقف معها وقفة قبل أن أخوض غمار هذه الفتنة ؛ لننطلق من قاعدة صلبة قوية متينة ؛ **فمَنْ هو عليٌّ ؟!**

فلا ينبغي أن ننطلق في هذا البحر الهائج المائج إلا ونحن على معرفةٍ تامة بمكانة عليٍّ رضي الله عنه .

○ وقد قلْتُ : إنَّ الحديث عن أصحاب النبيِّ ﷺ يتطلب صفاءً في العقيدة ، وإخلاصًا في النِّية ، وأمانة في النَّقل ، ودقة في الفهم ، ونظرة فاحصة ومدققة لأراجيف المغرضين والكذَّابين والوضَّاعين .

فتعالوا معي بإيجاز شديد جدًّا لنتعرف على قَدْرِ عَليٍّ رضي الله عنه ؛ حتى ننطلق من هذه القاعدة ؛ فنقول :

• عليٌّ رضي الله عنه هو الخطيب المفوه ، الذي تهتز الدُّنيا لكلماته، وهي تخرج من شفتيه كأنَّها نور يبدِّد الظَّلماء .

• عليٌّ رضي الله عنه الفقيه العالم الذي يجري الحقُّ على لسانهِ وقلبه .

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٣) (٤/ ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٨، ٤٧٩).

• عليٌّ ﷺ البطل الشريف ، والفدائيُّ العظيم الذي علَّم الدُّنيا شرف البطولة وحقيقة الفداء !!

• عليٌّ ﷺ الذي أحبَّ اللهَ ورسولهَ ، وأحبه اللهُ ورسولُهُ .

• عليٌّ ﷺ تلميذُ بيتِ النُّبوة الذي تربى في حجر المصطفى ﷺ وكفى !!

• عليٌّ الذي اضُّطر يومًا ، ويا لها من لحظات قاسية على النَّفس حينما يضطر الشَّريف صاحبُ الشَّهامة والمروءة والرُّجولة أن يعدد مناقبه وفضائله ؛ إنَّها لحظات قاسية على الشُّرفاء .

○ أقول : فلقد اضطر يومًا أن يعدد مناقبه ، وأن يبين للنَّاس فضائله ؛ فقال[١] :

محمَّدٌ النبيُّ أخي وصِهْري ... وحمزةُ سيدُ الشهداءِ عمي

وجعفرٌ الذي يُمسِي ويُضْحِي ... يطيرُ مع الملائكة ابنُ أمي

وبنتُ محمدٍ سَكَني وعرسي ... مَنُوطٌ لحمُها بَدَمِي وَلَحْمِي

وَسِبْطَا أَحمدٍ ولداي منها ... فأيكمُ له سهمٌ كسهمي

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٥٢٠ ، ٥٢١) ، وانظر: «الوافي في الوفيات» لابن خلكان (٣٤٦٠) ، و«الصواعق المحرقة في أهل الرفض والزندقة» (٢/ ٣٨٦) .

سبقتكم إلى الإسلام طرا [١] صغيرًا [٢] ما بلغتُ أوان حلمي

قال البيهقي [٣]: « إن هذا الشِّعر مما يجب على كل أحدٍ متوان في عليٍّ حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام» قُلتُ : ولكن للأمانة العلمية ـ مع تواتر هذه الأبيات عنه رضي الله عنه ؛ إلا أن الإسناد إليه فيه ضعف كما قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله [٤].

مَنْ كعليٍّ رضي الله عنه ؟!.

● عليٌّ ـ رضوان الله عليه ـ ذلكم الشَّهيد المظلوم ، أسد الله الغالب ، كان أوَّل من أسلم بلا نزاع .

ولا تعارض بين هذا الحديث الذي رواه الترمذي وقال : «حديث حسن صحيح»من حديث زيد بن أرقم قال : «عَلِيٌّ أَوَّل مَنْ أَسْلَمَ» [٥].

---

(١) في رواية : «قدما».

(٢) في رواية : «غلاما».

(٣) كما في «الوافي» وقد سبق عزوه.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٩) : «وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية».

(٥) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣٧٣٥) وأحمد (٤/ ٣٦٨) وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٢١٥).

○ وله شواهد ؛ كما في «المعجم الكبير» للطبراني (٦٤٨) عن مالك بن الحويرث وعند النسائي في «الكبرى» (٨٤٠٩) ، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٩٧) ، و «السنة» (ظلال الجنة ١٣٥١) عن ابن عباس.

وبين الحديث الذي يثبت أن أبا بكر هو أوَّل من أسلم[١].

فأبو بكر هو أوَّل من أسلم من الرِّجال، وعليٌّ هو أوَّلُ من أسلم من الصِّبيان[٢].

○أقول: في اللحظات الأولى للرِّسالة والنُّبوة كان عليٌّ رضي الله عنه في بيتِ المصطفى ﷺ يسمع القرآن من فمْ رسول الله ﷺ؛ فينطلق عليٌّ؛ ليردد شهادة الحقِّ، ومقولة الصِّدْق، وهو في العاشرة من عمره.

ومنذ هذه اللحظات يُسجَّل اسمُ عليٍّ رضي الله عنه في سجل الأشراف الأطهار - إلى أن يرث الدُّنيا ومَن عليها العزيز الغفَّار - بأن عليًّا هو أوَّل من أسلم من الصبيان والغلمان.

ولقد شهد النبيُّ ﷺ لعلي رضي الله عنه بالجنَّة؛ كما في «المسند» و«سنن أبي داود» وغيرهما[٣] من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر (٣٦٦٧) وقال: «هذا حديث غريب»، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٦٣) عن أبي سعيد الخدري، وانظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/ ٢٢٦)، وصحح رواية أبي سعيد الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٢٠١) و«صحيح السيرة» (١٢٠).

(٢) وهو قولُ جمعٍ من أهل العلم؛ ومنهم إسحاق بن راهويه؛ كما نقل ذلك عنه القرطبي في «تفسيره» (لسورة التوبة: ١٠٠)، والبغوي في «معالم التنزيل» (١/ ٨٧).

وهو قول طائفة من أهل العلم بالسير والخبر، كما قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٩٤) والجمهور على ذلك. انظر: «تحفة الأحوذي» (١٠/ ١٠٤)، و«فتح المغيث» (٣/ ١٣٧)، و«الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٤٦٢)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٢٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٨٨)، وأبو داود كتاب السنة، باب في الخلفاء (٤٦٤٩) والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب سعيد بن زيد (٣٧٥٧)، وقال: «حديث حسن»=

ﷺ : « عَشَرَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَنَّةِ : أَنَا فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ... الحديث» .

• وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث عليٍّ ﷺ قال : « وَالَّذِي خَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ !! إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ : « أَنْ لاَ يُحِبَّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ».

• وفي «صحيح البخاري»(٢) عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لعلي ـ ﷺ ـ : « أَنْتَ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْكَ » .

• وفي «المسند» و«سنن النسائي» (٣) وغيرهما من حديث عليٍّ ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ فَهَذَا مَوْلاَهُ ـ أي : على ابن أبي طالب ـ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

و أريد أن أُوجز القول في سيرته ﷺ ؛ فلو توقفت مع كلِّ ما ثبت عنه ؛ لاحتجنا إلى كلام طويل .

= وابن ماجة في المقدمة ، باب فضائل العشرة ﷺ (١٣٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠١٠) .

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعليٍّ ﷺ من الإيمان (٧٨).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب عمرة القضاء (٤٢٥١) .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٠) ، وابن حبان كما في موارد الظمآن (٢٢٠٥) ، والنسائي في الخصائص (٩٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٦٨) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٧٥٠) ، وصحيح الجامع (٦٥٢٣ ، ٦٥٢٤) .

○ وفي غزوة خيبر في السَّنة السَّابعة من الهجرة ، تجلَّت بطولة أسد الله الغالب ؛ بل إن شئتَ فقل : ظهرت مكانةُ عليٍّ عند الربِّ العليِّ وعند الحبيب النبيِّ ﷺ .

فلَّما حاصر النبيُّ ﷺ خيبر ، وطال الحصار ـ والحديث في « الصحيحين » قال النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام : « **لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ** » هذه شهادة يفتح الله على يديه ؛ أي : حصون خيبر « **يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ** »[1] فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. يدوكون أي : يتناقشون ويخوضون ويتباحثون في هذا الرَّجل العظيم ، الذي يحب اللهَ ورسوله ، ويحبه اللهُ ورسوله ؟

● وفي رواية ـ وهي من أجمل وأرق الروايات : يقول عمر بن الخطاب ـ كما في « صحيح مسلم »[2]: « وَالله مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ ، فَتَسَاوَرْتُ لَهَا ـ أي : فتطلعت لها ـ رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا» . لما سمعه من النبيِّ ﷺ : « **يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** » .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : فضل من أسلم على يديه رجل (٣٠٠٩) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٥) عن أبي هريرة.

فعمر ﷺ المتجرد ، ما تطلَّع للإمارة إلَّا في هذا اليوم ؛ لينال هذه المنقبة العظيمة ، وهذه الشهادة الجليلة .

• يقول سهل بن سعد ـ رضوان الله عليه ـ راوي الحديث في « الصحيحين » « فلمَّا أصبح النَّاس غدوا على رسول الله ﷺ . كلُّهم يرجون أن يعطاها » أي : الراية . ونظِّمت الصُّفوف ، ووقف الكلُّ يتطلَّع إلى النبيِّ ﷺ ، الكلُّ يريد أن يأخذ الراية ، وينتظر نداء النبيِّ لهذا الرجل الشريف الذي سيُمنح الرَّاية ، وشقَّ السكونَ والصمتَ صوتُ رسول الله ﷺ ، وهو يقول : « **أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** ؟ » ولم يكن عليٌّ موجودًا في هذا اليوم ؛ سبحان الله !

فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّه يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ـ تخلف اليوم لمرض أصابه في عينيه ـ ؛ فقال النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم: « **أَرْسِلُوا إِلَيْهِ** » فأُتي به ، فَبَصَقَ النبيُّ ﷺ في عينيه ، ودعا له فَبَرَأَ .

حتى كأن لم يكن به وجع ـ ولم لا ؟ أليس الراقي هو المصطفى ﷺ ؟

ثم أعطاه الراية ؛ وقال ـ النبيُّ ﷺ له ـ كما في رواية مسلم من حديث أبي هريرة ـ : « **امْشِ ، وَلاَ تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ الله عَلَيْكَ** » فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ فَصَرَخَ : يَا رَسُولَ الله ، عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ فقال النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام :

« قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله »[(١)] .

○ وفي لفظٍ في «الصحيحين» : « فَوَالله! لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ »[(٢)] .

وسرعان ما علا هتاف النَّصر بصوت أسد الله الغالب عليِّ بن أبي طالب الذي ردده النبيُّ ﷺ في أوَّل يوم عند حصون خيبر : « الله أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، الله أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ »[(٣)].

أسأل الله أن يقر أعيننا بهذا النَّشيد الحلو مرَّة أخرى ، حتى نردد ما ردده النبيُّ ﷺ وأصحابه ﷺ ، إنَّه ولي ذلك ومولاه .

وهكذا فتح الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على يد عليِّ بن أبي طالب ﷺ لينال هاتين المنقبتين العظيمتين :

- أما الأوَّلى : هي فتح الله على يديه حصون خيبر .
- وأما الثانية : شهادةُ النبيِّ ﷺ له بأنه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عليٍّ بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة (٢٩٤٢) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٦) .

(٣) أخرجه البخاري ،كتاب الصلاة ، باب ما يُذكر في الفخذ (٣٧١) ، ومسلم ، كتاب الجهاد باب غزوة خيبر (١٣٦٥) عن أنس .

ورسوله ﷺ .

○ وفي السنة التَّاسعة من الهجرة خرج النبيُّ ﷺ لغزوة تبوك ، واستعمل على المدينة : محمد بن مسلمة ﷺ ؛ ليتولى أمرها وشأنها [١] ، وخلَّف رسول الله ﷺ عليًّا ﷺ على أهله ، وهذه أيضًا رسالة ومنقبة أخرى أن يترك النبيُّ ﷺ عليًّا ﷺ على أهله لحمايتهم وللزود عنهم ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قد خرج إلى سفر طويل بعيد ؛ فمع مَنْ يترك أهله ؟ يختار النبيُّ ﷺ عليًّا ، فيغضب عليٌّ ويبكي وينطلق إلى رسول الله ﷺ ؛ كما في « الصحيحين » [٢] من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ ويقول : أَتُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؛ فيقول النبيُّ ﷺ لعليٍّ : « **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدِي !** » .

أيُّ طراز من البشر كان عليٌّ ؛ لينال هذه المنقبة العظيمة هي الأخرى ؟

○ وبالجملة ؛ فحياة عليٍّ - رضوان الله عليه - تتفجر عظمةً وجلالًا ؛ لكنها أيضًا في الوقت ذاته تموج بالأسى والهول مَوْجًا ، لاسيما إذا علمنا

---

(١) انظر : «السيرة» لابن هشام (٤/ ٣٥١) ، و«تاريخ ابن عساكر» (٢/ ٣١) ، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ١٦٥) ، و«زاد المعاد»(٣/ ٤٦٢) ، و«البداية والنهاية»(٥/ ٧١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة تبوك ، وهي غزوة العسرة (٤٤١٦) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٤) .

أن طائفة من الناس قد غلت فيه فجعلته إلهًا ، وأن طائفة أخرى قد جفت فيه فكفَّرته !

فطائفة الخوارج ـ كما سأبين ـ كفَّرت عليًّا ﭬ ، وطائفة من الرَّوافض قد رفعت عليًّا إلى مرتبة الألوهية والعبودية !! ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم .

فهي حياة ـ بلا نزاع ـ حافلةٌ بالبطولات والآلام معًا ، حافلةٌ بالعظمة والمأساة ، حافلةٌ بالبأساء والضرَّاء ، حافلةٌ بالنَّصر والهزيمة ، حافلةٌ بالرَّخاء والشِّدة ، حافلةٌ بالبسمة والدَّمعة ، حافلةٌ بالفرح والحزن .

ولا نزاع أبدًا في أن عليًّا ـ رضوان الله عليه ـ كان أحق النَّاس بالخلافة بعد موت عثمان ﭬ .

○ **وأقول :** ليست سابقة عليٍّ ، والقرابة من رسول الله ﷺ والمصاهرة هي المزايا الأولى والوحيدة التي تؤهل عليًّا ﭬ لمنصب الخلافة ؛ لا ! لكنه كان ـ بالإضافة إلى كلِّ هذا ـ له من القدرة والكفاءة والذَّكاء والعلم والشَّجاعة والإقدام والمروءة والعقلية ، وكان له من حزم اشتهر به بين جميع أصحاب النبيِّ ، وكان له من صلابة في الحقِّ ؛ وكان له من بعد نظر في تصريف الأمور ؛ حتى كان عمر بن الخطاب ﭬ

يستشير عليًّا في كل شيء .

○ أقول : لهذا كلّه كان عليٌّ ـ رضوان الله عليه ـ أجدر وَأَوْلَى النَّاسِ بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنه .

○○ وأشرع بإذن الله تعالى في الحديث عن الفتنة الخطيرة التي انتشرت انتشار النَّار في الهشيم ، منذ اللحظات الأولى التي بويع فيها علي رضي الله عنه ، حتى وصل إلى ما وصل إليه في النهاية ؛ أقف مع هذه الفتنة بتؤدة وصبر ودقة ، لأُخْرِجَ الحقَّ من بين ركام الباطل بإذن الله تعالى !!!





موقعة الجمل

موقعة الجمل

وأكرِّر وأؤكد إنَّه يجب علينا ـ كما قلت قبل ذلك ـ أن نعلم أن التَّاريخ الإسلامي لم يُبدأ تدوينه إلا بعد زوال دولة بني أميَّة ، وقام على تدوين التَّاريخ الإسلامي في هذا الوقت الحرج ، أو بهذه الحقبة من حِقب التَّاريخ ثلاث طوائف(١) :

● **الطَّائفة الأولى** : هي طائفة المتنفعين ممن يتكسبون بأقلامهم ، وهذه طائفةٌ لا يخلو منها زمان ولا مكان ، ولو كان ذلك على حساب الدِّين !!

وهذه الطَّائفة أرادت أن تتقرب بكتابة التَّاريخ لأمراء بني العبَّاس على حساب حياة وتاريخ بني أميَّة ؛ فشوهت تاريخ بني أميَّة كلَّه .

● **الطَّائفة الثانية** : غالت في بعض الصَّحابة غلوًّا شديدًا ؛ فمنهم من رفع عليًّا ﷺ إلى مرتبة الألوهية .

وطائفة **أخرى** : فرطت تفريطًا شديدًا في حق بعض الصَّحابة ؛ فَكَفَّـرَت بعضهم ، وعلى رأس هؤلاء الفضلاء أبو بكر وعمر ، ورفضوا كلَّ الرِّوايات الصحيحة التي وصلت عن طريق الصَّحابة ،

---

(١) أكرر هذا التأصيل عن قصد ليُنقش في القلوب والعقول لأهميته ؛ فهو بمثابة الأساس والقواعد للبناء .

والحِقْبِةُ بالكسر : السَّنةُ والجمع حِقَبُ وحُقُوبُ . لسان العرب (٢/ ٥٢٣) باب الحاء .

باستثناء آل البيت ـ ﷺ جميعًا .

وبصفة خاصة : كل الرِّوايات النَّبوية التي وردت من طريق عائشة ﷺ ومن طريق أبي هريرة ، ومن طريق عمر ، ومن طريق ابن عمر ، ﷺ أجمعين .

● **أما الطَّائفة الثالثة** : هي طائفة أهل الحقِّ من أئمَّة المسلمين ؛ كابن جرير الطبري ؛ والحافظ ابن عساكر ، والحافظ ابن كثير ، وغيرهم ، ولكن هؤلاء جمعوا التَّاريخ في فترة سياسية ، وظروف حرجة ؛ فما كان منهم إلا أن جمعوا أخبار الإخباريين ، وروايات الرُّواة مع إثبات أسماء رجال السَّند لكل رواية ، لماذا ؟

ليكون الباحثُ بعد ذلك على بينةٍ وبصيرةٍ إذا راجع سلسلة السند ، فيقف بعد ذلك على صحة الرِّواية من عدمها .

○ **لكن أقول لكم بأمانة** : لقد نزل هذا الميدان اللجب من لا يحسن النِّزال ، ونزل إلى هذا البحر الهائج المائج من لا يحسن السِّباحة ، فنقلوا إلينا بعض هذه الرِّوايات ، من غير وقوفٍ على صحة الرواية من عدمها ، وجعلوا هذه الرِّوايات المكذوبة الموضوعة أصلًا تاريخًا لأحرج وأحلك حقبة من حِقب التَّاريخ .

وهنا وقع هذا الخلْطُ الشديد وزلَّ من زل ، وقعوا في النيل من

أشرف وأطهر الخلق بعد الأنبياء ؛ في صحابة النبيِّ ﷺ .

• وقلت (١) : إنَّه لا ينبغي البتَّة لرجل أن يتكلَّم في أصحاب النبيِّ ﷺ إلا بضوابط وبشروط .

لأن الحديث عن الصَّحب الكرام الأطهار ﷺ يتطلَّب صحةً في العقيدة . فمحالٌ لرجلٍ زائغِ القلب ، مشوش العقيدة ، مشوشِ الفكر ، مريض النفس أن يتِكلَّم عن أصحاب النبيِّ ﷺ بما يليق بهم ، وبعدالتهم وبمكانتهم عند الله وعند رسوله ﷺ .

فالحديث عن الصَّحابة يتطلب صحةً في العقيدة ، وأمانةً في النَّقل ، ودقةً في الفهم ، وسلامةً في القصدِ والنِّيةِ ، ونظرةً فاحصةً مدققةً لأراجيف المغرضين و الكذَّابين والوضَّاعين .

هذا التأصيل في غاية الأهمية لابد وحتمًا قبل أن ننطلق لنتكلَّم عن صحابي جليل من هؤلاء الصَّحب الكرام أن نكون قد وقفنا على هذا الأساس الصَّلب ، وعلى هذه الأرض النيِّرة المتينة ، حتى لا نزل في النَّيْلِ من أشرف وأطهر عِرض على وجه الأرض ، بعد الأنبياء والمرسلين - رضي الله عن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين .

(١) أكرر هذا القول أيضًا لأهمية هذه الأصول ، وحتمية توفرها ، قبل الخوض في سير الأطهار من أصحاب النبي المختار ﷺ.

وصلت إلينا هذه التركة الضخمة ، فشوَّهت صور الأطهار الأبرار ؛ لعدم التحقق والتثبت ، والنبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول كما في « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة:

« لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ » (١).

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري (٢).

●وفي «سنن الترمذي» وابن ماجة بسندٍ ضعيفٍ ، لكن المتن له شواهد في الصحيح ، من حديث عبد الله بن مغفل أن النبيَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

« اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي ، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي ، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ ، فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى الله ، وَمَنْ آذَى الله فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ » (٣).

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤٠) .

(٢)أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ، باب : قول النبي ﷺ: « لو كنت متخذًا خليلًا » (٣٦٧٣) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤١) .

(٣)أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب: (٥٩) (٣٨٦٢) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فضل أهل بدر (١٦١) ، وضعفه الألبانيُّ في «السلسلة الضعيفة» (٢٩٠١) ، (وظلال الجنة (٩٩٢) ، و«ضعيف الجامع» (١١٦٠) .

وقال الترمذي « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه» .

فتدبروا معي ؛ لنقف على أحرج حِقْبَةٍ من حقب التَّاريخ التي بدأت بالفتنة الكبيرة ، ألا وهي : حصار وقتل عثمان رضي الله عنه .

○ لقد بايع النَّاس عليًّا رضي الله عنه ـ كما ذكرت في الفصل السابق ـ مع بداية العام السادس والثلاثين من الهجرة ، وكان من أول من بايع : طلحةُ والزُّبير رضي الله عنهما . وبعدَ البيعةِ بأيّامٍ قليلة بدأ الخلافُ الحادُّ !

ذهب طلحةُ والزُّبير رضي الله عنهما إلى عليٍّ رضي الله عنه ، وطلبا منه على وجه السُّرعة أن يُقيم الحدَّ على قَتَلةِ عثمانَ ، فاعتذر عليٌّ ، وهنا يبدأ الخلاف . أمرٌ عادي ، كلٌّ له وجهة نظره ، وكلٌّ له اجتهاده . لكنَّ الَّذي ندين به لله أن الحقَّ كان مع عليٍّ رضي الله عنه بنصِّ كلامِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ كما سأبيِّن ـ إن شاء الله تعالى .

فاعتذر عليٌّ رضي الله عنه بكلام جميل قال[1] : « إن قَتَلةَ عثمان لهم مددٌ وأعوان» . وإن أعظم الأدلة على ذلك حصارهم لبيت الخليفة ووصولهم إليه ؛ فهم كثرة .

وما رفض عثمان رضي الله عنه أن يقاتل هؤلاء إلا لأنَّهم كثرة ، وخاف أن تسفك الدِّماء في مدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال : « والله ما أحبُّ أن ألقى الله وفي عنقي قطرة دم لامرئ مسلم» .

---

(١) انظر هذه الأحداث في: «تاريخ الطبري» ، و«الكامل» لابن الأثير ، و«البداية والنهاية» أحداث سنة ٣٦هـ .

وأين القوة التي تستطيع أن تنفذ ذلك الآن في الوقت الذي لازالت فيه مدينة النبيِّ ﷺ ذاتها مستكينة تحت وطأة إرهاب هؤلاء المجرمين الموتورين .

فلقد ظلَّت المدينة بعد قتل عثمان ما يقرب من أسبوع تحت قيادة الغافقي قاتل عثمان ؛ بل وكان يتقدم ليصلِّي بالمسلمين عُنْوة في مسجد النبيِّ ﷺ ؛بل وتخلف عليّ ﷺ حتى عن صلاة الجماعة ، وأغلق عليه باب داره .

قال عليٌّ ﷺ : هؤلاء تعصَّب لهم كثير من النَّاس ، وبلغ عددهم ما يقرب من عشرة آلاف .

قد يتحولون إلى جيوش كاسرة متوحشة ، تدمر الأخضر واليابس إن جاء عليٌّ ﷺ بفرقة منهم وأقام عليهم الحدَّ .

فلقد رأى عليٌّ بفهمه وفقهه واجتهاده ، ونظرته للأمور، ومراعاته للمصالح والمفاسد ، واختياره لأخفِّ الضَّررين ، رأى أن يؤجل إقامةَ الحدِّ على قَتَلَةِ عثمان ﷺ .

وانتبهوا ؛ فقد رفض طلحةُ والزُّبير هذا الاجتهاد ، وثارا ﷺ وثار معهما عددٌ كبير من الصَّحابة ، وعلى رأسهم : معاوية ﷺ .

وكانت نائلة زوج عثمان ﷺ قد أرسلت قميصَ عثمان الذي قُتل فيه ،

ووضعت فيه أصابعها التي قُطعتْ ، وهي تدافع عنه ، إلى معاوية ﷺ ، فمن المعلوم أن أقوى قوة حينذاك كانت في الشَّام لمعاوية ﷺ ، وكان عاملًا لعثمان على بلاد الشَّام .

فما أن وصل القميصُ إلى معاوية حتى بكى بكاءً شديدًا ، وخرج بقميص عثمان إلى المسجد الدِّمشقي ، وعلَّق معاويةُ قميصَ عثمان على المنبر ، وعلَّق في القميص أصابعَ نائلة !

فما أن رأى المسلمون هذا المشهدَ إلا وانخلعت قلوبُهم ، وبكَوْا بكاءً شديدًا ، وألزموا معاويةَ في هذه اللحظاتِ الشَّديدة التي تأججت فيها العاطفةُ بالثَّأرِ لعثمان ﷺ والأخذِ على يد من قتله ، وإقامةِ الحدِّ عليهم .

وهنا رفض معاويةُ ﷺ أن يعطي البيعةَ لعليٍّ ﷺ حتى يقيم الحدَّ على قَتَلَةِ عثمان ﷺ أو يسلمهم إليه !!

وأرجو أن تركزوا ؛ فإن معاوية ما طلب الخلافةَ قط ، وما طلب البيعةَ لنفسه ، وإنَّما أخَّر البيعةَ لعليٍّ ، حتى يقيمَ عليٌّ الحدَّ على قتلة عثمان ، أو يسلمهم إليه - رضي الله عنهم جميعًا .

وهذا أيضًا خلافٌ على محورٍ ثان ، بعد خلاف طلحة والزُّبير مع علي ﷺ .

ولَمَّا اعتذر عليٌّ هذا الاعتذار قرر طلحة والزُّبير الخروج من المدينة. إلى أين ؟ إلى مكَّة ، ولماذا ؟ لأنَّ في مكَّة في هذا الوقت عائشة ﷺ .

وظن طلحة والزُّبير أنَّ خروج عائشة ﵂ معهما لحثِّ النَّاس على المطالبة بدم عثمان ، سيجعل النَّاس يلتفون حول عائشة ﵂ مراعاة منهم لحرمة نبيِّهم ﷺ ؛ فهذه أمُّ المؤمنين ، زوج سيد المرسلين ﷺ ، ولا تصدق الكذَّابين والأفَّاكين الذي يزعمون أن طلحةَ والزُّبير خرجا من المدينة إلى مكَّة ؛ لأنَّهما قد نقضا البيعة لعلي ﵁ !

بل سأبين لكم الآن بالأدلة الصحيحة أن طلحة والزُّبير وعائشة ؛ بل وعليًّا ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ ما خرجوا البتة من المدينة ، إلا وهم يريدون جميعًا الإصلاح بين النَّاس .

فهذه عقيدة لابد أن تثبت في قلوبنا ؛ فهم ما خرجوا يريدون سفك دماء إطلاقًا ، لكنهم اجتهدوا في أن يحمِّسوا النَّاس للمطالبة بدم عثمان ﵁ ، وعليٌّ ﵁ ما خرج هو الآخر لمقابلة طلحة والزُّبير وعائشة إلا وهو يريد الإصلاح .

فما خرج واحدٌ منهم يريد قطرة دم أبدًا ، فهذا بعيد عن آحاد المؤمنين العاديين . فما ظنُّك بأصحاب سيِّد المرسلين .

ولا يفهم أحدٌ أنِّي أريد أن أحكم لأحدٍ من أصحاب رسول الله بالعصمة ! لا ؛ فهم بشر يُصيبون ويخطئون ؛ بل نعتقد أن العصمة قد انتهى زمنها يوم دفن المصطفى ﷺ ؛ فلا عصمة لأحدٍ على وجه الأرض

بعد رسول الله ﷺ .

○ **وقد يسأل سائل : لماذا خرجت عائشة رضي الله عنها من المدينة ؟**

كانت عائشة في مكَّة لأداء مناسك الحجِّ بقدر الله ـ جلَّ وعلا ـ مع كثير من أصحاب النبي ﷺ الذين خرجوا من المدينة إلى مكَّة لحجِّ بيت الله الحرام ؛ فلمَّا سمعت بمقتل عثمان رضي الله عنه قامت تحثُّ النَّاس على القيام بالمطالبة بدم عثمان هي وطلحةُ والزُّبير .

ولكن عائشة رضي الله عنها أرادت أن تخرج من مكَّة إلى المدينة ، فقال لها طلحة والزُّبير رضي الله عنهما : يا أمَّ المؤمنين ، دعي المدينة ؛ فإن من معنا لا يقوون على تلك الغوغاء الذين بالمدينة ، ولكن انطلقي معنا إلى البصرة ؛ فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين ، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر حتى يقضي الله ما أراد .

○ **والسؤال : لماذا البصرة ؟**

أولًا : كان معهم في هذا الوقت عبد الله بن عامر ، وهو والي عثمان على البصرة ـ انتبه ـ ليس والي عليٍّ رضي الله عنه .

وقد أخبرهم عبد الله بن عامر بأنَّ له من الأعوان في البصرة ما يستطيع أن يحمِّس بهم أهلهَا ؛ للمطالبة بدم عثمان ، فضلًا عن وجود معاوية رضي الله عنه في بلاد الشَّام .

يقول الزُّبير : خرجنا لنستنهض النَّاس ؛ ليدركوا دم عثمان حتى لا يبطل ؛ فإن في إبطاله توهينًا لسلطان الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بيننا أبدًا ؛ فإذا لم يُفْطَمُ النَّاس عن أمثال هذه الفاجعة المفزعة ، لم يبق إمامٌ إلا قتله هذا الصِّنف من النَّاس .

قال : والله . إن ترك هذا لشديد ، ولا تدرون إلى أين يسير ، فودَّع كل واحد منهما صاحبه ، وافترقا ومضى النَّاس [١] فهذا الذي دفع هؤلاء الصَّحابة للمطالبة بدم عثمان ؛ لأنَّهم اتَّهموا أنفسهم بخذلان الخليفة المقتول . ولا تكفير لهذا الذنب إلا بقتال هؤلاء ، للأخذ بثأر عثمان .

فعائشة ﵂ تقول : «إن عثمان قُتل مظلومًا ، والله لأطالبنَّ بدمه» [٢] .

وطلحة يقول : «إنَّهُ كان منِّي في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه» [٣] .

أعتقد أن الأمور الآن واضحة جدًّا ؛ فقد انطلقوا جميعًا نحو البصرة ، وهم لا يريدون جميعًا إلا الإصلاح .

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٢).

(٣) «السير» للذهبي (١/ ٣٤).

○ كيف بدأت الفتنة؟!

• روى أحمد وابن أبي شيبة في «مصنفه» بسندٍ صحيحٍ أن عائشة ﵂ لما خرجت معهم إلى البصرة مرَّت على بعض مياه بني عامر ليلاً، فنبحت عليها الكلاب؛ فقالت عائشة: أيُّ ماءٍ هذا؟ فقالوا: ماء الحَوْأَب، فوقفت، وقالت: ما أظنني إلَّا راجعة! ما أظنني إلَّا راجعة، فقال لها طلحة والزُّبير: مهلًا يا أمَّاه رحمك الله، بل تقدمي إلى البصرة فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم.[1]

هذه نيَّة طلحة ونية الزُّبير؛ بل ونيَّة عائشة ﵂ـ وأعود إلى الرِّواية ـ ما أظنني إلا راجعة. لماذا؟ ألم أقل بأن كلَّ هذه الفتن، كما وقعت، قد أخبر عنها الصَّادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ستعجب إذا علمت أن النبيَّ ﷺ قد ذكر هذه الحادثة لعائشة حين ذكر لها نباح كلاب الحوأب؛ كما في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة والبزَّار بسند صحيح، وصححه شيخنا الألباني في «الصحيحة»[2] من حديث ابن عبَّاس ﵄ أن النبيَّ ﷺ قال يومًا لزوجاته أمَّهات المؤمنين: «أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةِ الجَمَلِ الأَدْبَبِ[3]؟ تَخْرُجُ حَتَّى تَنْبَحُهَا كِلَابُ الحَوْأَبِ»

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥٢، ٩٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٦ ط الرشد)، والحاكم (٣/ ١٢٩)، وابن حبان(٦٧٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٨ط الرشد)، و البزَّار؛ كما في «الفتح» (١٣/ ٥٥) وقال الحافظ: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٨٤٦) (٤٧٤).

(٣) الجمل الأدبب: هو الذي يظهر على وجهه الشعر الكثيف. وهو نفس هيئة الجمل الذي كانت تركبه عائشة ﵂.

هذا الكلام كان في عهد النبيِّ ﷺ ، يقول النبيُّ ﷺ :

« يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا قَتْلَى كَثِير ، وَتَنْجُو بَعْدَمَا كَادَتْ » أي : أَنْ تَهْلَكَ .

صلى الله على محمَّد ، وصدق ربِّي إذ يقول : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم:٣-٥] .

وبذلك سُمِّيت موقعة الجمل ؛ لأن أم المؤمنين عائشة ﷺ كانت راكبة على جمل قدَّمه لها يزيد بن أميَّة في مكَّة ، وكان قد اشتراه من اليمن . وقتل جملها في هذه الواقعة ، وكادت أن تقتل.

- وروى الحاكم و البيهقيُّ بسندٍ صحيح أنَّ الزُّبير ﷺ لما عزم على الرجوع إلى المدينة ، بعدما قابله عليٌّ ، وقال له كلامًا ـ سأفصله بعد ـ لما عرض له ابنه عبد الله بن الزُّبير وقال : كيف ترجع إلى المدينة ؟ فقال الزُّبير : ذكَّرني عليٌّ بحديث سمعته من رسول الله ﷺ وإنِّي راجع ؛ فقال له عبد الله : وهل جئتَ للقتال ؟ إنما جئت لتصلح بين النَّاس وليصلح الله بك هذا الأمر [١] .

فكيف نتركُ مثل هذه الرِّوايات الصَّحيحة ، ونذهبُ إلى روايات الشيعة المحترقين ، والخوارج المضلِّلين ، يقول عبد الله بن الزُّبير في كلام

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٤١٣) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩١)، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٤١٤، ٤١٥) ، وقال ابن كثير « في البداية والنهاية » (٧/ ٢٤٢): « غريب » .

صريح للزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه لحواري رسول الله ﷺ : وهل جئت لقتالٍ ؟ إنَّما جئت لتصلح بين النَّاس ، وليصلح الله بك هذا الأمر !

حتى عائشة رضي الله عنها ما خرجت إلا للإصلاح - كما ذكرت - وقرأت قول الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء:١١٤] .

خرجت وهي متأولة لهذه الآية ، وهي تعلم أن الرسول ﷺ قد خرج قبل ذلك في الإصلاح ، فخرجت للإصلاح بين المسلمين ولتحقن الدِّماء ، وهي أمٌّ لكلِّ المؤمنين .

فلمَّا خرجت إلى البصرة ، وبلغ عثمان بن حنيف خبر قدومها - وعثمان بن حنيف هو عامل عليٍّ رضي الله عنه على البصرة - أرسل إليها يستفسرها عن سبب خروجها ، لماذا جاءت إلى البصرة ؟ فقالت رضي الله عنها في كلام عجيب جدًّا وهي الفقيهة العالمة :

إنَّ الغَوْغَاء من أهل الأمصار ، وَنُزَّاع القبائل من أهل الأمصار ، غزوا حرم رسول الله ﷺ - تعني : المدينة - وأحدثوا فيه الأحداث ، وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ، ولعنة رسوله ﷺ ، مع ما نالوه من قتل أمير المسلمين، بلا ترة ولا عذر ، فاستحلوا الدَّم الحرام فسفكوه ، وانتهبوا المال الحرام ، وأحلُّوا البلد الحرام ، والشَّهر الحرام ومزَّقوا الأعراض والجلود ، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم

ضارِّين مضرين ، غير نافعين ولا متَّقين ، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجتُ في المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم ، وما فيه النَّاس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا ، وقرأت قول الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤] ننهض[١] في الإصلاح كما أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأمر رسوله ﷺ ، الصَّغير والكبير ، والذَّكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ، ونحضكم عليه ،ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره. روى ذلك الطبري في« تاريخ الأمم »[٢] .

○ وقد نقل ابن حبان[٣] : أن عائشة رضي الله عنها كتبت إلى أبي موسى الأشعري ـ وهو والي الكوفة من قِبَلِ عليٍّ رضي الله عنه تقول : « سلام عليك ! فإنِّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنَّه قد كان من قتل عثمان ما قد علمتَ ، وقد خرجتُ مُصْلِحة بين النَّاس ، فمُرْ من قبلك بالقرار في منازلهم ، والرِّضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبونه من صلاح أمر المسلمين» . .

○ وأخرج عبد الرزاق في «مصنفه»[٤] عن الزهري بسندٍ منقطع عن

---

(١) أي : نحث الصغير والكبير .

(٢) ذكره الطبري في « تاريخه » (٣/ ١٤) .

(٣) في «الثقات» (٢/ ٢٨٢).

(٤) «المصنف» لعبد الرزاق (٥/ ٤٥٢) .

عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت : «إنما أريد أن يحجز بين النَّاس مكاني» . أي : تريد أن تكون في مكانها حاجزًا بين النَّاس ، حتى لا يقعوا في شجار أو قتال . « إنَّما أريد أن يحجز بين النَّاس مكاني ، ولم أحسب أن يكون بين النَّاس قتال ، ولو علمتُ ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدًا ؟» .

ولذلك ستندم عائشة بعد ذلك أشدَّ النَّدم على خروجها من مكَّة إلى البصرة ؛فلقد اجتهدت وأخطأت وأقرَّت بخطئها ، ونسأل الله أن يغفر لها ؛ فهي زوج النبيِّ ﷺ في الجنَّة ببشارة رسول الله ﷺ لها ؛ فاجتهادها مغفور ؛ بل ومأجور فالمجتهد إن اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإن اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن سيكون أهلًا للاجتهاد إن لم تكن عائشة رضي الله عنها ؟! .

○ **ويؤكد هذا الإمام ابن العربي ـ لله دَرُّه وطيب الله ثراه ـ في كتابه** الماتع « العواصم من القواصم » [١] فيقول : وأما خروج عائشة إلى حرب الجمل ؛ فما خرجت عائشة لحرب ، ولكن تعلَّق النَّاس بها ، واشتكى النَّاس إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج النَّاس ، ورجوا بركتها في الإصلاح ؛ وطمعوا في استحياء النَّاس منها إذا وقفت بين الخلق ، وظنت هي ذلك ، فخرجت عاملة بقول الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

---

(١)(١٥٦ بتصريف في المعنى) .

إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤] وخرجت وهي متأولة لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات:٩].

فكل الرِّوايات الصَّحيحة التي ذكرت تؤكِّد تأكيدًا لا مراء فيه أن هؤلاء جميعًا ما خرجوا إلا للإصلاح.

● وجاء في «**تاريخ الإمام الطبري**»[(١)] بسندٍ صحيح ما يؤكد أن عليًّا رضي الله عنه نفسه ما خرج إلا لذلك، فلما سمع عليٌّ رضي الله عنه بخروج طلحة والزُّبير وعائشة إلى البصرة صمم هو الآخر على أن يخرج إلى البصرة، فوقف أمام دابتَّة عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وقال له: «يا أمير المؤمنين، لا تخرج من مدينة رسول الله ﷺ، فوالله لئن خرجت منها لن يعود إليها سلطان المسلمين أبدًا!».

وستعجب إذا علمت أيضًا أنَّ من هؤلاء الذين وقفوا يصدون دابَّة عليٍّ رضي الله عنه عن الخروج: الحسنُ بنُ علي رضي الله عنه، انطلق ليأخذ بخطام دابَّة أبيه؛ ويقول[(٢)]: يا أبت، أعزم عليك ألا تخرج؟ لا تخرج من دار الخلافة حتى

(١) (٣/ ١٠/ ط العلمية).

(٢) المصدر السابق.

تبقى المدينة دارًا للخلافة كما كانت في عهد إخوانك ـ الثلاثة أي : في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ؛ فماذا قال عليٌّ ﷺ؟ قال : والله ما خرجتُ إلَّا وأنا أريد الإصلاح .

● وفي « تاريخ الإمام الطبري »[1] : أن عليًّا ﷺ لما أراد الخروج قام إليه ابنٌ لرفاعة بن رافع ﷺ؛ فقال : «يا أمير المؤمنين ، أيُّ شيء تريد ؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال عليٌّ : أمَّا الذي نريد وننوي ؛ فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه قال : فإن لم يجيبوا إليه ، قال : ندعهم بعذرهم ، ونعطيهم الحقَّ ونصبر . قال : فإن لم يرضُوا؟ قال : ندعهم ما تركونا . قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : (امتنعنا منهم . قال : فنعم إذًا) .

فقام إليه رجلٌ آخر وقال له : ما أنت صانع يا أمير المؤمنين إذا لقيت هؤلاء القوم ؟ فقال : قد بان لنا ولهم أنَّ الإصلاح الكفُّ عن هذا الأمر ؛ فإن بايعونا فذلك ، وإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم[2]!.

ولما قدم على عليٍّ ﷺ من الكوفة عامرُ بنُ مطر الشيباني سأله عما وراءه فأخبره ، فسأله عليٌّ عن أبي موسى وهو واليه على الكوفة ؛ فقال : إن أردت الصُّلح ، فأبو موسى صاحب ذلك ، وإن أردت القِّتال فهو ليس بصاحب ذلك ! ـ مع إنَّه واليه على الكوفة ـ فقال عليٌّ عند ذلك :

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٤) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٤).

والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا . قال : قد أخبرتك الخبر وسكتُّ وسكت عليٌّ [(١)] .

وحين قدم على عليٍّ وفدُ الكوفة بذي قار ، قال لهم : يا أهل الكوفة ، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم ، وفضضتم جموعهم ...إلى أن قال : وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا ، هكذا لم يخرجهم عليٌّ من دائرة الأخوة إخواننا من أهل البصرة ؛ فإن يرجعوا فذاك الذي نريده ؛ فإن أَبَوْا دَاوَيْنَاهُمْ بالرِّفق حتى يبدؤونا بالظُّلم ، ولن ندع أمرًا فيه الإصلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد ـ إن شاء الله تعالى [(٢)] .

ولم يكن هذا هو رأى عليٍّ ﷺ فحسب ؛ فقد ثبت عن ولده الحسن ﷺ أنَّه كان يحلف بالله ويقول : « والله ما أردنا إلا الإصلاح » .

ويقبل الأحنف بن قيس ؛ فيقول لعليٍّ : «يا أمير المؤمنين ، إن شئتَ قاتلتُ معك ، وإن شئتَ كففتُ عنك أربعة آلاف سيف ؟ فأجاب عليٌّ ﷺ : بل اكفف عنَّا أربعة آلاف سيف » [(٣)] .

ولو كان يريد القتال لأمره أن يقاتل معه ، وقد قدم بستَّة آلاف مقاتل من الأبطال ليقاتل مع عليٍّ ﷺ انحاز بهم إلى أمير المؤمنين ، ولكنَّ عليًّا

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٤).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٨).

(٣)« المصدر السابق» (٣/ ٢٦) ، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٣٦).

ما خرج للقتال وما أراد قتالًا .

وإن من أعظم الأدلة العملية على ذلك أن عليًّا ﵁ ما خرج من المدينة إلا مع ألف رجل [1] ! هل هذا جيش ؟! ثم انضم إليه النَّاس من كلِّ مكان ؛ لينصروه ويؤيِّدوه يوم أن سمعوا بخروجه من المدينة ، حتى اجتمع إليه بعد ذلك عدد كبير .

وعلى أيِّ حال أيُّها الأحبة الكرام ؛ فإن الرِّوايات الصحيحة تثبت وتؤكد أن عليًّا نفسه ﵁ ما خرج إلا وهو يريد الإصلاح لآخر لحظة ؛ فما أن وصل إلى البصرة إلا وأرسل القعقاع بن عمرو [2] رسولًا إلى طلحة والزُّبير وعائشة ﵃ .

فما أن وصل القعقاع بن عمرو إلى البصرة حتى قابل ابتداءً أمَّهُ أُمَّ المؤمنين عائشة ﵂ قال لها القعقاع - في حوارٍ بديع: أُمَّاه ، ما أقدمك إلى هذه البلاد ؟! ما الذي أخرجك من مكَّة إلى البصرة ؟! فقالت عائشة : أي بني ، ما أقدمني إلا الإصلاح بين النَّاس .

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٦).

(٢) القعقاع بن عمرو . ترجم له الحافظ ابن حجر في الطبقة الأولى ، ولبعض أهل العلم أقوال في أن إثبات الصحبة له لا تثبت إلا من طريق فيه ضعف . وهناك من أهل العلم من يحكم له بالصحبة وقال في حقه أبو بكر الصديق ﵁ لما طلب منه خالد بن الوليد المدد أثناء حصاره للحيرة فأمده بالقعقاع وقال : لا يُهزم جيش. فيه القعقاع ؟
وقيل: إن أبا بكر كان يقول : لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل .
انظر : «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣/ ٢٤٤) طبعة دار الكتب العلمية .

فقال لها القعقاع : فهلَّا بعثتِ إلى طلحة والزُّبير؟ فأرسلت عائشة إليهما ، فأقبل طلحة والزُّبير ، فقال لهما القعقاع : إنِّي سألت أمَّ المؤمنين عائشة ما الذي أقدمها إلى هذه البلاد ؟ فقالت : إنَّها جاءت للإصلاح بين النَّاس .

فقال طلحة والزُّبير: ونحن ـ والله ـ ما جئنا إلا لذلك ! فقال القعقاع : فأخبراني ما وجْهُ هذا الإصلاح؟ ـ يعني : كيف يتحقق؟ وما السبيل إليه؟ وعلى أي شيء يكون ؟ـ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن . ولئن أنكرناه لا نصطلح ؛ فقال طلحة والزُّبير : أن يقتلَ عليٌّ قَتَلَةَ عثمانَ .

هذه هي القضية التي خرجا من أجلها أن يقتل عليٌّ قتلة عثمان ؛ فإن ترك عليٌّ ـ هكذا يقول طلحة والزُّبير ـ هذا الأمر ـ أي إقامةَ الحدِّ على قتلة عثمان ـ كان تاركًا للقرآن ؛ لأن من واجبه إقامةَ الحدِّ على القاتل ، وهو الخليفة ﷺ ، فإن ضيَّع الحدَّ فهو مضيِّع للقرآن . هذا فهم طلحة والزُّبير .

فقال القعقاع : يا طلحة ، يا زبير ، لقد تحمستما وقتلتما قَتَلَةَ عثمان من أهل البصرة ـ وكانوا عددًا قليلًا لا يزيدون تقريبًا عن ستة أفراد ـ ، فغضب لهؤلاء الذين قُتلوا ستَّة آلاف ؛ فإن تركتموهم ـ أي الستَّة آلاف ـ وقعتم فيما تزعمون أن عليًّا قد وقع فيه !

وإن قاتلتموهم وقعت مفسدة هي أربى من الأولى .

تدبر فقه الإنكار [(١)] ؛ فالإنكار لاسيما في وقت الفتن له فقه يوفِّق الله ﷻ إليه في هذه اللحظات من يشاء : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الجمعة:٤] .

تصور حينما يقيمون الحدَّ على ستَّة آلاف في البصرة كيف تكون برك الدِّماء ؟!

وإنَّما أخَّر عليٌّ قَتْلَ قَتَلَةَ عثمان إلى أن يتمكن منهم ؛ فإن الكلمة الآن في جميع الأمصار مختلفة .

---

(١) ودائمًا نكرر ونقول :الحماس وحده لا يكفي ، والإخلاص وحده لا يكفي ؛ بل يجب أن يكونا منضبطين بضوابط الشرع الثابتة ، ولا بد من تحقيق المناطات الخاصة والعامة للربط بين دلالات النصوص ومناطاتها ربطًا صحيحًا ، وإلا لأوقعنا أنفسنا وغيرنا في حرج ؛ بل ووقعنا في كثير من المفاسد التي هي أعظم من المفسدة الأولى التي ما خرجنا إلا إليها !

● ومن أنفس ما قرأت في هذا الباب ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله :

«إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل من المعروف ما يحبه الله ورسوله .

فإن كان إنكار المنكر ، يستلزم ما هو أنكر من المنكر ؛ فهو أمر بمنكر وسعي في معصية الله ورسوله .

ولقد كان النبيُّ ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ، ولا يستطيع تغييرها ؛ بل لما فتح الله عليه مكة وصارت مكة دار إسلام ، وعزم النبيُّ ﷺ على هدم البيت الحرام ، ورده على قواعد إبراهيم ، لم يفعل مع قدرته على فعل ذلك ؛ لأن قريشًا كانت حديثة عهد بكفر ، وقريبة عهد بإسلام » (٣/ ٦،٧ بتصريف من إعلام الموقعين) .

هذه أصول وقواعد وضوابط شرعية لا يجوز لأي فصيل يعمل الآن على الساحة أن يخطو على أرض الواقع ، أو ينظر تنظيرًا إلا من خلالها حتى لا يضر من حيث يريد الإصلاح .

فقالت عائشة : فماذا تقول أنت يا قعقاع ؟ فقال القعقاع كلامًا أنفس وأغلى قال : يا أمَّاه ، إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ؛ فآثِروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ، ولا تعرضونا للبلاء.

فقالت عائشة وطلحة والزُّبير - رضي الله عنهم جميعًا : أصبتَ وأحسنتَ المقالة ، فارجع إلى عليٍّ ؛ فإن كان عليٌّ عَلَىَ مِثْلِ رأيك صلح الأمر ، فرجع إلى عليٍّ ، فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كره ، ورضيه من رضيه [1] .

أعتقد أن هذه الرِّواية تبين لنا أن تراجعًا بَيِّنًا في موقف طلحة والزُّبير قد ظهر ، فأشرف القوم على الصُّلح .

وهنا تغلي مراجلُ الغِلِّ والحقد والحسدِ في قلوب السَّبئية مرةً أخرى الذين أثاروا الفتنةَ الأولى ، ووصلوا في نهايتها إلى قتل عثمان .

فأنا أدين لله - ويجب أن يدينَ بهذا المعتقدِ كُلُّ مُسْلِمٍ - أنَّه لا يوجد صحابيٌّ واحدٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ قد أعان - ولو بكلمة - على قتل عثمان ﷺ ولا على هذه الفتنة الحالكة ؛ وإنما الذي أشعل نارهَا هم السَّبئيةُ من الأوباش والمنافقين بشهادة النبيِّ ﷺ - كما ذكرت.

فهذه الفئة المنافقة الخبيثة التي قتلت عثمان ﷺ هي نفسها التي أشعلت نارَ الفتنة ، ونارَ حربِ الجمل بين عليٍّ وطلحة والزُّبير ﷺ فكيف تم ذلك ؟!

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩).

بات قتلةُ عثمان في همٍّ شديد في الوقت الذي بات فيه طلحة والزُّبير وفريقهما، وفريق عليٍّ في غاية السَّعادة والهدوء والانشراح [١].

ففي الصباح سيلتقي عليٌّ مع طلحة والزُّبير وعائشة ﵂ ليتم الإصلاح، وبات قتلة عثمان في هَمٍّ شديد؛ فقال ابن سبأ الخبيث: والله إن عليًّا هو أعلم النَّاس بكتاب الله؛ بل هو أَعْلَمُ بكتاب الله ممن يطلبون بقتل قتلة عثمان !!!

وغدًا سيجمع عليكم النَّاس ولا يريد القوم جميعًا إلا أنتم - يعني: لا يريد النَّاس إلا قتلة عثمان - فإن كان الأمر هكذا - يقول السبئية أصحاب الفتنة - ألحقنا عليًّا بعثمان - يعني قتلناه !

فقال ابن سبأ الخبيث رأس الفتنة: لو قتلناه قُتلنا جميعًا؟ لأنَّهم تظاهروا من أوَّل لحظة أنَّهم ينصرون عليًّا؛ وإلا سَينكشف أمرهم !.

قال ابن سبأ: لو قتلناه قُتلنا جميعًا، ولكن اندسوا في الصفوف بين النَّاس ! وقسَّم الخبيث جيشه إلى فريقين، وأجمعوا أمرهم على أن يتسلل كلُّ فريقٍ في سواد الليل إلى معسكر كلِّ فريق من الفريقين: فرقة تنطلق لمعسكر طَلحة والزُّبير، وفرقة تنطلق إلى معسكر عليٍّ، وينشبون القتل بالسُّيوف والرِّماح في كل معسكر من المعسكريْن في سواد الليل. ووقعت الفتنة، ولا يدري كلُّ فريق ما الخبر!

وقامت أمُّ المؤمنين ﵂ تركب هودجها على ناقتها لا تدري ماذا حدث؟

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٤٢٠)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٣٩).

وَظَنَّ كلُّ فريقٍ من الفريقين أن الفريقَ الآخر قد خدعه، وأنَّ ما كان بالليل من أمر القعقاع ما كان إلا خُدعة كبيرة من عليٍّ رضي الله عنه.

فقال فريق طلحة: فعلها عليٌّ! خدعنا عليٌّ! ولما بدأ الطَّعن والضَّرب في فريق عليٍّ، قال عليٌّ ومن معه: فعلها طلحة والزُّبير!، ونشب القتال الضَّاري، وما توقَّف القتال إلا بعدما أشرقت الشَّمس، وتبيَّن النَّاس الأمر.

ووقفت عائشة رضي الله عنها تبكي ووقف طلحة والزُّبير رضي الله عنهما يسكتان النَّاس، ويطلبان منهم الصَّبر والتأني، ولكن في وقت الفتن من الَّذي يستطيعُ أنْ يُسْكِتَ النَّاسَ وَيُطفئَ النَّار؟

ووقعت هذه الفتنة بهذه الصُّورة، التي لا يمكن البتة لمنصف عاقل أن يقول بأن حرب الجمل قد دارت رحاها بتخطيط وتدبير من فريقٍ من فريقي عليٍّ أو طلحة والزُّبير ﷺ!

الحرب أول ما تكون فتية   تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها   ولَّت عجوزًا غير ذات حليل
شمطاء ينكر لونها وتغيرت   مكروهةً للشمِّ والتقبيل [1]

هكذا وقعت فتنة موقعة الجمل في سنة ستٍّ وثلاثين من الهجرة،

(١) أبيات لامرئ القيس. ذكرها البخاري في كتاب الفتنة باب الفتنة التي تموج كموج البحر باب (١٧).

وقتل حول هودج أمِّ المؤمنين ﵂ قتلَى كثيرون ؛ كما أخبر البشير النَّذير ـ صلى الله عليه وآله وسلم : فماذا قالت عائشة ؟ وماذا قال عليٌّ رضي الله عنهم جميعًا ـ بعد وقوع هذه المأساة ؟!

● روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح [١] أن عليًّا قام يردد يوم الجمل : «اللهمَّ ليس هذا أردت . اللهمَّ ليس هذا أردت» .

وحينما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرِّجال قال : «لودِدْتُّ أنِّي متُّ قبل هذا بعشرين سنة» . وقال مثله لولده الحسن [٢] .

وفي الجانب الآخر ينادي طلحة ـ وهو على دابَّته وقد غشيه النَّاس : « يا أيُّها النَّاس ، أنصتوا ! فجعلوا يرجمونه ، ولا ينصتون ؛ فما زاد طلحة على قوله: « أُفٍّ أُفٍّ ، فِرَاشُ نَارٍ ، وَذُبَابُ طَمَعٍ » [٣] .

ولَمَّا مرَّ عليٌّ ﵁ على طلحة بعدما قُتِل ، فجعل عليٌّ يمسحُ الترابَ عن وجهه ويبكي ويقول : « عزيز عليَّ أبا محمد أن أراك مجندلًا في التُّراب تحت نجوم السَّماء !» .

ثم قال عليٌّ : إلى الله أشكو عُجَرِي وبُجَرِي ! [٤] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٩١ط العلمية) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٢١) والطبراني (١/ ١١٤) ونعيم في «الفتن» (١/ ٨٠) وجود سنده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٥٠) .

(٣) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (٤١) ، وابن عساكر في «تاريخه» (٢٥/ ١٠٩) وانظر: العواصم من القواصم (١٥٨) .

(٤) أي همومي ، وهما يستعملان فيما يكتمه المرء ويخفيه عن غيره مما في قلبه ، والأثر أخرجه =

وبكى ﷺ وبكى أصحابه على طلحة ﷺ ..على صاحب اليد التي شُلَّت ، وهي تدافعُ عن رسول الله ﷺ يوم أحد !

ولما جاء قاتلُ الزُّبير (ابن جرموز) يحملُ سيفَ الزُّبير ، وأراد أن يدخل به عَلَى عليٍّ ، وهو يظنُّ أنَّه سيجد عند عليٍّ مكانة وحظوة ؛ فهو قاتل الزُّبير ! فلمَّا أقبل عَلَى عليٍّ ﷺ وأمسك عليٌّ السيفَ بيده بكى وقال : طالما جلَّى الزُّبير بهذا السيف الكَرْبَ عن وجه رسول الله ﷺ .

ثم التفت عليٌّ إلى هذا الرَّجل القاتل وقال : « بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ »[1] بشَّره عليٌّ بالنَّار ، ولم يأذن له أبدًا بأن يدخل عليه .

والأعجب من ذلك أن عليًّا هو الذي قام بنفسه وصلَّى على قتلى الطَّرفين ، على قتلى فريق طلحة والزُّبير ، وعلى قتلى فريق عليٍّ ـ رضي الله عنهم جميعًا .

صلى على أهل البصرة والكوفة ، وصلى على مَنْ كان من أهل قريش من مدنيِّين ومكيِّين ، ودفن أطرافهم جميعًا في قبرٍ كبيرٍ واحدٍ عظيم .

= الطبراني في «الكبير» (١/ ١١٣) وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٥٠) : «إسناده حسن» .

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٧٢، ١٢٧٣) ، وابن سعد (٣/ ١٠٥) ، والحاكم (٣/ ٣٦٧) وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه »، ووافقه الذهبي ، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٨٨) .

• وروى الحارث أيضًا في « مسنده »[١] عن سليمان بن صُرَد قال : جئت إلى الحسن فقلْتُ : اعذرني عند أمير المؤمنين ـ أي : عند عليٍّ ـ حيثُ لم أحضر الواقعة ـ يعني : الجمل ـ قال الحسنُ : ما تصنع بهذا ؟ لقد رأيته ـ والله ـ يلوذ بي يوم الجمل ويقول :« يا حسن ، ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة » .

• وكانت عائشة ﵂ إذا قرأت بعد ذلك قول الله تعالى :﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. تبكي حتى يبتلَّ خمارها من البكاء ، وتقول ـ كلَّما تذكَّرت الجمل: « وددتُّ أنِّي كنتُ جلستُ كما جلس أصحابي !» .

وفي رواية : « وددتُّ أني كنتُ غصنًا رطبًا ، ولم أسر مسيري هذا»[٢] .

والعجيب أن عليًّا﵁ اقترب من عائشة ـ بعد انتهاء الموقعة ـ وهي في هودجها ؛ ليطمئن عليها .

وقد روي أن النبيَّ ﷺ قال لعلي بن أبي طالب :

«إِنَّه سَيكُونُ بيْنَك وبَيْن عائِشَةَ أَمْر» .

فقال عليٌّ : أنا يا رسول الله ؟

قال : «نَعَمْ» .

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (زوائد الهيثمي ٧٥٧) وقد سبق تخريجه بتوسع .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٧١٧، ٧١٨) ، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٨١) ، و نعيم في الفتن (١/ ٨٠) .

قال : فأنا أشقاهم يا رسول الله ! .

قال : «لاَ . ولكِن إذا كَانَ ذَلكِ ، فارْدُدْهَا إِلى مَأْمَنِها» [(١)] .

فانطلق عليٌّ إلى عائشة رضي الله عنها وقال رضي الله عنه: كيف حالك يا أماه ؟ فقالت : بخير والحمد لله ؛ فقال : غفر الله لكِ ! فقالت عائشة : ولك ، فأنزلها من هودجها ، وزوَّدها بما تحتاج إليه في سفرها ، وأرسل معها محمَّد بن أبي بكر رضي الله عنه أخوها ؛ ليصحبها من البصرة إلى مكَّة ، ومن مكَّة إلى المدينة [(٢)] .

ولم تفارق من ذلك اليوم بيتها حتى ماتت - رضي الله عنها وعن جميع أصحاب النبيِّ ﷺ .

ويتضح لنا - أيها الأحبة الكرام - الأصابع التي دبَّرت هذه الفتنة الحالكة المظلمة . وأن فتنة موقعة الجمل قد وقعت على غير اختيارٍ من الصَّحابة - رضي الله عنهم جميعًا - وإنَّما أشعل نارها السَّبئيُّون المجرمون ، والحرب إذا تأججت نيرانها لا يستطيع العقلاء إطفاءَها ؛ بل لقد حاول عليٌّ وطلحة والزُّبير وعائشة أن يوقفوا القتال ! لكن لم يفلحوا .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/ ٣٩٣) ، والبزار في مسنده (كشف ٣٢٧٢) ، والطبراني في الكبير (١/ ٩٩٥) ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٤): «رواه أحمد والبزار والطبراني ، ورجاله ثقات » ، وقال الأرناؤوط : « إسناده ضعيف ، الفضيل بن سليمان النميري عنده مناكير » .

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٦٠) بتصرف .

ـ وهذه بعضُ أقوال الأئمة في ذلك :

• **قال الإمام الطحاوي ـ رحمه الله**[١] :

« فَجَرَتْ فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة ، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السَّابقين » .

• **وقال الباقلَّاني**[٢] :

« ... وتم الصُّلح والتَّفرق على الرِّضا ، فخاف قتلة عثمان من التَّمكن منهم ، والإطاحة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين ، ويبدؤوا بالحرب سَحْرَةً في المعسكرين ويختلطوا ، ويصيح الفريق الذي في عسكر عليٍّ : غَدَرَ طلحة والزُّبير ، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزُّبير ؛ غَدَرَ عَليٌّ ، فتم لهم ذلك على ما دبروه ، ونشبت الحرب ، فكان كلُّ فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه ، ومانعًا من الإشاطة بدمه ، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع ، والامتناع منهم على هذا السَّبيل ؛ فهذا هو الصَّحيح المشهور ، وإليه نميل ، وبه نقول » .

• **ونقل القاضي عبد الجبار**[٣] أقوال العلماء ، باتِّفاق رأي عليٍّ وطلحة

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية» (٤٨٢) ط المكتب الإسلامي .

(٢) « التمهيد » (ص ٢٣٣) ، و« التذكرة » للقرطبي (٢/ ٤١٣) .

(٣) « تثبيت دلائل النبوة» للهمداني (ص ٢٩٩) .

والزُّبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصُّلح وترك الحرب واستقبال النظر في الأمر ، وأن من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك ، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم ، فدبروا في إلقاء ما هو معروف ، وتم ذلكِ .

● **وقال ابن العربي** [١]:

« وقدم عليٌّ على البصرة ، وتدافعوا ليتراؤوا ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا بإراقة الدِّماء ، واشْتجر الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء ، وكلُّ ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا يقف الحال على البيان ، ويخفى قتلة عثمان ، وإنَّ واحدًا في الجيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف ؟! » .

● **وقال ابن حزم** [٢]:

« ... وبرهان ذلك أنَّهم اجتمعوا لم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان اللَّيل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتَّدبير عليهم ، فبيَّتوا عسكر طلحة والزُّبير وبذلوا السَّيف فيهم ، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليٍّ ، فدفع أهله عن أنفسهم ، كلُّ طائفة تظنُّ ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال ، واختلط الأمر اختلاطًا ، لم يقدر أحد

---

(١)« العواصم من القواصم » (١٥٩) .

(٢)« الفصل في الملل والنحل » (٤/ ١٥٧ ، ١٥٨) .

على أكثر من الدِّفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنِّ الحرب وإضرامها ، فكلتا الطَّائفتين مصيبةٌ في غرضها ومقصدها ، مدافعة عن نفسها ، ورجع الزُّبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحةَ سهمٌ غارب ، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط ، فصادف جرحًا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ، فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه ، وقُتِلَ الزُّبير بوادي السِّباع بعد انسحابه من المعركة على أقلّ من يوم من البصرة ، فهكذا كان الأمر » .

• **وقال الذهبي**[1] : «كانت وقعة الجمل آثارها سفهاء الفريقين» .

• **وقال**[2] : « إن الفريقين اصطلحا ، وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال ، بل ليتكلَّموا في اجتماع الكلمة ، فترامى أوباش الطائفتين بالنَبْل ، وشبَّت الحرب ، وثارت النُّفوس » .

وكان قد اعتزل هذه الفتنة عدد من الصَّحابة ؛ اعتمادًا منهم على أحاديث رسول ﷺ في الاعتزال وقت الفتن ، على رأسهم سعد بن أبي وقاص ، محمَّد بن مسلمة ، أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن عمر ، سلمة بن الأكوع ، عمران بن حصين ، أسامة بن زيد ، سعيد بن العاص الأموي ، عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ فإنَّه خرج طاعة لأبيه

---

(١) «العبر» (١/ ٣٧) .

(٢) « تاريخ الإسلام » (١/ ١٥) .

وما قاتل ، وصهيب الرومي ، أبو أيوب الأنصاري ، وأبو بكرة ، وحذيفة ، وأبو هريرة ـ رضوان الله عليهم جميعًا .

○ وتدبر معي هذا الكلام النفيس لأواصل الحديث عما وقع من فتن بعد موقعة الجمل .

● **يقول الإمام القرطبيُّ [١] ـ رحمه الله تعالى :**

« لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصَّحابة خطأٌ مقطوعٌ به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهم كلهم لنا أئمَّة ... إلى أن قال : هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبيِّ ﷺ أن طلحة شهيدٌ يمشي على وجه الأرض ؛ فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانًا لم يكن بالقتل فيه شهيدًا ، ومما يدل على ذلك ما قد صحَّ وانتشر من إخبار عَليٍّ بأن قاتل الزُّبير في النَّار وقوله : سمعت رسول ﷺ . يقول :

« **بَشِّر قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ** » [٢] .

وإذا كان كذلك ؛ فقد ثبت أن طلحة والزُّبير غير عاصيين ، ولا آثمين بالقتال ؛ أي : أنَّهما معذوران باجتهادهما ؛ لأنَّ ذلك لو كان كذلك لم

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » (١٦/ ٢١١) (لسورة الحجرات:٩) .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٨٩) ، والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٤٣) ، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٧) ، وقال الحاكم : «هذه الأحاديث صحيحة عن أمير المؤمنين عليّ وإن لم يخرجاه بهذه الأسانيد». ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٧٧) و«ظلال الجنة» (١٣٨٨) .

يقل النبيُّ ﷺ في طلحة شهيد ، ولم يخبر النبيُّ ﷺ بأنَّ قاتل الزُّبير في النَّار ، وكذلك مَنْ قعدَ غيرُ مخطئ في التأويل ، بل صواب أراهم الله الاجتهاد ، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم ، والبراءة منهم وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم ، وعظيم غنائهم في الدِّين ـ رضي الله تعالى عنهم ».

بل إن أمير المؤمنين عليًّا ، يقرُّ بحق طلحة والزُّبير وعائشة في الخروج للمطالبة بدم عثمان ، وبأن لهم حجة [1] ودليلًا على ما قاموا به ما داموا يريدون وجه الله عزَّ وجلَّ ، فحين قام أبو سلامة الدالاني فقال لعلي: يا أمير المؤمنين ، هل لهؤلاء القوم حجَّة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك ؟ قال علي : نعم .

وعلى ذلك إذا كان الصَّحابة ـ رضوان الله عيهم ـ يجوز عليهم الخطأ كما يجوز على كلِّ البشر ؛ فحيئذ نستطيع أن نقبل ما يحدث في تصرفاتهم من أخطاء غير مقصودة أو متعمدة ، وإنما وقعت نتيجة اجتهاد لم يوفّق فيه فريق منهم إلى الصَّواب ، لكنهم مثابون على أيِّ حال ، على إخلاصهم في اجتهادهم ـ إن شاء الله تعالى.

ولذا يقول الإمام ابن حزم ـ رحمه الله تعالى : « فقد صح صحة

---

(١) « تاريخ الطبري » (٣/ ٣٣) العلمية .

(٢) « الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٣/ ٨٣) العلمية .

ضرورية لا إشكال فيها ، أن طلحة والزُّبير وعائشة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يمضوا إلى البصرة لحرب عليٍّ ولا خلافًا عليه ، ولا نقضًا لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته . هذا ما لا يشك فيه أحد ، ولا ينكره أحد ، فصحَّ أنَّهم إنَّما نهضوا إلى البصرة لسدِّ الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان ظلمًا وعدوانًا ـ ﭬ وأرضاه » .

إذًا السَّبب الذي أوقع الخلاف بين أصحاب النبيِّ ﷺ هو المطالبة بدم عثمان ؛ فريق يطالب بإقامة الحدِّ على قتلة عثمان فورًا ، وفريق يطالب بالتأجيل والإرجاء ؛ حتى تلتقي كلمةُ المسلمين ، وحتى تلتقي هذه الجموعُ المشتتة ، وتقوى شوكتهم ، ويستطيع عليٌّ ﭬ بقوة ومنعة أن يقيم الحدَّ على هؤلاء البغاة الذين تعصَّب لهم كثير من الغوغاء .

لكن على أي حال ، قدَّر الله وما شاء فعل . ووقعت وقعة الجمل في سنة ستٍ وثلاثين من الهجرة ، وقتل فيها كثير من المسلمين ، نسأل الله أن يتجاوز عنا وعنهم بمنِّه وكرمه .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠] .



موقعة صِفِّين

موقعة صِفِّين

أنهيت الحديث في الفصل السَّابق عن موقعة الجمل ، وذكرت أن الصَّحابة رضي الله عنهم كانوا جميعًا بلا استثناء متَّفقين على إقامة الحدِّ على قتلة عثمان رضي الله عنه ، ولكنَّ الخلاف قد وقع بين أصحاب النبيِّ ﷺ في وقتِ إقامةِ الحدِّ عليهم .

● فبينما رأى عليٌّ رضي الله عنه تأجيلَ إقامةِ الحدِّ على قتلة عثمان ؛ لأن كلمة المسلمين مشتتة ؛ ولأن الثوَّار لا زالوا يحاصرون المدينة ، ولا يمتلك عليٌّ رضي الله عنه القوةَ التي يتمكن بها ويستطيع من خلالها أن يقيم الحدَّ على مجموعة كبيرة ، تفرَّقَ دم عثمان رضي الله عنه بينهم .

●● بينما رأى الفريق الآخر : فريق طلحة والزُّبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم وغيرهم أن يُعَجِّلَ عليٌّ رضي الله عنه بإقامة الحدِّ على قَتَلَةِ عثمان ؛ بل رفض معاوية رضي الله عنه أن يعطي البَيْعَةَ لعليٍّ رضي الله عنه إلا إذا أقام الحدَّ على قتلةِ عثمان ، أو سلَّم إليه قتلةَ عثمان ليقتلهم .

ومن هنا ـ كما ذكرت ـ نشأ الخلافُ بين أصحابِ النبيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ونحن نجزم ـ وهذا معتقدُ أهلِ السُّنَّة والجماعة ـ أن جميع الصَّحابة رضي الله عنهم مأجورون ، بمن فيهم معاوية رضي الله عنه .

ولكننا نعتقد أيضًا اعتقادًا جازمًا أن الحقَّ كان مع عليٍّ ﷺ ، ولكن معاوية ﷺ اجتهد وأخطأ ، والمجتهد المصيب له أجران ، والمجتهد المخطيء له أجر واحد ، كما سأفصل وأبين ـ إن شاء الله تعالى .

هذا هو أصل الخلاف الذي وقع بين أصحاب النبيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

ونحن لا ننفي وقوع الخطأ من الصَّحابي ؛ لأننا أصَّلنا قبل ذلك أن الصَّحابة بشر ، ليسوا معصومين من الوقوع في الخطأ والزَّلل ؛ فإنَّ العصمة قد دفنت يوم دفن المصطفى ﷺ . ولكننا في الوقت ذاته نقطع ونجزم بأن الصَّحابي لا يفعل الخطأ عن قصد وعمد .

○ وأُذَكِّرُ مرةً أخرى بقول الإمام القرطبي [(١)] ـ رحمه الله تعالى: « لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصَّحابة خطأ مقطوع به ، إذ كانوا قد اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ ، وهم كلُّهم لنا أئمَّة ، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم ، وألاَّ نذكرهم إلا بأحسن الذكر ؛ لحرمة الصُّحبة ، لنهي النبيِّ ﷺ عن سبِّهم ، وأن الله غفر لهم ، وأخبر بالرِّضا عنهم . إلى أن قال : ...فقال ﷺ :

« طَلْحَةُ شَهِيدٌ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ » [(٢)] هذه شهادةٌ من الصَّادق

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢١١) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب طلحة بن عبيد الله ﷺ (٣٧٣٩) ، وابن=

المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانًا لم يكن بالقتل فيه شهادة » .

يعني : لو قتل طلحة في هذه الحرب وقد خرج إليها وهو عاصٍ لله ورسوله ؛ هل كان يحكم له النبيُّ ﷺ بالشَّهادة ؟!

وهو القائل ﷺ : « **طَلْحَةُ شَهِيدٌ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ** » ومعلوم أن طلحة قد مات في واقعة الجمل ، فلو خرج طلحة في هذه الحرب عصيانًا ما شهد له بالشَّهادة .

● قال القرطبي : « ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من إخبار عليٍّ رضي الله عنه بأن قاتل الزُّبير في النَّار ، وقوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ** »[1] ـ وهو الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه حواري النبيِّ ﷺ ـ وإذا كان كذلك ؛ فقد ثبت أن طلحة والزُّبير غيرُ عاصيين ولا آثمين ؛ أي : إنَّهما معذوران باجتهادهما ، ولو كان غير ذلك لم يقل

= ماجه في المقدمة ، باب : فضل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (١٢٥) ، وأبو داود الطيالسي في « مسنده » (ص٢٤٨،ح١٧٩٣) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ٢١٥) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٩١٥) ، و« الصحيحة » (١٢٦) .

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٨٩) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ٢٤٣) ، والحاكم في « المستدرك» (٣/ ٣٦٧) ، وقال الحاكم : « هذه الأحاديث صحيحة عن أمير المؤمنين عليّ وإن لم يخرجاه بهذه الأسانيد» . ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٨٧٧) ، و «ظلال الجنة » (١٣٨٨) .

النبيُّ ﷺ في طلحة : «شهيد» ، ولم يخبر النبيُّ ﷺ أن قاتل الزُّبير في النَّار .

ومن ثَمَّ ؛ فلا يجوز البتة لأحدٍ أن يلعنهم أو أن يتبرأ منهم أو أن يفسِّقهم أو أن يبطل فضائلهم وجهادهم ، وعظيم عنائهم في الدِّين ــ رضي الله عنهم ».ا.هـ . بتصرف .

○ إذًا ؛ السبب الذي أوقع الخلاف بين أصحاب النبيِّ ــ عليه الصلاة والسلام ــ هو المطالبة بدم عثمان ، فريق يطالب بإقامة الحدِّ على قتلة عثمان فورًا ، وفريق يطالب بالتَّأجيل والإرجاء ، حتى تلتقي كلمة المسلمين ، وحتى تلتقي هذه الجموع المشتتة وتقوى شوكتهم ، ويستطيع عليٌّ بقوةٍ ومنعة أن يقيم الحدَّ على هؤلاء البغاة الذين وصل عددهم إلى ما يزيد على ستَّة آلاف .

وقد بينت ــ في الفصل السَّابق ــ فقه عليٍّ وحكمته ، وأن قضية إنكار هذا المنكر تندرج تحت القاعدة الأصولية الكبيرة ، قاعدة مراعاة المفاسد والمصالح ، وترجيح أخف الضَّررين .

ولِهذا السبب أيضًا وقعت الفتنةُ بين عليٍّ ومعاوية ﭭ في موقعة صفين !

وصِفِّين (بكسر الصَّاد مع فاء مشددة مكسورة) مكانٌ على شاطئ

الفرات في آخر حدود العراق، وأول حدود الشَّام.

○ وفي هذا الموطن وقعت الفتنة الثَّانية بين فريق علي ﷺ وفريق معاوية ﷺ، أو بين فريق أهل العراق وفريق أهل الشَّام.

● ودعوني أُذَكِّرُ مرةً أخرى لما قتل عثمان ﷺ حمل النُّعمانُ بن بشير قميصَه الذي قُتل فيه مع أصابع نائلة التي قطعت، وهي تدافع عنه ﷺ إلى معاوية ﷺ في بلاد الشَّام[1]، فلمَّا رأى فريقٌ من الصَّحابة، وكثيرٌ من المؤمنين الصَّادقين من أهل الشَّام قميص عثمان، وأصابع امرأته ضجوا جميعًا بالبكاء، وبايعوا معاوية ﷺ على المطالبة بدم عثمان - ولم يبايعوه على الخلافة - ولم يحدث ذلك البتَّة؛ بل بايعوه على المطالبة بدم عثمان، وعلى ألا يعطوا الْبَيْعَةَ لعليٍّ ﷺ إلا إذا أقام الحدَّ عليهم، أو سَلَّمَ قَتَلَةَ عثمان لمعاوية ﷺ ليقيم الحدَّ عليهم باعتباره ابن عم عثمان، وهو أولى الناس بالمطالبة بدمه، وهو عامله على الشَّام. وهناك عوامل كثيرة جعلت معاوية ﷺ يطالب بدم عثمان ﷺ.

● وفي «تاريخ الطبري»[2]: أن معاوية ﷺ أرسل رسولًا إلى عليٍّ ابن أبي طالب ﷺ فلما دخل الرَّسول على عليّ قال: لقد تركت ورائي

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٧٠)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٥٣٩).

(٢) (٣/ ٤) وكذا «تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٦٠٢)، و«الثقات» لابن حبان (٢/ ٢٧٦)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٣٠).

ستِّين ألف شيخ يبكون على قميص عثمان ، وهو منصوب لهم ، وقد ألبسوه منبر دمشق .

قال عليٌّ : مني يطلبون دم عثمان ، ! ثم قال : اللهمَّ إنِّي أبرأ إليك من دم عثمان ! نجا والله قتلة عثمان ؛ إلا أن يشاء الله .

انظر إلى الفهم العجيب بمجرد أن جاءت هذه الرسالة ، قال عليٌّ تلك المقالة .. لماذا ؟

لأن كلمةَ المسلمين افترقت ، وفي هذه الفُرْقَةِ سيضيعُ دمُ عثمان ؛ سيضيع الحق ؛ ولذا كان عليٌّ يرجو أن يبايعَه معاويةُ ؛ لتلتقي القوة والجموع ـ جموعُ الشَّام مع جموعِ أهل العراق ـ ليستطيعوا من خلال هذه القوة أن يقيموا الحدَّ على قتلة عثمان ﷺ، ولكن افترقت كلمةُ الأمة ؛ لذا قال عليٌّ: « نجا والله قتلة عثمان ؛ إلا أن يشاء الله !» .

ولذلك أرسل عليٌّ ﷺوفدًا ـ وهذا ديدنه وهذا خلقه ؛ كما ذكرنا في وفادته العظيمة ـ للقعقاع بن عمرو التميمي .

أرسل وفدًا إلى معاوية ﷺوفيهم بشير بن أبي مسعود الأنصاري ، المدني ، وهو تابعيٌّ ثقة ، روى عن أبيه الصَّحابي الجليل أبي مسعود البدري ﷺ.

فقال بشير لمعاوية : أدعوك إلى تقوى ربك ، وإجابة ابن عمك عليٍّ ،

إلى ما يدعوك إليه من الحقِّ ؛ فإنه أسلم في دينك ، وخير لك في عاقبة أمرك ؛ فقال معاوية ﷺ : ويبطل دم عثمان ؟! لا والرَّحمن لا أفعل ذلك أبدًا ؟ [١].

• فكتب معاوية إلى عليٍّ ﷺ يقول له : إن كنتَ صادقًا فأمكنا من قتلته نقتلهم به ، ونحن أسرع إليك إجابة وأطوعهم طاعة ، وإلَّا فليس لك ولأصحابك عندنا إلا السَّيف ، فوالله الذي لا إله غيره ، لنطلبنَّ قتلة عثمان في البرِّ والبحر والجبال والرِّمال حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله ، والسلام ! [٢].

• وذكر يحيى بن سليمان الجعفي [٣] في كتاب « صفِّين » بسند جيد كما قال الحافظ في «الفتح» عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية : أنت تنازع عليًّا في الخلافة ـ أو أنت مثله ؟! فقال معاوية : لا أنازعه في الخلافة ، وإني أعلم أنه أفضل منِّي وأحقُّ بالأمر منِّي ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا ، وأنا ابن عمه ووليه وأطلب بدمه ؟!

فَأْتُوا عليًّا فقولوا له : يدفع لنا قتلة عثمان . فكلَّموه ، فقال عليٌّ :

---

(١) « تاريخ الطبري » (٣/ ٧٧) ط العلمية .

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٦٧) و «الثقات» لابن حبان (٢/ ٢٨٧).

(٣) انظر : «فتح الباري» (١٣/ ٨٦) ، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩) ، و«تاريخ الإسلام» (١/ ٤٦٥) ، وقد روي من غير وجه عن أبي مسلم كما قال ابن كثير .

يدخل في البيعة ويحاكمهم إليَّ ! فامتنع معاوية ـ رضي الله عنهم جميعًا .

• وروى ابن مزاحم في كتابه « وقعة صفين » : أن أبا مسلم الخولاني قال : تناوئه ، وليست لك سابقة ؟!

يقول أبو مسلم لمعاوية : تناوئ عليًّا وليست لك سابقة ؟ ـ أي : من أنت بجوار عليٍّ ـ فعليٌّ ﷺ هو السابق ، فقال معاوية : لست أَدَّعي أَنِّي مثل عليٍّ في الفضل ؛ ولكن هل تعلمون أن عثمان قُتِلَ مظلومًا ؟ قالوا : نعم ، قال : فليدفع لنا قَتَلَةَ عثمان حتى نسلِّم له في هذا الأمر .

• وذكر القاضي ابن العربي ـ رحمه الله تعالى[1] ـ في كتابه الماتع « العواصم »: أن سبب القتال بين أهل الشَّام وأهل العراق يرجع إلى تباين الموقف بينهما، فهؤلاء ـ أي أهل العراق ـ يدعون إلى عليٍّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام .

وهؤلاء ـ أي : أهل الشَّام ـ يدعون إلى التَّمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يأوي القتلة!

وقد بينت مرارًا أن عليًّا ﷺ لا يستطيع في هذا الوقت أن يُقيمَ الحدَّ على هذه الجموع التي تفرق بينها دمُ عثمان ﷺ .

• ويقول إمام الحرمين الجويني ـ رحمه الله ـ في « لمع الأدلة في عقائد

---

(١) « العواصم من القواصم » (١٦٦) بتصرف .

أهل السنة والجماعة »[1] : إن معاوية وإنْ قاتل عليًّا ؛ فإنه لا يُنكر إمامتَه ـ أي : لا ينكر معاويةُ إمامةَ عليٍّ ولا يدَّعيها لنفسه ـ وإنما كان يطلب قَتَلَة عثمان ظنًّا منه أنه مصيب ، وكان مخطئًا ﵁ .

● **أمَّا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ طيب الله ثراه ـ** فإنَّه يقرِّر كذلك أن معاوية لم يَدَّع الخلافة ولم يُبَايع له بها حين قاتل عليًّا ، قال: وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطَّائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليًّا ولا معاوية . وكان عليٌّ ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ أطلب لكفِّ الدِّماء من أكثر المقتتلين لكن غلبا فيما وقع . والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها . وكان في العسكريين مثل : الأشتر النخعي ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمي ، ونحوهم من المحرِّضين على القتال ، قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار وقوم ينفِّرون عنه ، وقوم ينتصرون لعلي وقوم ينفِّرون عنه ، ثم قتال أصحاب معاوية معه ، لم يكن بخصوص معاوية ؛ بل كان لأسباب أخرى .

وقتالٌ مثل قتال الجاهلية لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم ؛ كما قال الزهري : وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله متوافرون ، فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن ، فإنه هدر أنزلوهم

---

(١) « لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة » (١١٥) .

منزلة الجاهلية[١] ا.هـ

فلم يقاتل معاوية على أنه خليفة ، ولا لأنه يستحق الخلافة ، وكان معاوية يقرُّ بذلك لمن يسأله .

• **قال ابن حزم في «الفصل»[٢] :** «ولم ينكر معاوية قط فضْلَ عليٍّ ، واستحقاقه الخلافة ، ولكن اجتهاده أدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان ﭬ على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان » .

○ **ويورد ابن كثير روايتين في هذا الموضوع في غاية النفاسة والدقة :**

• **الرواية الأولى :** عن أبي الدرداء وأبي أمامة ﭭ أنهما دخلا على معاوية ، فقالا له : يا معاوية ، علام تقاتل هذا الرجل ؟ - أي : عليًّا ﭬ - فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامًا ، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ ، وأحقُّ بهذا الأمر منك!

فقال معاوية : أقاتله على دم عثمان ، وأنه آوى قتلته ؛ فاذهبا إليه فقولا له : فليُقِدْنا من قتلة عثمان ، ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشَّام[٣] .

• **أما الرِّواية الثانية :** فتَذْكُر أن عليًّا ﭬ بعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته ، وأعطاه كتابًا بذلك ؛ فاستشار معاويةُ عمروَ بن العاص ،

---

(١) راجع « منهاج السنة النبوية » (٤/ ٣٨٣- ٤٦٧) ، و«مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٧٢).
(٢) (٤/ ١٦٠) .
(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٠) .

ورؤوس أهلِ الشَّام ، فكان منهم جميعًا أن أبوا أن يبايعوا عليًّا حتى يقتل قتلة عثمان أو يسلمهم إليهم ـ رضوان الله عليهم جميعًا[١] .

• **يقول الحافظ ابن حجر في « الإصابة »**[٢] : « ثم قام معاوية في أهل الشَّام ، وكان أميرها لعثمان ولعمر من قبله ، فدعا إلى الطَّلب بدم عثمان» .

• **ويقول الهيتمي**[٣] : « ومِن اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي ﷺ من حروب لم يكن لمنازعة معاوية لعليٍّ في الخلافة ، للإجماع على أحقيتها لعليٍّ ، فلم تهج الفتنة بسببها ـ أي : بسبب الخلافة ـ ولكن هاجت الفتنة بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من عليٍّ تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه ؛ فامتنع عليٌّ ﷺ » .

ويمكن القول ـ بعد هذه النقول : أن معاوية ﷺ كان مجتهدًا متأولًا ، يغلب على ظنِّه أن الحقَّ معه ؛ ولذلك قام معاوية بنفسه خطيبًا في أهل الشَّام بعد أن جمعهم ، وذكَّرهم بأنه وليُّ عثمان ، وأنه ابن عمِّه ، وأن عثمان قُتِل مظلومًا ، وقرأ عليهم قول الله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء:٣٣] .

---

(١) ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ٢٥٤) .

(٢) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٤٦٥ ط العلمية).

(٣) «الصواعق المحرقة» (٢/ ٦٢٢).

يتأول الآيات كما تأولت عائشة ﷺ قول الله ـ الذي ذكرت قبل ذلك : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء:١١٤].

○ ثُمَّ قال معاوية : أنا أحبُّ أن تعلموني ذات أنفسكم ـ أي : أخبروني بما يدور في صدوركم من قتل عثمان ـ ؛ فقام أهل الشَّام جميعًا بالطَّلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك ، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم ، أو يفني اللهُ أرواحَهم جميعًا [١].

وهذا الخطأ في التأويل يبرهن عليه قول عمَّار بن ياسر ﷺ في موقعة صفِّين .

فعن زياد بن الحارث ـ له صحبة ـ قال : « كنتُ إلى جنب عمَّار بن ياسر في صفِّين ، وركبتي تمس ركبته . يقول : فقال رجل : كفر أهل الشَّام ـ يحكم عليهم بالكفر ـ فقال عما بن ياسر ﷺ : لا تقولوا ذلك ؛ نبيُّنا ونبيَّهم واحد ، وقبلتنا وقبلتهم واحدة ، ولكنهم قوم مفتونون ، جاروا عن الحقِّ ، فحقٌّ علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه » [٢] أي : إلى مبايعة عليٍّ.

عمَّار الَّذي قال النبيُّ ﷺ في حقِّه كما في الصحيحين من حديث أبي

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٧٢٢) ، وابن عساكر (١/ ٣٤٨).

سعيد الخدري ﷺ: « تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ البَاغِيَةَ »[1]، فأثبت النبيُّ ﷺ بغيًا وظلمًا من فريق معاوية على فريق عليٍّ، ومع ذلك لم يُخْرِج النبي ﷺ الفئتين والطائفتين من الإيمان؛ كما سأبين - إن شاء الله تعالى .

● **قال ابن حجر في «الفتح»** [2]: « وفي هذا الحديث علم من أعلام النُّبوة، وفضيلة ظاهرةٌ لعليٍّ وعمار، وردٌّ على النَّواصب الزَّاعمين: أن عليًّا لم يكن مصيبًا في حروبه » .

وقال [3]: « دلَّ الحديث على أن عليًّا كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه » - يعني عمارًا ﷺ .

● **وقال النووي** [4]: «وكانت الصَّحابة يوم صفِّين يتَّبعونه، حيث توجه - أي عمّار - لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة، لهذا الحديث» .

● **وقال ابن كثير**[5]: « كان عليٌّ وأصحابه أدنى الطَّائفتين إلى الحقِّ من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم » .

● **وقال** [6]: وهذا مقتل عمّار بن ياسر ﷺ مع أمير المؤمنين عليٍّ بن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد (٤٧٤)، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... (٢٩١٥)، (٢٩١٦) عن أم سلمة ﷺ.

(٢) (١/ ٦٤٦).

(٣) (١٣/ ٩٢ الفتح).

(٤) «تهذيب الأسماء» (٢/ ٣٨).

(٥) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢٠).

(٦) «البداية» (٧/ ٢٧٧).

أبي طالب ، قتله أهل الشَّام ، وبان وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به الرَّسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أن عليًّا محقٌّ ، وأن معاوية باغٍ ، وما في ذلك من دلائل النُّبوة » .

● **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** (١) : «وهذا يدلُّ على صحة إمامة عليٍّ ، ووجوب طاعته ، وأن الدَّاعي إلى طاعته داع إلى الجنَّة ، وأن الدَّاعي إلى مقاتلته داع إلى النَّار ، وإن كان متأولاً أو باغيًا بلا تأويل ، وهو أصحُّ القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًّا ، وهو مذهب الأئمَّة الفقهاء الذين فرَّعوُا على ذلك قتال البغاة المتأوِّلين».

ومع هذا التأصيل في أن الحقّ مع عليٍّ ومن معه ، وقع القتال بسبب التَّأويل ؛ بل واشتدَّ في موقعة صفِّين ، واحتدم ليلة السبت من شهر صفر سنة سبع وثلاثين من هجرة النبيِّ ﷺ ، وكانت هذه الليلة تسمَّى بليلة الهرير ؛ فدار القتال فيها حتى الصَّباح ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ فوقع خلق كثير قتلى .

وهنا رفع أهل الشَّام المصاحف في ساحة المعركة ، ورفعوا أصواتهم ينادون بالصُّلح والعودة والاحتكام إلى كتاب الله ـ جلَّ وعلا .

---

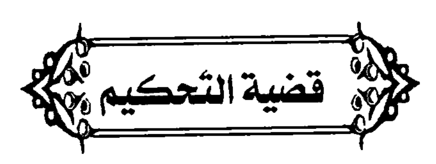
(١) «الفتاوى» (٤/ ٤٣٧).

وبمجرد أن رفع أهل الشَّام المصاحف على أسنَّة السُّيوف والرِّماح ، في أرض المعركة بعدما كادت المعركة تنتهي لصالح عليٍّ ﷺ ؛ إلَّا وقال فريق كبير من جيش عليٍّ يقال له حينئذ : القُرَّاء ـ الَّذين يُعرفون باسم الخوارج ـ قالوا : لابد من التحاكم إلى كتاب الله !

وهل خرج عليٌّ إلا لينصر كتاب الله سبحانه وتعالى ؟!




قضية التَّحكيم



وهنا وقع كلامٌ كثيرٌ في كتب السِّير في قضية التَّحكيم بعد أن اختار فريقُ العراق أبا موسى الأشعري ، واختار فريق الشَّام عمرو بن العاص .

● **يقول الإمام ابن العربي في كتابه الماتع « العواصم من القواصم »** [1]:

«وهنا قال النَّاس في أمر التَّحكيم كلامًا لا يرضاه الله ، إذا تدبرتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنَّها سخافة ، حمل على تسطيرها في الكتب في الأكثر عدم الدِّين ، وفي الأقل جهل متين ، والَّذي صحَّ من ذلك ما روى الأئمَّة ، كخليفة بن خيَّاط والدَّارقطني : أنه لما خرج الطَّائفة العراقية مائة ألف ، والشَّامية في سبعين ـ أو تسعين ـ ألفًا ، ونزلوا على الفرات بصفِّين اقتتلوا في أول يوم ، وهو الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وليلة السَّبت ، ورُفِعَتِ المصاحف من أهل الشَّام ، ودعوا إلى الصُّلح ، وتفرَّقوا على أن تجعل كلُّ طائفة أمرها إلى رجل ، حتى يكون الرَّجلان يحكمان بين الدَّعْوَيَيْنِ بالحقِّ ؛ فكان من جهة عليٍّ : أبو موسى الأشعري ، ومن جهة معاوية : عمرو بن العاص .

---

(١)(١٧٥ـ ١٧٩ بتصريف في المعنى).

وكان أبو موسى رجلًا تقيًا ثقفًا فقيهًا عالمًا ، أرسله النبيُّ ﷺ إلى اليمن مع معاذ بن جبل ، وقدمه عمر بن الخطاب ، وأثنى عليه بالفهم ، وزعمت الطَّائفة التَّاريخية الرَّكيكة أنه كان أَبْله ضعيفَ الرَّأي مخدوعًا في القول ! وأن ابن العاص كان ذا دهاءٍ وأرب ، حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيدًا لما أرادت من الفساد ، وتبع في ذلك بعض الجهال ، وصنَّفوا فيه حكايات ، وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى ، وإنما بنوا ذلك على أن عمرًا لما غدر بأبي موسى في قصَّة التَّحكيم صار له الذِّكر في الدهاء والمكْرِ .

وقالوا : إنَّهما لما اجتمعا بأَذْرُح من دُومَةِ الجَنْدَل ـ قرية بالشَّام ـ وتفاوضا ، اتفقا على أن يخلعا الرجلين ! ؛ فقال عمرو لأبي موسى : اسبق بالقول ؛ فتقدم؛ فقال : إني نظرتُ فخلعت عليًّا من الأمر ، وينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفي هذا من عنقي ـ أو من عاتقي ـ وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض . وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض ، وقال : إني نظرتُ فأثبتُّ معاوية في الأمر كما أثبتُّ سيفي هذا في عاتقي . وتقلده ، فأنكر أبو موسى ؛ فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرَّق الجميع على ذلك من الاختلاف .

وهذه روايةُ الإمام الطبريِّ عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال :

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١١٢ ط العلمية) .

حدثني أبو جناب الكلبي أن عَمْرًا ﷺ وأبا موسى ﷺ التقيا بِدَوْمَةِ الجَنْدَل ـ المكان الذي تمَّ فيه الصُّلح ـ أخذ عمرو يقدِّم أبا موسى في الكلام يقول : إنَّك صاحب رسول الله وأنت أسنَّ مني ؛ فتكلم وأتكلم ؛ فكان عمرو قد عوَّد أبا موسى أن يقدِّمه في كلِّ شيء ، قصد بذلك أن يقدمه ؛ ليبدأ أبو موسى بخلع عليٍّ .

قال : فنظرا في أمرهما ، وما اجتمعا عليه ، فأراده عمرو على معاوية فأبى ـ يعني : طلب عمرو من أبي موسى أن يثبت معاوية خليفة فأبى ـ وأراده عمرو على ابنه عبد الله بن عمرو فأبى ، وأراد أبو موسى عمرًا على عبد الله بن عمرو فأبى ـ أي : فأبى عمرو بن العاص ـ فقال له عمرو : خَبِّرْنِي ، ما رأيك ؟ قال : رأيي أن نخلع هذين الرَّجلين ! (هذه أول أكذوبة : نخلع هذين الرَّجلين من ماذا ؟ من الخلافة ، وهل معاوية خليفة ؟) ـ ونجعل الأمر شورى بين المسلمين فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا . فقال له عمرو : إن الرَّأي ما رأيت !

فأقبلا إلى النَّاس وهم مجتمعون ؛ فقال عمرو : يا أبا موسى ، أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق . فتكلَّم أبو موسى فقال : إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله ﷻ به أمر هذه الأمَّة ؛ فقال عمرو : صَدَقَ وَبَرَّ ، يا أبا موسى تقدم فتكلَّم . فتقدم أبو موسى ليتكلَّم ، فقال ابن عباس لأبي موسى : والله إني لأظنه قد خدعك ؛ إن

كنتما قد اتفقتما على الأمر ، فقدِّمه فليتكلَّم بذلك الأمر قبلك يا أبا موسى ، ثم تكلَّم أنت بعده ؛ فإنَّ عمرًا رجل غادر !! أعوذ بالله - هذا كلام ابن عباس على حدِّ الرِّواية المكذوبة الموضوعة ؛ كما سأبيِّن الآن - يقول فيها : ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرِّضا فيما بينك وبينه ؛ فإذا قمت في النَّاس خالفك - وكان أبو موسى مغفلًا - ! كذا في الرِّواية .
فقال له أبو موسى : إنَّا قد اتَّفقنا .

فتقدم أبو موسى فحمد الله ﷻ وأثنى عليه ، ثمَّ قال : أيُّها النَّاس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمَّة ، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألَمَّ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليًّا ومعاوية ، وتستقبل الأمَّة هذا الأمر ؛ لِتُولِّي مَنْ أحبَّت عليها ، وإني قد خلعت عليًّا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولُّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلًا .

ثم تنحى أبو موسى الأشعري ؛ فقام عمرو مقامه ؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنَّ هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه - أي عليًّا - كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ؛ فإنَّه وَلِيُّ عثمان ، والطالب بدمه ، وأحق النَّاس بمقامه .

فقال أبو موسى : ما لك لا وفقك الله ؟ ! غدرت وفجرت ، إنَّما مثلك كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ؟ فقال عمرو : وإنَّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا !!

فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسَّوط ، وحمل على شريح : ابنٌ لعمرو ، فضربه بالسَّوط ، فقام النَّاس فحجزوا بينهم .

وكان شريح بن هانئ بعد ذلك يقول : ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسَّوط ، ألا أن أكون ضربته بالسَّيف آتيًا به الدهر ما أتى والتمس أهل الشَّام أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكَّة.

قال ابن عباس : قبَّح الله رأي أبي موسى ، حذَّرته وأمرته بالرَّأي فما عقل، فكان أبو موسى يقول : حذَّرني ابن عباس غدرة الفاسق ، ولكني اطمأننت إليه ، وظننت أنَّه لن يؤثر شيئًا على نصيحة الأمَّة ؟ ثم انصرف عمرو وأهل الشَّام إلى معاوية وسلَّموا عليه بالخلافة ، «قالوا : يا أمير المؤمنين» ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى عليٍّ ، وكان عليٌّ إذا صلَّى الصبح يقنت ، ويقول : اللَّهمَّ العن معاوية وعَمْرًا وأبا الأعور السُّلمي وحبيبًا وعبد الرَّحمن بن خالد والضَّحاك بن قيس والوليد ، فبلغ ذلك معاوية فكان يقنت هو الآخر في صلاة الصُّبح ويقول : اللهم العن عليًّا وابن عباس والأشتر والحسن والحسين ولدا علي . اهـ[1] .

هذه الرِّواية العمدة ، وأظنُّ من طالع أيَّ كتاب في الفتنة سواءً أكان سفرًا كبيرًا أو كتابًا صغيرًا إلَّا وقد وقف على هذه الرِّواية بكاملها ،

---

(١) راجع : « تاريخ الرسل للطبري» (٥/ ٧٠،٧١) .

والرِّوايـة مكذوبـة باطلـة ، لا تصـحُّ سـندًا ولا متنًـا ، وخـذوا هـذا التَّفصيل المهم ، وأرجو أن تعضُّوا عليه بالنَّواجذ ، فأبو مخنف لوط بن يحيـى وهـو أوَّل رجـال السَّـند في هـذه الروايـة : يقـول أهـل الجـرح والتَّعديل في هذه الشَّخصية ما يلي :

قال أبو حاتم : متروك .

وقال الدَّارقطنيُّ : ضعيف .

وقال ابن معين ـ إمام الجرح والتَّعديل: ليس بثقة .

وقال ابن عدي : شيعيٌّ محترق ، صاحب أخبارهم .

وقال الآجريُّ : سألتُ أبا حاتم عـن لـوط بـن يحيى ، فـنفض يديـه وقال : وهل يَسأل أحدٌ عن هذا ؟!

وقال الذهبيُّ : إخباري تالف لا يوثق به .

هذا هو الرَّاوي الأول من رواة سند هذه الرواية المكذوبة الباطلة .

الرَّاوي الثاني : هـو أبـو جنـاب الكلبـي ، قـال فيـه ابـن سـعد : كـان ضعيفًا .

وقال البخاريُّ وأبو حاتم : كان يحيى بن القطَّان يضعفه .

وقال عثمان الدارميُّ : ضعيف .

وقال النسائيُّ : ضعيف .

هذا هو السَّند ؛ فالرِّواية لا تصح سندًا ، ولا تصحُّ أيضًا متنًا . كما سأبين .

أما متن الرِّواية ؛ فمن المعروف والمتَّفق عليه كما أكَّدت وفصَّلت وبيَّنت وأصَّلت ـ قبل ذلك : أن الخلاف بين عليٍّ ومعاوية لم يكن بسبب الخلافة ، وإنَّما كان بسبب دم عثمان ؛ ولم يطلب البيعةَ على الخلافة ؛ بل ولم يبايع أهلُ الشَّام معاويةَ بالخلافة إطلاقًا ، لم يثبت هذا حتى في الرِّوايات الباطلة المكذوبة الموضوعة التي عرضت بعضها الآن .

فالخلاف بين عليٍّ ومعاوية لم يكن بسبب الخلافة ، وإنما كان بسبب القصاص من قتلة عثمان ، فكان معاوية يُصِرُّ ألَّا يعطي البيعة لعليٍّ إلَّا إذا أقام الحدَّ على قتلة عثمان ، أو أن يسلِّم قتلةَ عثمانَ لمعاوية ؛ ليقيم هو بنفسه الحدَّ عليهم .

• **يقول ابن حزم[1] في هذا الصدد:** «إنَّ عليًّا قاتَلَ معاوية ؛ لامتناعه من تنفيذ أوامره في جميع أرض الشَّام ، وهو الإمام الواجب الطاعة ، ولم ينكر معاوية قطُّ فضلَ عليٍّ واستحقاقه الخلافة ، لكنَّ

(١) «الفصل فى الملل» (٤/ ١٦٠).

اجتهاده ـ أي : معاوية ـ أدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة ، ورأى نفسه أنَّه أحقُّ النَّاس بطلب دم عثمان ؛ لسنِّه وقوَّته على الطَّلب بذلك ، وأصاب في هذه ، وإنَّما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط » .

وبذلك فهم الخلاف على هذه الصورة ، وهذه هي صورة الخلاف الحقيقة ، تبين إلى مدى خطأ الرواية التي ذكرتها الآن في قضية التَّحكيم هذه واحدة .

أما الثانية : فإنه لا يستقيم بأي حال أن أبا موسى الأشعري ﷺ كان في قضية التَّحكيم ضحية خدعة كبرى لعمرو بن العاص ﷺ .

هذا ينافي الحقائق الكبيرة الثَّابتة في السِّير والسُّنَّة والتَّاريخ ، في فضل أبي موسى الأشعري ﷺ وفطنته ودينه وفقهه .

فلقد استعمله النبيُّ ﷺ على زبيد وعدن ، واستعمل أبا موسى بعد النبيِّ ﷺ عُمَرُ بنُ الخطَّاب على البصرة ، وبقي أبو موسى واليًا على البصرة إلى أن قُتِل عمر ، فاستعمله عثمان بن عفان على البصرة ثم الكوفة ، وبقي أبو موسى واليًا على الكوفة إلى أن قتل عثمان ، فأقرَّه علي ﷺ واليًا على الكوفة .

فهل يتصور أن يثق رسولُ الله ﷺ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ برجل

يمكن أن يقال بأنُّه رجلٌ مغفَّل ؟!

ثم لقد شهد الصحابةُ وكثيرٌ من علماء التَّابعين لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه بالرُّسوخ في العلم والكفاءة في الحكم ، والفطنة والذَّكاء والكياسة في القضاء بشهادة عمر .

• فعن أنس رضي الله عنه قال[1] بعثني أبو موسى الأشعري ، إلى عمر بن الخطَّاب ، فقال لي عمر : كيف تركت الأشعري ؟ قال أنس : تركته يعلِّم النَّاس القرآن . فقال عمر : أما إنه كَيِّسٌ ، ولا تسمعها إياه ــ يعني : فطن عاقل ذكي ألمعي عبقري .

ويخاف عمر أن يُسْمع أَنَسٌ أبا موسى كلمة ثناء من عمر فتفسده !

• وقال الشعبيُّ : كتب عمر في وصيتة : «ألا لا يقرُّ لي عامل أكثر من سنة ، وأقرَّ الأشعري أربع سنين»[2] ، هذا أبو موسى الأشعري !

• وروى الفسوي[3] الإمام الثقة الكبير ــ عن أبي البختري قال : «أتينا عليًّا رضي الله عنه فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ فقال : تسألوني عن مَنْ ؟! قلنا : نسألك عن أبي موسى الأشعري . قال عليٌّ : صُبِغَ في العلم صبغة !» .

---

(١) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٣٤٥) (٤/ ١٠٨) وابن عساكر في« تاريخه» (٣٢/ ٦٩).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٢/ ٨١) وانظر: « البداية والنهاية» (٨/ ٦٠) .

(٣) أخرجه الفسوي في «تاريخه» (٢/ ٥٤٠) وانظر «السير» للذهبي (٢/ ٣٨٨).

●وقـال مسروق [(١)]: «انتهـى القضـاء في أصـحاب النبـيِّ ﷺ إلى ستَّة: عمر، وعليّ، وابن مسعود، وأبي بـن كعب، وزيـد بـن ثابـت، وأبي موسى الأشعري ﵃.

●وقال الأسود بن يزيد: «لم أر بالكوفة أعلم من عليٍّ وأبي موسى الأشعري»! [(٢)].

●وقال صفوان بن سليم: «لم يكن يفتي في المسجد في زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء: عمر، وعلي، ومعاذ، وأبو موسى الأشعري!» [(٣)].

وقد ثبت أن أبا موسى الأشعري كـان ممـن حفـظ القـرآن كلَّـه علـى عهـد رسـول الله ﷺ، وكـان مـن المشـهورين بتعليمـه للنَّـاس، ومـن المعلوم أن فِقْهَ النَّاس في السِّلم والحرب ـ في هذه الأيام ـ لا يؤخـذ إلا من القرآن.

إذا علمـتَ ذلـك علمـتَ مكانـة أبي موسـى الأشـعري ﵁؛ حتـى خصَّه عمرُ بن الخطَّاب بكتابة القضاء وسياسة الحكم؛ فكيـف يمكـن بعد ذلك أن نتصور غفلة أبي موسى الأشعري ﵁ إلى هذا الحدِّ حتى لا يفقه حقيقة النِّزاع الذي كُلِّف هو وعمرو في الحكم فيه ؟!

---

(١) أخرجه الفسوي (١/ ٤٨١)، وابن عساكر (١٩/ ٣١٤).

(٢) «السير» الذهبي (٢/ ٣٨٨).

(٣) أخرجه ابن عساكر (٣٢/ ٦٦).

وإذا كان علم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وخبرته في القضاء يحولان بينه وبين أن يخطيء الحكم في القضية التي أوكل إليه أن ينظر في أمرها ؛ فإن ذلك أيضًا هو نفس الشَّأن مع الصَّحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه .

وعمرو بن العاص بشَّره النبيُّ ﷺ حين أمره النبيُّ ﷺ أن يقضي بين خصمين في حضرته .

فقال عمرو : أقضي وأنت حاضر يا رسول الله ؟! فبين له النبيُّ ﷺ وبشَّره بهذه البشارة التي هي من أعظم البشارات للأمَّة من بعد عمرو ، بيَّن له ﷺ بأنه إن أصاب له أجران ، وإن أخطأ له أجر واحد ؛ حين قال له :

« إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »[1] .

فهل كان عمرو بن العاص في أداء مهمَّته رجلًا تُسَيِّرُهُ الأهواءُ والمنافع والمصالح وتطغى على ورعه وتقواه وإيمانه ودينه ؟! لا والله!!

فعمرو بن العاص رضي الله عنه كان من أجلاء الصَّحابة وأفاضلهم ، ومناقبه وفضائله كثيرة .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٧٣٥٢)، ومسلم في كتاب الأقضية ، باب : بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٧١٦) .

● أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ أنه ﷺ قال: «عَمْرُو بْنُ العَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ»[١].

● وروى كذلك الإمام أحمد والترمذي بسندٍ رجاله ثقات، وَحَسَّنه شيخنا الألبانيُّ - رحمه الله - في «صحيح سنن الترمذي»، عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «أَسْلَمَ النَّاس، وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ» هذه شهادةٌ من رسول الله ﷺ: أسلم النَّاس، وآمن عمرو بن العاص!.

● وفي «مسند أحمد»[٣] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ابْنَا العَاصِ مُؤْمِنَانِ عَمْرُوُ وهِشَام».

● وفي «مسند أحمد» بسندٍ منقطع من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «نِعْمَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَبْدُ الله» أي: عبد الله بن

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦١)، والترمذي كتاب المناقب، باب مناقب لعمرو بن العاص (٣٨٤٥) وقال: «وليس إسناده بمتصل وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة»، وقد صححه الشيخ الألباني بشواهده في الصحيحة (٦٥٣) وانظر ما بعده.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب. باب: مناقب عمرو بن العاص ﷺ (٣٨٤٤)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٠٦) (٨٤٥)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان، وليس إسناده بالقوي»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧١)، والصحيحة (١٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٥٣، ٣٥٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٣٠٠)، والحاكم (٣/ ٢٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٦١) (٢٢/ ١٧٧)، وفي «الأوسط» (٦٧٥٢) وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٦).

عمرو ، « وَأَبُو عَبْدُ الله وَأُمُّ عَبْدُ الله »[١] .

● وقال قبيصة بن جابر ـ وهو الكوفي أبو العلاء ، وهو مترجم له في الطَّبقة الأولى في الصَّحابة: «صحبت عمرو بن العاص ، فما وجدت رجلًا أبين أو أنصع رأيًا ، ولا أكرم جليسًا منه ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه»[٢] .

هذه شهادة في حقِّ الصَّحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ .

● يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كلام نفيس[٣] :

« إن أحدًا من السَّلف لم يتهم عمرو بن العاص ومعاوية ﷺ بنفاقٍ أو خداع ؛ فعمرو بن العاص وأمثاله ممن قدم مهاجرًا إلى النبيِّ ﷺ بعد

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٦١) ، وأبو يعلى (٦٤٥ـ٦٤٧) وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٥٨٩) : «قلت : رواه الترمذي باختصار ، ورواه أبو يعلى وأحمد بنحوه ، ورجاله ثقات» ، وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٦٥٢) : « ورجال سنده ثقات ، إلا أن فيه انقطاعًا بين ابن أبي مليكة مرسلاً لم يذكر طلحة». وللحديث شواهد عديدة ؛ منها : ما أخرجه أحمد (٤/ ١٥٠) ، و«ابن عساكر» (٣١/ ٢٥٠) عن عقبة بن عامر مرفوعًا .

وأخرجه ابن عدى في «الكامل» (٢/ ٤١٢) ، و ابن عساكر (٤٦/ ١٣٩) عن جابر مرفوعًا .

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٤٦) عن المطلب مرسلاً . وانظر «كنز العمال» (١١/ ١١٦٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في «تاريخه» (٣/ ٢٦٩) ، وابن أبي خيثمة ؛ كما في «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٦٥٢) ، وابن عساكر (١٩/ ١٨٢، ١٨٣) .

(٣)«مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٦٣ـ٦٦) .

الحديبية ، هاجروا إليه من بلادهم طوعًا لا كَرْهًا ، والمهاجرون لم يكن فيهم منافق ، وإنَّما كان النِّفاق في بعض أهل المدينة !

إذ لما دخل في الإسلام أشرافُهم وجمهورُهم احتاج الباقون أن يظهروا الإسلام نفاقًا ؛ لعزِّ الإسلام وظهوره في قومهم ، وأمَّا أهل مكَّة فكان أشرافهم وجمهورهم كفَّارًا ، فلم يكن يظهر الإيمان إلا من هو مؤمن ظاهرًا وباطنًا ؛ فإنَّه كان من يظهر الإسلام يؤذى ويهجر ، وإنَّما المنافق يظهر الإسلام لمصلحةِ دنياه ، ولو كان عمرو بن العاص ومعاوية وأمثالهما ممن يتخوف منهما النِّفاق لم يولُّوا على المسلمين ؛ فعمرو بن العاص أمَّره النبيُّ ﷺ في غزوة ذات السَّلاسل ـ يعني : اختار النبيُّ ﷺ عمرو بن العاص أميرًا في غزوة ذات السَّلاسل ـ واستعمل أبا سفيان بن حرب ﷺ على نجران ؛ فقد اتفق المسلمون على أن إسلام معاوية خيرٌ من إسلام أبيه ـ أي : أبو سفيان ـ فكيف يكون هؤلاء منافقين ، والنبيُّ ﷺ يأتمنهم على أحوال المسلمين في العلم والعمل » ؟!!

○ أما ما قيل : إن عليًّا كان يلعن في قنوته معاويةَ وأصحابَه ، فهذه فِرية يغني فسادُها عن إفسادها ، ويغني بطلانُها عن إبطالها ، ويغني كسادُها عن إكسادها !!!

فمعلوم أن عليًّا ﷺ كان من أعظم الصحابة وقوفًا عند كلام رسول الله ﷺ ، وامتثالًا لأمره ، واجتنابًا لنهيه ، ووقوفًا عند حدِّه ، وهو المبشر بالجنة في هذه الدنيا ، وهو المبشر بأن الله ورسوله يحبان عليًّا :

«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ»[1] .

شهادة من النبيِّ ﷺ لعليٍّ ﷺ؛ فهل يتصور بعد ذلك أن عليًّا يقنت ليلعن معاوية وأصحابه ؟ فهذا ضلال وإفك مبين !!

● والنبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول :

« مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ » .

والحديث في «الصحيحين»[2] من حديث ثابت بن الضحاك .

● ويقول ﷺ :

« لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[3] .

والحديث في « صحيح مسلم » من حديث أبي الدرداء ﷺ .

● ويقول ـ عليه الصلاة والسلام :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة خيبر (٤٢٠٩) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٧) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: ما ينهى عن السباب واللعان (٦٠٤٧،٦١٠٥) ، ومسلم ، كتاب الإيمان باب تغليظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١١٠) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب : النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٥٩٨).

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَانِ ولا اللعَّان ، وَلَا الْفَاحِشِ ، وَلَا الْبَذِيءْ »

والحديث أخرجه الترمذي وأحمد في «مسنده» والبخاري في « الأدب» المفرد وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» [(١)] .

بل لـمَّا بلغ عليًّا ﷺ أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشَّام ، أرسل عليٌّ إليهما؛ فقال : «كُفَّا عمَّا يبلغني عنكما ! فأتيا فقالا : يا أمير المؤمنين ، ألسنا على الحقِّ وهم على الباطل ؟ فقال عليٌّ : بلى ورب الكعبة المسدنة! فقالا : فِلمَ تمنعنا من شتمهم ولعنهم ؟! قال عليٌّ : كَرِهتُ لكم أن تكونوا لعَّانين ، ولكن قولوا : اللهمَّ احقِنْ دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذَاتَ بيننا وبينهم ، وأبعدْهُم مِنْ ضلالتهم، حتى يَعْرِفَ الحقَّ مَنْ جَهِلَه ، ويَرْعِوي عن الغيِّ من لجج به » [(٢)].

هذا هو عليٌّ ﷺ، وهذه شيمه وأخلاقه ؛ كيف وقد رباه المصطفي ﷺ وكفى !!

أمَّا معاوية ـ رضوان الله عليه ـ فهو من كُتَّاب وحي النبيِّ ﷺ؛ يا لها من ثقة !! ويا له من تعديل أن يختار النبيُّ ﷺ معاويةَ ليكتب له

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في اللعنة (١٩٧٧) وقال : « حديث حسن غريب» ، وأحمد في « مسنده » (١/ ٤٠٤، ٤٠٥) ، وابن أبي شيبة (٦/ ١٦٢) ، وابن حبان (١٩٢) . والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ١٢) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٣٨١) ، و«الصحيحة» (٣٢٠).

(٢) «الأخبار الطوال» (١٦٥) للدينوري نقلاً عن «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٣٢).

الوحي ؛ فمعاويةُ من أفاضل الصَّحابة ، وأصدقهم لهجة ، وأكثرهم حلمًا ؛ فهو الذي يقول ـ والأثر عن معاوية ، أورده الإمام الذهبي في « سير أعلام النُّبلاء »[1] وعزاه للمصنف بسند رجاله ثقات.

يقول معاوية : « والله لا أُخَيَّرُ بين أمرين ؛ بين الله وبين غيره ، إلا اخترتُ الله على من سواه !! » .

● وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال في حقِّ معاوية :

« **اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ** »[2] .

والحديث رواه الإمام أحمد في « مسنده » والترمذي في « جامعه » (في باب مناقب معاوية) ، وصحَّحه شيخنا الألباني في « صحيح سنن الترمذي » .

انظر إلى دعوة النبي ﷺ لمعاوية ﷺ .

● وقال ﷺ : « **اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ ، وَقِهِ الْعَذَابَ** »[3] والحديث

---

(١) (٣/ ١٥٠، ١٥١) وهو في «المصنف» لعبد الرزاق (٢٠٧١٧) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٢١٦ ، ٣٦٥) ، والترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب معاوية بن أبي سفيان (٣٨٤٢) ، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٢٤٠) و (٧/ ٣٢٦)، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٥٨) ، وصححه الألباني في«المشكاة» (٦٢٣٥) ، والصحيحة (١٩٦٩) .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ١٢٧) و«الفضائل» (١٧٤٨) ، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦٢٨) ، والبخاري في «تاريخه» معلقًا (٧/ ٣٢٦) ، وابن خزيمة (١٩٣٨) ، وقال=

رواه الإمام أحمد في «مسنده» وفضائل الصحابة بسندٍ حسن ، والبخاريُّ في « التاريخ الكبير».

أما وجْهُ الخطأ الذي وقع فيه معاوية ﭬ هو التعجُّل ، فمعاوية تعجَّل في أن يقتل عليٌّ قَتَلَةَ عثمان قبل أن يعطيه البيعة .

○ **أيها الأحبة الكرام** : بعد هذه الجولة التي أسأل الله ﻷ أن يزيل بها ركام الباطل ؛ أقول : ما الذي حَدَث بعد ذلك بعد قضية التَّحكيم ؟ وما هي النتائج التي وصل إليها الحكمان ؟ وماذا وقع بعد ذلك بين علي ومعاوية ؟.

كل هذه الأسئلة أجيب عنها في الفصل التالي ــ بإذن الله تعالى ــ وأسأل الله ﻷ أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يملأ قلوبنا إجلالًا لأصحاب نبينا ﷺ ، ونسأله تبارك وتعالى أن يعفو عنا وعنهم ، وأن يغفر لنا ولهم .

وندعو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بهذا الدعاء القرآني الرقراق : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

= الهيثمي في« مجمع الزوائد » (٩/ ٣٥٦) : « وفيه الحارث بن زياد ، ولم أجد من وثقه ، ولم يرو عنه غير يونس بن سيف ، وبقية رجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢٧) .



التَّفصيل في قضيَّة التَّحكيم

التَّفصيل في قضيَّة التَّحكيم

بَيَّنْتُ في الفصل السابق ما نُسج حَوْلَ قضية التَّحكيم، من الأساطير والكذب الحقير!، ومن أهم الرِّوايات التي تدحض، وتفند الرِّواية الكاذبة التي استشرت، وانتشرت، وسُطِّرت في بطون الكتب والمجلَّدات؛ ما رواه الدَّارقطنيُّ عن حضين بن المنذر بن الحارث، وهو تابعيٌّ ثقة. وثَّقه النسائيُّ وابنُ حبان، وهو ثقة، من رجال مسلم، وحضين كان أميرًا من أمراء عليٍّ يوم صفِّين وكان شجاعًا شاعرًا مفوهًا[1].

○ فيَروي الدَّارَقُطْنِيُّ[2] بسندٍ صحيح عن حُضَيْن بن المنذر أنه سأل عمْرَو بن العاص وقال: «أخبرني عن الأمر الذي ولِّيت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ فقال عمرو ﷺ: لقد قال النَّاس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا ــ تدبروا هذا الكلام، فإنه على لسان عمرو بن العاص ﷺ ـ يقول: والله لقد قال النَّاس في ذلك ـ أي في أمر التَّحكيم ـ ما قالوا، والله ما كان الأمر كما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: يا أبا موسى، ما ترى هذا الأمر؟ فقال أبو

(١) «الإكمال» لابن ماكولا (١/ ٢١٥)، و«التقريب» لابن حجر (١٥٢٨) وهو حضين بالضاد المعجمة ـ مصغرًا؛ كما في «الإصابة» (٣/ ٣٤٣).

(٢) وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٦/ ١٧٥)، وانظر: كما في «العواصم من القواصم» (١٨٠).

موسى ﷺ : أرى أنه في النَّفر الذين تُوفي رسولُ الله ﷺ وهو راضٍ عنهم . فقال عمرو بن العاص ﷺ لأبي موسى ﷺ : فأين تجعلني أنا ومعاوية ؟ فقال أبو موسى ﷺ : إن يُسْتَعنْ بكما ففيكما المعونة ، وإن يُسْتَغَنْ عنكما فطالما استغنى أمرُ الله عنكما ! » .

هذه رواية في غاية الأهمية ؛ لأنها تفنِّد الكذب الصَّريح ، والباطل الأسود الذي نُسج حول قضية التَّحكيم ، والتي صورت عمرَو بن العاص ﷺ داهيةً من الدَّواهي ، وصورت أبا موسى الأشعري ﷺ رجلًا مغفلًا ـ كما ذكرت في الفصل السابق !!

وأرجو ـ أيها الأحبة ـ أن تتدبَّروا ـ جيدًا ـ نصَّ وثيقة التَّحكيم بين الفريقين ، وبين الْحَكَمَيْن ، وقد كُتب نصُّ الوثيقة ليلةَ الأربعاء ، لثلاثِ عشرة ليلة بقيت من شهر صفر ، سنة سبع وثلاثين للهجرة ، ونصُّ الوثيقة كما يلي :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه عليٌّ بن أبي طالب ، ومعاويةُ بن أبي سفيان »ـ ولاحظ أن اسم عليٍّ قد ذُكر مجردًا من لفظة أمير المؤمنين ؛ لأن فريقَ الشَّام أَصرَّ على أن تُحْذَفَ كلمةُ أمير المؤمنين ؛ لأنَّهم لم يُعطوا البيْعة لعليٍّ ﷺ وقَبِلَ عليٌّ ـ سنرى عِلَّةَ قبوله لهذا الحكم الآن بإذن الله ـ جلَّ وعلا ـ وأرجو أن تتدبروا معي ، لنستخرج الحقَّ من وسط هذا الرُّكام الهائل ، الذي شُحنت به الكتبُ والأسفار .

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

هذا ما تقاضى عليه عليٌّ بنُ أبي طالب ومعاويةُ بنُ أبي سفيان ، قاضى عليٌّ عَلَى أهلِ الكوفة ومن مَعَهُمْ من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاويةُ عَلَى أهل الشَّام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزلُ عند حُكْمِ الله ﷻ وكِتَابِه ، ولا يجمع بيننا غيرُ كتاب الله ـ جلَّ وعلا ـ وإنَّ كتابَ الله ﷻ بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نُحيي ما أحيا ، ونُمِيتُ ما أمات على ذلك تقاضينا ، وبه تراضينا ، وإن عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًا ، ورضوا بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا ؛ فما وَجَدَ الحكمانِ في كتاب الله ﷻ وهما : أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص القرشي عَمِلَا به ، وما لم يجدا في كتاب الله ﷻ فالسُّنَّةُ العادلةُ الجامعةُ غيرُ المُفَرِّقة ، لا يتعمدان لها خلافًا ولا يبغيان فيها بشبهة .

وأخذ الحكمان من عليٍّ ومعاوية ، ومن الجُنْدين من العهود والمواثيق والثقة من النَّاس ، أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمَّة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطَّائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه أنَّهما على ما في هذه الصحيفة ، وأنه قد وَجَبَتْ قضيتُهما على المؤمنين ؛ فإن الأمن والاستقامة ، ووضعَ السِّلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، شاهدهم

وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس ـ أي : على أبي موسى ـ وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يَحْكُما بين هذه الأمَّة ، ولا يرداها في حرب ولا فرقة .

وأجَّلا القضاءِ ـ تدبروا هذا ـ أي : أُعطي الحكمان مهلة للتفاوض والتشاور والنِّقاش مع أهل الفضل والعدل ـ وأَجَّلا القضاء إلى رمضانَ بدومة الجندل ـ والكتاب في شهر صفر ـ يعني : بعد سبعة أشهر تقريبًا ـ وإن أحبَّا أن يؤخرا ذلك أخَّراه على تراضٍ منهما ، وإن تُوفي أحدُ الحَكَمَيْن ؛ فإن أمير الشِّيعة يختار مكانه .

أي : فإن أمير كل فريق يختار مكان الحَكَمِ الذي تُوفي ؛ فإن أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل العدل والقسط ، وإنَّ مكانَ قضيتهما الذي يقضيان فيه مكانُ عدل بين أهل الكوفة وأهل الشَّام ، وإن رضيا ـ أي الحكمان ـ وأحبَّا ، فلا يَحْضَرْهُما فيه إلا من أرادا ، ويأخذُ الحكمان من أرادا من الشُّهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصَّحيفة ، وهم أنصارٌ على مَنْ ترك ما في هذه الصَّحيفة ، وأراد فيها إلحادًا وظلمًا . اللهمَّ إنا نستنصرك عَلى مَنْ ترك ما في هذه الصَّحيفة والسَّلام [١] وشهد عليها جمعٌ كبير من أصحاب النبيِّ ﷺ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٥/ ١٥٣) ، بسنده إلى وهب بن جرير عن أبيه قال : فذكره ، ورواه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٣ ، ١٠٤) بسندٍ فيه أبو مخنف وأبو جناب الكلبي ـ وقد سبق الكلام عليهما ـ وانظر : «الثقات لابن حبان» (٢/ ٢٩٣) و «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٧ط المعارف) .

هذا هو نصُّ الوثيقة التي كُتبت ، والتي من خلالها أعطيت المهلةُ والفرصةُ لأبي موسى الأشعري ، ولعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ ليحكما في القضية التي وكَّلَتْهما الأمَّة في القضاء فيها .

وبعد ما كُتبت هذه الوثيقة توقف القتالُ ، وتفرق النَّاس كُلٌّ إلى دياره ، فعاد عليٌّ بجيشه إلى الكوفة ، وعاد معاويةُ بجيشه إلى الشَّام ، بعدما دَفَنَ كُلٌّ فريقٍ قتلاهم في موقعة صفِّين . ولكن ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ سرعان ما اشتعلت نارُ فتنةٍ حارقةٍ محرقةٍ جديدةٍ في جيش عليٍّ ﷺ ، وهو في طريق عودته إلى بلاد الكوفة ؛ فما هي هذه الفتنة المدمرة ؟!





فتنة ظهور الخوارج

فتنة ظهور الخوارج

والخوارج كانوا يسمَّون قبل ذلك بالقُرَّاء ؛ كما وصفهم النبيُّ ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - ظهرت فرقة الخوارج على عليٍّ رضي الله عنه في طريق عودته من صفِّين إلى الكوفة ، وأصبح عليٌّ - رضوان الله عليه - بين نارين مشتعلتين ، وبين فتنتين حالكتين .

- **الأولى** : في الشَّام تصيح : بالثأر لعثمان !
- **والثانية** : في جيشه وفي صفه ، تصيح : إن الحكم إلا لله !

○ **والسؤال : لماذا رفع الخوارج هذا الشِّعار : إن الحكم إلا لله ؟ ولا نزاع بين مُسْلِمَيْن - على وجه الأرض - أن عليًا رضي الله عنه أعرفُ بهذه الآية** من الخوارج ، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام :٥٧ ، يوسف:٤٠، ٦٧] .

لأن عليًّا رضي الله عنه قد قَبِلَ حُكْمَ أبي موسى وعمرو بن العاص ، وهما الحكمان اللذان ارتضاهما كلُّ فريق من الفريقين !

فالخوارج رفضوا هذا ! وقالوا : كيف يقبل عليٌّ حُكْمَ الرِّجال ؟! أي : حُكْمَ أبي موسى وعمرو بن العاص؟! أَوَ لَيْس حكم الرِّجال من كتاب الله ، ومن كلام رسول الله ﷺ كما نصَّت بذلك وثيقة الحكم التي ذكرنا نصها آنفًا ؟!

لذا ؛ قال عليٌّ ﷺ ـ لما سمع الخوارجَ يرددون هذه العبارة : « كَلِمَةُ حقٍّ أُريدَ بها باطِلٌ ! »[1] .

○ تدبر معي ؛ فإن الفتنة الأولى إن كانت أعمَّ وأشمل ؛ فإن الفتنة الثانية أخطر ؛ لأنها خرجت من صفِّ عليٍّ ، لاسيما وأنَّ الذين أشعلوا نارها هم هم الذين كانوا بالأمس أتباع عليٍّ ﷺ ؛ فالفتنةُ حالكةٌ بكل المقاييس .

انظر إلى هذا التفصيلَ الذي رواه الإمام أحمدُ في « مسنده » وابن أبي شيبة في « مصنفه »[2] بسندٍ صحيح عن حبيب بن أبي ثابت قال : أتيت أبا وائل في مسجد أهله ، أسأله عن هؤلاءِ القوم الذين قتلهم عليٌّ بالنهْروان ـ أي: الخوارج ؛ كما سأبيِّن الآن ـ فيما استجابوا له ، وفيما فارقوه ، وفيما استحلَّ قتالهم ؟! .

فقال : كنَّا بِصفِّين فلما استحرَّ القتلُ بأهلِ الشَّام اعتصموا بتلٍّ ـ أي : بمكان مرتفع ـ فقال عمرو بن العاص لمعاوية ﷺ : أرسِلِ إلى عليٍّ مصحفًا وادْعُه إلى كتابِ الله ؛ فإنَّه لَنْ يأبى عليك ؛ فجاء بكتاب الله ﷻ رجل من قِبَل معاوية فنادى : بيننا وبينكم كتابُ الله ! .

---

(1) كما عند مسلم ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج (١٠٦٦) (١٥٧) .

(2) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٥ ، ٤٨٦) ، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٣٨، ٤٣٩) ، و النسائي في «الكبرى» (١١٥٠٤) ، والطبري في «التفسير» (٢٦/ ٧٠) ، وأبو يعلى (٤٧٣) ، وأصله في «صحيح البخاري » ـ مختصرًا ـ (٣١٨٢ ، ٤٨٤٤) ، ومسلم (١٧٨٥) كما سيأتي .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

[آل عمران:٢٣]

فقال عليٌّ ـ رضوان الله عليه : نعم ، أنا أولى بذلك ، بيننا وبينكم كتاب الله جلَّ وعلا.

قال : فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ : القُرَّاء ، وسيوفهم على عواتقهم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ـ ينادون على عليٍّ رضي الله عنه ـ ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التَّل ؟! يقصدون فريق معاوية ـ ألا نمشي إليهم بسيوفنا ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟! فتكلَّم سَهْلُ بنُ حُنَيْف رضي الله عنه ؛ فقال ـ وهو يردُّ على الخوارج : يا أيُّها النَّاس ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ فَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ ـ يعني : يوم الصُّلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ـ وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ـ بعدما كتبت بنود الصُّلح الظَّالمة ـ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟! أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « بَلَى ». فقال عمر : فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنرجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟! قال رسول الله ﷺ : « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنِّي رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا » ـ فرجع عمر وهو متغيظ ، فلم يصبر حتى أتى أبا بكر فقال عمر : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَسْنا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟! أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ

وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟! قَالَ : بَلَى . قال عمر : فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا ونرجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟! فقال أبو بكر - رضوان الله عليه - السَّابق دومًا بالإيمان ، السَّابق دومًا باليقين ، والتَّصديق : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّهُ رَسُولُ الله ﷺ ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله أَبَدًا! قَالَ : فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح:١] .

فأرسلني رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأها إياه ؛ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ الله ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: « نَعَمْ ».فطابت نفس عمر ، ورجع ﷺ .

● وزاد ابن أبي شيبة وغيره على رواية « المسند » قال : قال عليٌّ يوم صفِّين : «أيُّها النَّاس ، إنَّ هذا فتحٌ ، فَقَبِلَ عليٌّ القضيةَ ورَجَعَ ورَجَعَ النَّاس ، ثم إنهم خرجوا بِحَرُورَاء ، أولئك العصابة من الخوارج» .

○ وحروراء : قرية على بُعد ميلين فقط من الكوفة ، وسمِّي الخوارج بالحرورية؛ نسبة إلى قرية حروراء .

● ورواية ابن أبي شيبة لها شاهدٌ في «صحيح الإمام البخاري» [1] ؛ فلقد أخرج البخاري عن حبيب بن أبي ثابت ﷺ قال : أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : كُنَّا بِصفِّين ؛ فَقَالَ رَجُلٌ - وهو رسول معاوية :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران:٢٣] .

---

(١)أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾(٤٨٤٤) ، ومسلم في كتاب الجهاد ، باب : صلح الحديبية في الحديبية (١٧٨٥) .

فقال عليٌّ : نعم ؛ فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ـ للقُرَّاء ـ أي: الخوارج : اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ.

وفي رواية [١] : « اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ» ، فَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ ـ يعني : يوم الصُّلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ـ وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا ؛ فَجَاءَ عُمَرُ ... إلى آخر الرواية التي ذكرت آنفًا .

ولقد ساق سهل بن حنيف ؓ حديث الحديبية ؛ لأن القرَّاء ـ أي : الخوارج ـ أصرُّوا على مواصلة القتال ، ورفضوا رفضًا باتًّا قَضِيَّةَ التَّحكيم ، مع أنهم هم الذين أشاروا بها ابتداءً على عليٍّ ؓ؛ فأشار عليهم سهلُ بن حنيف ؓ بمطاوعة عليٍّ ؓ، وألاَّ يُخَالفوا ما يشير به ؛ لكونه أعلم بالمصلحة منهم ، وذكر لهم ما وقع بالحديبية من أن الصَّحابة رأوا يومئذ أن يقاتلوا ، وأن يخالفوا أمر النبيِّ ﷺ وما دُعوا إليه من الصُّلح ؛ فظهر لهم بعد ذلك أن الأصلح كان فيما رآه النبيُّ ﷺ ، فقد شرع لهم الصُّلح .

○ **ويقول أيضًا بعضُ أهل العلم** [٢] : كأن القُرَّاء اتهموا سَهْلَ بنَ حُنَيْف بالتَّقصير في القتال حينئذٍ ؛ فقال لهم : «بل اتهموا أنتم رأيكم» ؛

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب : صلح الحديبية في الحديبية (٣/ ٩٥) ، والطبراني في الكبير (٦/ ٥٦٠٥) .

(٢) الحافظ ابن حجر « الفتح » (١٣/ ٢٨٩) .

فإني لا أُقَصِّرُ في القتال ؛ كما لم أكن مُقَصِّرًا يومَ الحديبية من أجل أني لا أخالف حكمَ رسول الله ﷺ كذلك أتوقَّف اليوم عن القتال ؛ لأجل مصلحة المسلمين . أي : كما توقفت عن القتال يوم الحديبية .

○ **وهكذا أيها الأحبة** ؛ بهذه الروايات يتبين لنا أن الخوارج فرقة خرجت من جيش عليٍّ ، (قيل : كانوا اثني عشر ألفًا ، وقيل : كانوا ستة عشر ألفًا ؛ وقيل : كانوا عشرين ألفًا)[1] ، فتنوا بهذه الفتنة ، وانطلقوا يرددون : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾!!

ثم كفَّروا عليًّا ﷺ ؛ لأنه أذعن لحكْمِ الرِّجال ، زعموا !! بل وانطلقوا يكفِّرون كلَّ مسلمٍ يَقْبَلُ حُكْمَ عليٍّ ويقتلونه بزعم أنه خرج من الإسلام ؛ لموافقته عليًّا ﷺ ، وراحوا يُفسدون في الأرض ، ويتَّهمون كلَّ مسلمٍ لا يقول بقولهم .. بالكفر البواح !

○ **فماذا يفعل عليٌّ أمام هذه الفتنة الشعواء ؟ مع هؤلاء الجهلاء ؟!**

لقد اختار عليٌّ ﷺ أحدَ أصحاب النبيِّ ﷺ الكبار الفقهاء العقلاء البلغاء العلماء ؛ لينطلق إلى الخوارج ؛ ليقيم حُجَّةَ الله عليهم ؛ ليقارعهم الحُجَّة بالحجَّةِ ، والبرهانَ بالبرهان ؛ فيا تُرى مَنْ يختار عليٌّ ؟!

(١) «تاريخ بغداد» (١/ ١٦٠) ، و«مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٥٧، ١٦٠) ، و«تاريخ خليفة» (ص٤٤) ، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٠، ٢٨١) ، و«مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٥).

لم يجد عليٌّ ـ رضوان الله عليه ـ أمامه في هذه اللَّحظات الصَّعبة الحالكة غير ابن عبَّاس رضي الله عنهما حبر الأمَّة ، وترجمان القرآن ، والفقيه الكبير ؛ بل والغوَّاص الماهر على التقاط الدُّررِ ، الذي دعا له رسول الله ﷺ أن يفقهه الله في الدين وأن يعلمه التَّأويل [1].

◦ فتدبر معي هذا الحوار البديع الذي دار بين ابن عبَّاس رضي الله عنهما وبين الخوارج ورؤوسهم وزعمائهم .

لَمَّا رأوه أكرموه ؛ بل بالغوا في إكرامه ، وكانوا يحبُّون ابن عبَّاس ؛ بل لما قام فريقٌ من الخوارج ؛ لينكر على ابن عباس ، وليقول : إننا لن نسمع منه ؛ فهذا مِمَّن أنزل الله في حقهم : ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٨] قام الفريق الأكبر على هؤلاء ، فأسكتوهم وأخرصوا ألسنتهم ، وقالوا : لا ؛ بل نسمع لابن عباس ؛ فإن رأينا حقًّا معه اتبعناه ! فتكلَّم ابن عباس رضي الله عنهما حينما سألوه : لماذا جئت يا ابن عباس ؟ قال [2] : جئتُ أحدثكم : نزل الوحي على رسول الله ﷺ ، وأصحابُهُ هم أعلم بتأويله ؛ فأخبروني ما تنقمون على ابن عَمِّ رسولِ الله ﷺ ؟ فقالوا : نَنْقِمُ عليه ثلاثًا ـ بها كَفَّروا عليًّا رضي الله عنه ! ـ فقال ابن عباس : ما هي ؟ فقالوا :

---

(١) انظر : «صحيح البخاري» (٧٥) ، وصحيح مسلم (٢٤٧٧) .

(٢) سيأتي سردُ الحديث بطولِهِ وتمامِهِ ـ إن شاء الله.

● الأولى : أنـه حَكَّـمَ الرِّجـالَ في ديـن الله ؛ والله تعـالى يقـول : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام :٥٧، يوسف:٤٠، ٦٧] .

مَكْمَنُ الخطر في كلِّ زمان ومكان : سـوءُ الفهـم عـن الله ورسـوله ، أرجو أن تتدبروا هذا .

● يقول ابن القيم ـ في كلامٍ نفيس: « وهل أوقـعَ القدريـة والمرجئةَ والخوارجَ والمعتزلة والجهمية والـروافض وسـائر طوائـف أهـل البـدع فيما وقعوا فيه إلا سوءُ الفهمِ عن الله ورسوله ؟!» (١) .

فقد يستدل أحدُهُم بآيةٍ صريحة ، ولكنه يؤوِّلها تـأويلًا متعسِّـفًا بـاطلًا ، أو بحديث صحيح ، لكنه لا يفهم مراد الله تعالى ورسوله ﷺ .

نعم .. نحن لا ننكر أن أحد هؤلاء قد يستدل بالـدَّليل الصـحيح ، لكنه يتأول الدَّليل ، ولا يفهمه ! ، ولا يقف على مراتب الـدَّليل ، ولا يفهم مناطاته الخاصَّة والعامة !!

ومن ثمَّ ؛ فإنه يستشهد بالدليل حتمًا في غير محله ، وفي غـير موضـعه ، ومن ثم يقع في هذه الفتنة الصمَّاء ، فيشعل نارًا متأججـة ، وهـو يعتقـد أنه عـلى الحـقِّ والصَّـواب ، وهـو غـارق في الباطـل والضَّـلال ؛ لسوءِ فهمهِ عن الله وعن سيِّد الرِّجال ﷺ .

---

(١) «الروح» لابن القيم (٦٣ط الكتب العلمية) .

فـما مـن مصيبة وقعـت ، وسـتقع ! إلا بسـبب هـذا الفهـم السيِّئ للنصوص القرآنية والنَّبوية .

○ فتدبر أخي الكريم ؛ فالخوارج يُكَفِّرونَ عليًّا ﷺ !! الذي قال له النبيُّ ﷺ : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي »[1] .

يكفرون من شهد له النبيُّ ﷺ بقوله :

« لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ ...»[2] .

يكفَّرون عليًّا لتأويل فاسدٍ ، وفهمٍ باطلٍ ضال ، ويرددون دليلًا من كتاب الكبير المتعال . وأنا أسوقُ لفظَ القصةِ بِطولها من روايتين في غاية الأهمية :

○ فتدبر معى هذا الحوار البديع الذي دار بين ابن عباس ـ ﷺ ـ وبين الخوارج وزعمائهم من خلال هاتين الروايتين :

○ الأولى : عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيِّ قَالَ : جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ شَدَّادٍ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهَا جُلُوسٌ مَرْجِعَهُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﷺ (٣٧٠٦) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٣١) .

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب : مناقب علي بن أبي طالب ﷺ (٣٧٠١) وغيره.

مِنَ الْعِرَاقِ لَيَالِيَ قُتِلَ عَلِيٌّ فَقَالَتْ لَهُ : يَا عَبْدَ الله بْنَ شَدَّادٍ ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ؟ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ، قَالَ : وَمَا لِي لاَ أَصْدُقُكِ ؟

قَالَتْ : فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ؟ قَالَ : فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ ﷺ وَحَكَمَ الْحَكَمَانِ خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلاَفٍ مِنْ قُرَّاءِ النَّاس فَنَزَلُوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : حَرُورَاءُ مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : انْسَلَخْتَ مِنْ قَمِيصٍ أَلْبَسَكَهُ الله تَعَالَى وَاسْم سَمَّاكَ الله تَعَالَى بِهِ ، ثُمَّ انْطَلَقْتَ فَحَكَّمْتَ فِى دِينِ الله ، فَلاَ حُكْمَ إِلاَّ لله تَعَالَى، فَلَمَّا أَنْ بَلَغ عَلِيًّا ﷺ مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ : فَأَمَرَ مُؤَذِّناً فَأَذَّنَ أَنْ لاَ يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلاَّ رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا أَنِ امْتَلأَتِ الدَّارُ مِنْ قُرَّاءِ النَّاس ، دَعَا بِمُصْحَفٍ إِمَامٍ عَظِيمٍ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : أَيُّهَا الْمُصْحَفُ ، حَدِّثِ النَّاس ، فَنَادَاهُ النَّاس فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ فِى وَرَقٍ ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوِينَا مِنْهُ ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَصْحَابُكُمْ ، هَؤُلاَءِ الَّذِينَ خَرَجُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ الله ﷻ .

يَقُولُ الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء:٣٥] .

فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ دَماً وَحُرْمَةً مِنِ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ ، وَنَقَمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشاً فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فَقَالَ سُهَيْلٌ : لاَ تَكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ : « كَيْفَ نَكْتُبُ؟ ». فَقَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَاكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَمْ أُخَالِفْكَ، فَكَتَبَ :« هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قُرَيْشاً » يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ﴾[الأحزاب:٢١] .

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَخَرَجْتُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاس فَقَالَ : يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أُعَرِّفُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ :
[الزخرف:٥٨] فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلاَ تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللهِ ؛ فَقَامَ خُطَبَاؤُهُمْ فَقَالُوا : واللهِ لَنُوَاضِعَنَّهُ كِتَابَ اللهِ فَإِنْ جَاءَ بِحَقٍّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّهُ ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بِبَاطِلِهِ، فَوَاضَعُوا عَبْدَ اللهِ الْكِتَابَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلاَفٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ ، فِيهِمُ ابْنُ الْكَوَّاءِ حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ الْكُوفَةَ فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى بَقِيَّتِهِمْ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاس مَا قَدْ رَأَيْتُمْ فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ تَسْفِكُوا دَماً حَرَاماً أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلاً أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمُ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ.

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ ﭬ : يَا ابْنَ شَدَّادٍ فَقَدْ قَتَلَهُمْ؛ فَقَالَ : واللهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ ، وَسَفَكُوا الدَّمَ وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ، فَقَالَتْ : اللهِ؟ قَالَ آللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَقَدْ كَانَ ، قَالَتْ : فَمَا شَيْء بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَتَحَدَّثُونَهُ يَقُولُونَ : ذُو الثُّدَيِّ وَذُو الثُّدَيِّ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُهُ وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ ﭬ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلَى ، فَدَعَا النَّاسَ.

فَقَالَ : أَتَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ : قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلاَنٍ يُصَلِّي ، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلاَنٍ يُصَلِّي ، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِثَبَتٍ يُعْرَفُ إِلاَّ ذَلِكَ، قَالَتْ : فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ ﭬ حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ : صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَالَتْ : هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟قَالَ : اللَّهُمَّ لاَ ، قَالَتْ : أَجَلْ ، صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ يَرْحَمُ اللهُ عَلِيًّا ﭬ، إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلاَمِهِ لاَ يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلاَّ قَالَ : صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٨٦، ٨٧) ، وأبو يعلى (٤٧٤) ، وابن عساكر (٢٧/ ١٠٤) ، (٢٩/ ١٤٣) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٦/ ٣٥٣) : « رواه أبو يعلى ورجاله ثقات » ، وإسناده حسن ؛ كما قال الشيخ شعيب في « المسند ».

○ الرواية الثانية : روى النسائي رحمه الله في « الخصائص »[1] عن عبد الله ابن عباس قال : لَمَّا خَرَجَتِ الحَرُورِيَّةُ اعتزَلوا فِي دارِهِمْ ، وَكَانوا ستَّةَ آلافٍ ، فقلتُ لعليٍّ رضي الله عنه : يَا أميرَ المؤْمِنينَ ، أبردْ بِالصَّلاة لعَلِّي أكلِّم هؤلاء القومِ ، قالَ : إنِّي أخافهُم عليكَ ، قلتُ: كلاَّ ، قال : فلبستُ وترجلَّتُ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فِي نصْفِ النَّهَارِ، وهمْ قَائِلُونَ فَسَلَّمتُ عليهمْ .

فقالُوا : مَرْحَبًا بكَ يا ابنَ عبَّاس ؛ فما جَاءَ بِكَ ؟ قلتُ لهمْ : أتيْتُكُم مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ المُهَاجِرينَ وَالْأَنْصَارَ وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصِهْرِهِ، وعليهمْ نَزَلَ القُرْآنُ ، وهُم أعلَمُ بتأويلِهِ منكُمْ ، وليسَ فيكُمْ منهمْ أحدٌ لأُبَلِّغَكُمْ ما يقولُونَ ،وتُخْبِرونَ بِمَا تقولُونَ فَانْتَحَى لِي نَفَرٌ مِنْهُمْ ،قلتُ : أخبِرُونِي ماذَا نَقِمتُمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَابْنِ عَمِّه ؟ !

قالُوا : ثَلاثٌ.

قلتُ : ما هُنَّ ؟

قَالُوا : أَمَّا إحدَاهُنَّ ؛ فإِنَّه حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أمرِ الله ، وَالله تعالَى يَقُولُ: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف:٤٠] .

---

(١) أخرجه النسائي في «الخصائص» (١٨٥) وهو في «السنن الكبرى» (٥/ ١٦٥ ، ١٦٧) وسنَدهُ حسن .

ما شَأنُ الرِّجال والحُكم ؟ فقلتُ : هذه وَاحِدَةٌ .

قالُوا: وأمَّا الثانيَةَ : فإِنَّهُ قَاتَلَ ولمْ يَسْبِ سباهم ولمْ يَغْنَمْ ؛فإن كانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حلَّ سَبْيُهُمْ ، وَإِنْ كانُوا مُؤمِنِينَ مَا أحلَّ سَبْيُهُمْ وَلَا قتالُهُمْ ، قُلتُ : فَمَا الثَالثَةُ ؟

قالُوا :محَا نفْسَهُ عنْ أميرِ المؤمِنِينَ ؛ فهوَ أميرُ الكَافِرِينَ.

قلتُ : هل عنْدَكُم شيء غيرَ هذا ؟ قالُوا : حسْبُنَا هَذَا.

قلتُ : أرأيتُمْ إنْ قَرَأتُ عَلَيْكُمْ منْ كتابِ الله ــ جلَّ ثناؤه ــ ومِنْ سُنَّةِ نَبيِّهِ ﷺما يرُدُّ قوْلَكُمْ أتَرْضُونَ ـ أترجعون ـ قالُوا : نَعَمْ .

قلتْ : أَمَّا قوْلُكُم حَكَّمَ الرِّجَال فِي أمرِ الله فأنَا أَقْرأُ عَلَيْكُم فِي كتابِ الله أنْ قدْ صَيَّرَ الله حُكْمَهُ إلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَن رُبْعِ دِرْهَمٍ ، فَأمَرَ الله الرِّجَالَ أنْ يَحْكُمُوا؛ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة:٩٥] .

فأنشَدُتُكُم بِالله تَعَالَى أَحُكْمُ الرِّجَالِ في أرْنَبٍ ونحْوها مِنَ الصَّيْد أَفضَلُ أَمْ حُكْمُهُمْ في دِمَائِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِم ، وأنتمْ تَعْلَمُونَ أنَّ الله تعالَى لوْ شَاءَ لَحَكَمَ ، ولمْ يُصَيِّرْ ذَلكَ إلى الرِّجَالِ ؟ قالُوا : بلْ هذَا أفْضَلُ .

وفي المْرأَةِ وزَوْجِهَا ؛ قالَ الله تعالَى :

فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء:٣٥].

فأنشَدُتُكُم بالله حُكْمَ الرِّجالِ فِي صلَاحِ ذَاتِ بينهم وَحَقْنِ دِمائِهم أفضَلُ أَمْ حُكْمُهُم فِي بِضْعِ امْرَأة ، أخرجتُ مِنْ هذه ؟ قَالُوا : نَعَم .

قلتُ : وأمَّا قولُكُم قَاتَلَ ولمْ يَسْبِ ولمْ يَغْنَمْ ، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عائِشَةَ وتَسْتَحلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلَّون منْ غيرها ، وهيَ أُمُّكُمْ ؟ فإنْ قُلْتمْ: إنَّا نسْتَحلُّ منهَا مَا نسْتَحلُّ منْ غيرِهَا فقَدْ كَفَرْتُم ، ولَئنْ قلتُمْ : لَيسَتْ بأُمِّنَا فقَدْ كَفَرْتُم؛لِأَنَّ الله تَعَالَى يَقُولَ : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب :٦] ، فأنْتُم تدُورُونَ بيْنَ ضَلَالتَيْنِ فأتوا منْهمَا بمَخْرَجٍ ؟

قلتُ : أفخرجْتُ من هذِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ .

وأَمَّا قَوْلُكُمْ : محَا اسْمَهُ منْ أميرِ المؤمنينَ فَأَنَا آتِيكُمْ بمَنْ تَرْضَوْنَ ، وَأَرَاكُمْ قدْ سَمعْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ صَالَحَ المشْرِكينَ ؛ فقَالَ : لِعَليٍّ رضي الله عنه : « اكتُبْ هذَا مَا صَالَحَ عليهِ محمدٌ رسُولُ الله ﷺ » فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : لا والله مَا نَعْلمُ أَنَّك رَسُول الله ، وَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّك رَسُول الله مَا قَاتَلْنَاكَ ، ولَأَطَعْنَاكَ ؛فاكتُبْ محمَّدُ بنُ عبدِ الله ؛ فقَالَ رسُولُ الله ﷺ : « امْحُ يَا عليُّ ، واكْتُبْ هذَا مَا صَالَحَ عليه محمدُ بنُ عبد الله » ؛ فوالله لَرسُولُ الله ﷺ خَيرُ منْ عليٍّ ، وقدْ محَا نفْسَه ، ولمْ يَكُنْ يمْحُوهُ منَ

النُّبُوَّةِ . أَخَرَجْتُ من هذِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ .

وعاد عددٌ كبير جدًّا من الخوارج بعد هذه المناظرة من ابن عباس إلى عليٍّ رضي الله عنه، وبقيت فرقةٌ تحمل هذا الفكرَ العَفن لحكمةٍ ، وهي أن تكون هذه الفرقة علامة جديدة من علامات النبوة ؛ فلقد أخبر النبيُّ ﷺ عن ظهور هذه الفرقة !! بل ووصفها وصفًا دقيقًا بليغًا ؛ فكيف لا يتحقق وَعْدُ النبيِّ الصادق ﷺ ؟! .

فتدبر معي جيدًا هذه الأحاديث التي أخبر فيها رسول الله ﷺ عن فرقة الخوارج ؛ لنعود بعد ذلك إلى عليٍّ رضي الله عنه؛ لنتعرف على ما فَعَلَهُ بهذه الفرقة الضالة المضلة ؟ !

● ففي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا [(١)] قَالَ: فَقَسَمَهَا ﷺ بين أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ وَأَقْرَعَ ابْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قال : فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ؛ فقال :

« أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً » .

---

(١) أي : بقطعة من الذهب في جلد مدبوغ لم تميز وتخلَّص من ترابها .

قال : فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ ـ عيناه إلى الدَّاخل وله وجنتان بارزتان ـ نَاشِزُ الْجَبْهَةِ ، كَثُّ اللِّحْيَةِ ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ اتَّقِ اللهَ ـ أهذه تقال للمصطفى ﷺ ؟! فقال النبيُّ ﷺ :

« وَيْلَكَ ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ تَعَالَى ؟! » .

ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« لاَ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي » .

فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ؛ فقال المصطفى ﷺ :

« إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاس وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ » .

قال : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ ؛ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو الصَّادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ، والله لكأنِّي برسول الله ﷺ قد رأى الخوارج من وراء حجب الغيب بعدما أطلعه الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم وعلى صفاتهم وأفعالهم ؛ فإن النبيَّ ﷺ ـ كما سأبين إن شاء الله تعالى ـ قد وصف هذه الفتنةَ وصفًا عجيبًا ـ نظر النبيُّ ﷺ إلى هذا الرَّجل وهو في طريق عودته ، وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام :

« إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَـذَا قَـوْمٌ يَتْلُـونَ كِتَـابَ اللهِ رَطْبًـا ، لاَ يُجَـاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » .

قَالَ : أَظُنُّهُ قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةِ وَالسَّـلاَمِ : « لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ » [١].

●وفيهما أيضًا [٢] من حديث أبي سعيد ﷺ ـ في رواية أخرى جميلة ـ قَالَ : « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَـاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ـ هذا هو اسم الرَّجل الَّذي ذكرناه في الرِّواية السَّابقة ـ وَهُـوَ رَجُلٌ مِـنْ بَنِي تَمِيمٍ ـ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، اعْدِلْ ـ أي : في القسمة ـ قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ:

«وَيْلَكَ ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ؟! قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ » فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: يَا رَسُولَ الله ، ائْذَنْ لِي فِيـهِ أَضْرِبُ عُنُقَـهُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:« دَعْهُ ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا » .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : بعث علي بن أبي طالـب ﷺ وخالـد بـن الوليـد إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٠) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤/ ١٤٨) وقولـه : « خبت وخسرت » . قال النووي في « شرح مسلم » (٤/ ١٩) : « روي بفتح التاء وبضمها فيهما ، ومعنى الضم ظاهر ، وتقدير الفتح : خبتَ أنت أيها التابع إذا كنتُ لا أعدل ؛ لكونك تابعًا ومقتديًا بمن لا يعدل ، والفتح أشهر ، والله أعلَم » .

وهذه لفظة مهمَّة : « يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ ، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ[١] ، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ - وَهُوَ الْقِدْحُ - ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ[٢] فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ .سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ » .

ثم قال - عليه الصَّلاة والسَّلام : « آيَتُهُمْ » أي : علامة هذه الفرقة الضَّالة « رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ » وصف عجيب « مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ» يعني : تضطرب وتتحرك تذهب وتجيء . «يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ،فَالْتُمِسَ - فَوُجِدَ - فَأُتِيَ بِهِ ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِى نَعَتَ .

○ تدبروا رواية ثالثة عجيبة - من أعجب الرِّوايات في هذا الباب -

---

(١) قد فسره في الحديث بالقِدح ، أي : عود السهم قبل أن يراش وينصل . وقيل : هو ما بين الريش والنصل . قاله الخطابي . («الفتح» ٦/ ٧١٥) .

(٢) يعني : ريش السهم .

وهي في «صحيح مسلم» قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ابْنُ هَمَّامٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِى سُلَيْمَانَ ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِىُّ : أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ﷺ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ. فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ : أَيُّهَا النَّاس ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :

« يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ . لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ ، وَلاَ صَلاَتُكُمْ إِلَى صَلاَتِهِمْ بِشَيْءٍ ، وَلاَ صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ. يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ ، لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ » .

الأولى : « قِرَاءَتِهِمْ » وهـذه « صَلاَتِهِمْ » زيـادات كلُّهـا في غايـة الأهمية. « يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لاَتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ » .

يعني : لـو يعلمـون مـا سيحصِّلون مـن الأجـر والفضـل في قتـالهم لاتَّكلوا على ذلك ، وكفُّوا عن العمل بعد ذلك ، لما سُطِّر لهـم عند الله من عظيم الأجر والفضل .

« وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلاً لَهُ عَضُدٌ ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ . عَلَى رَأْسِ

عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ . عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ » .

يا إلهي ! يصف النبيُّ ﷺ الشَّعرات ! تدبَّروا في كلِّ لفظة « عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ ، فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّام ، وَتَتْرُكُونَ هَؤُلاَءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ » .

يَقُول عَليٌّ : وَالله ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاس ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ الله.

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ : فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا . حَتَّى قَالَ : مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ . فَقَالَ لَهُمْ : أَلْقُوا الرِّمَاحَ ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ.

فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ ، وَشَجَرَهُمُ النَّاس بِرِمَاحِهِمْ، قال : وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ رَجُلاَنِ ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : « الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ » أي: قتلى الخوارج ، والمخدج أي: الرَّجل الناقص أو المبتور الذِّراع ، عليٌّ يأمر جيشه أن يبحثوا عن هذا الرَّجل الذي وصفه النبيّ ﷺ ؛ ليتأكد أن هذه الفرقة هي الفرقة الضالة التي أخبر عنها الصَّادق ، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ يقول : « فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ؛ فَقَالَ عليٌّ رضي الله عنه : ارْجِعُوا ؛

فَـوَالله ! مَـا كَـذَبْتُ ، وَلَا كُـذِبْتُ ـ مـرتين أو ثلاثًـا ـ فَالْتَمَسُـوهُ فَلَـمْ يَجِدُوهُ ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ ﵁ ـ ليبحث عـن هـذا الرجـل المخـدج في صـفوف قتلى الخوارج ـ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْـضٍ . قَـالَ أَخِّرُوهُمْ. فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الأَرْضَ ـ فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ صِفَتَهُ التـي وَصَـفَهَا النَّبِيُّ ﷺ كبَّرَ ـ قَالَ : الله أَكْبَرُ . ثُمَّ قَالَ : « صَـدَقَ الله وَبَلَّـغَ رَسُـولُهُ » ! قال : فقام إليه عَبِيدةُ السَّلْماني . فقال : يا أمير المؤمنين ! آلله الذي لا إله إلا هو ! لسمعتَ هذا الحديث من رسـول الله ؟ فقـال : إي والله الـذي لا إلـه إلا هو حتى استحلفه ثلاثًا . وهو يحلف له »[١] ،[٢] .

وسوف تعجبُ إذا علمـت أن الصَّـادق الـذي لا ينطـق عـن الهـوى قد اخبر أن الذي سيقاتل المتأوِّلين المارقين هو عليٌّ ﵁ .

ففي « مسند أحمد » و « والسـنن الكـبرى للنسـائي » وغيرهمـا[٣] مـن حـديث أبي سـعيد الخـدري ﵁ قـال : « كُنَّـا مَـعَ رَسُـولِ الله ﷺ ، فَانْقَطَعَتْ نَعلُهُ ، فَرَمَى بِـهِ إِلَى عـليٍّ ﵁ فَتَخَلَّـفَ عَـليٌّ يَخْصِفُها ، فَمَشـى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : التحريض على قتل الخوارج (١٠٦٦/ ٥٦) .

(٢) وفي رواية أحمد في « المسند »(١/ ١٠٧) : «فخررنا سجودًا ، وخرَّعليٌّ معنا ساجدًا» .

ولنترك عليًّا ساجدًا لله ـ جل وعلا ـ يشكر الله سبحانه الذي منَّ عليه بقتال هـذه الطائفـة المارقـة الخارجة التي أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى لنعود إليـه ريثما ينتهـي مـن سجوده ؛ لنتعرف على سير هذه الأحداث المؤلمة !!

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣١،٣٣) ، والنسائي في الكبرى » (٨٥٤١) ، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٧) ، والحاكم (٣/ ١٣٢) ، وأبو يعلى (١٠٨٦) ، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة » (٢٤٨٧) .

قَلِيْلًا ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيْلِ القُرْآن ، كَمَا قَاتَلَ عَلَى تَنْزِيْلِهِ » فَاسْتَشْرَفَ لَهَا القَوْمُ ، وَفِيْهِمْ أَبُوبَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما . قال أبُو بكرٍ رضي الله عنه : أَنَا هُوَ ؟ ! قَالَ : «لَا» قَالَ : عُمَرُ : أَنَا هُوَ ؟! قَالَ : « لَا» قَالَ : «وَلَكِنْ خَاصِفُ النَّعْلِ » يَعْنِي : عَلِيًّا فَبَشَّرْنَاهُ ، فَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسَهُ ، كَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ .





مقتلُ عليٍّ رضي الله عنه

مقتلُ عليٍّ رضي الله عنه

تركنا عليًّا ــ رضوان الله عليه ــ ساجدًا شاكرًا لله عز وجل ، يحمد الله سبحانه وتعالى ، أن وفقه لقتال أشرِّ الخلق ، كما قال الصَّادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

كما في « صحيح مسلم » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، سِيماهُم التَّحالُق .

قال: « هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ »[1] .

● وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه - في رواية أخرى ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ »[2] .

● وفي لفظٍ آخر من حديث أبي سعيد في « صحيح مسلم » أنه صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٥٠برقم ١٠٦٥) .

« تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ .فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ . يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلاَهُمْ بِالْحَقِّ » (١) .

• وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ـ في لفظ آخر : أنه ﷺ قال:

«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَيَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ» .

• وفي رواية : « يقْتُلُهم أقرَبُ الطَّائِفتَيْن مِنَ الحقّ » (٣) .

وهذه شهادة نبوية من الصَّادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ لعليٍّ ﷺ وطائفته بأنهم أدنى وأولى الطَّائفتين بالحقِّ .

وهكذا قاتل عليٌّ الخوارج ، وقضى على رؤوسهم في النَّهروان ، وظنَّ أنَّه قد قضى على فتنتهم الخطيرة ، لكن بقي الحقدُ الأعمى يدمِّر ويحرق قلوب هؤلاء الذين وصفهم النبيُّ ﷺ بأنهم شر الخلْقِ ؛ بل لقد أخبر أنه لو لَقِيهُم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لقتَلَهُم !! .

• روى ابن أبي شيبة في « مصنفه »بسندِهِ إلى عمرو بن سلمة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥/ ١٥١) .
(٢) أخرجه مسلم في المصدر السابق (١٠٦٥/ ١٥٢) .
(٣) مسلم(١٠٦٥/ ١٥٣) .

قال [(١)]: « كنا جلوسًا عند باب عبد الله بن مسعود ننتظر أن يخرج إلينا ، فخرج ، فقال : إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السَّهمُ من الرَّميَّة ، وأيْمُ الله لا أدري لَعلَّ أكثرهم منكم . فقال عمرو بن سلمة : فرأينا عامَّة أولئك يطاعنونا يوم النَّهروان مع الخوارج » . انطلق هؤلاء ليعيثوا في الأرض الفساد ؛ بل ـ كما ذكرت ـ كانوا يقابلون المسلمين ، فيسألونهم عن اعتقادهم في عليٍّ ؛ فإن كان المسلم على مثل رأيهم ـ أي : من يكفِّر عليًّا ـ نجا من شرِّهم ، وإن قال المسلم قولًا طيبًا في حقِّ عليٍّ رضي الله عنه قتلوه !.

فلقد لقيهم عبد الله بن خباب بن الأرت رضي الله عنهما وكان مع امرأته ـ وكانت حاملًا ـ فلمَّا عرفوه ؛ قالوا له : حدِّثنا حديثًا سمعته من أبيك ، سمعه أبوك من رسول الله ﷺ ، فحدَّثهم عبد الله بن خباب بن الأرت ـ وكلُّكم يعرف خباب بن الأرت رضي الله عنه ـ والد عبد الله ـ ذلك الرَّجل السَّابق ، الصَّابر ، المجاهد العَلَم ، الذي جاء إلى النبيِّ ﷺ يومًا من شدَّة العذاب والابتلاء في مكَّة ليقول : يَا رَسُولَ الله أَلاَ تَدْعُو لَنَا ، أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟! فغضب رسول الله ﷺ وقعد وقد احمرَّ وجهه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/ ٥٥٣) ، والدارمي (١/ ٧٩) ، وصححه العلامة الألباني في « الصحيحة » (٢٠٠٥) .

وجلس ، وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام :

« قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فيُجعلُ فِيها ،فيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِه فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وُيْمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ ، فمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دينه ، والله ليتمنَّ الله هَذَا الأَمْرَ ـ أي : هذا الدِّين ـ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ الله وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ »[١] .

هذا هو خبَّاب بن الأرت ﷺ . وهذا ابنه عبد الله بن خبَّاب ﷺ يقصُّ على الخوارج حديثًا سمعه عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال : سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ :

« سَتكُونُ فِتَنٌ ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي »[٢] .

فأخذوه واقتادوه مع امرأته ، وكانت امرأته حاملًا ـ كما ذكرت ـ أرجو أن تتدبر معي هذا الورع الباهت ، وهذا الفهم العقيم السَّقيم !!

- فعن أبي مجلز ﷺ قال :

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه ، باب : من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٦٩٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ١١٠) ، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٣٦٣١) ، وقال الألباني في «الإرواء» (٢٤٥١) :« إسناده جيد» .

« بينما عبد الله بن خبَّاب في يد الخوارج إذ أتوا على نخل ، فتناول رجلٌ منهم تمرة ، فأقبل عليه أصحابه ؛ فقالوا له: أخذت تمرة من تمر أهل العهد ؟! وأتوا على خنزير فنفخه رجلٌ منهم بالسَّيف ؛ فأقبل عليه أصحابه فقالوا له : قتلت خنزيرًا من خنازير أهل العهد ؟!

قال : فقال عبد الله : ألا أخبركم مَنْ هو أعظم عليكم حقًّا من هذا ؟!

قالوا : مَنْ ؟

قال: أنا ، ما تركتُ صلاة ، ولا تركتُ كذا ، ولا تركتُ كذا !

قال : فقتلوه . قال : فلمَّا جاءهم عليٌّ قال : أقيدونا بعبد الله بن خبَّاب ! ، قالوا : كيف نقيدك به وكلُّنا قد شارك في دمه ؟! فاستحلَّ قتالهم» [(١)].

فهم في طريقهم ، يقتادون عبد الله وامرأته ، امتدت يدُ أحدهم على تمرة سقطت من نخلة ، فلما أراد أن يرفعها إلى فمه ، قال له أحد إخوانه : ويحك ويحك !! أتأكل التَّمرة من غير أن تستحلها من صاحبها ؟! فألقاها على الفور ، وهو يستغفر الله نادمًا على ما كان قد

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٧/ ٥٥٤، ٥٦٠) ، والدارقطني (٣/ ١٣١) ، والبيهقي في « الكبرى » (٨/ ١٨٤) ، وانظر : « معجم الطبراني الكبير » (٤/ ٦٠) (٣٦٣١) ، و«الفتح» (١٢/ ٢٩٧) وهو صحيح .

بدر منه أن يفعله ، وبعد خطوات قليلة ذبحوا عبد الله بن خبَّاب مع امرأته !

• قال الإمام البخاريُّ ﷺ: «وكان عبد الله بن عمر ﷺ يراهم شرار خلق الله ، وقال : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين » [١] .

واشتد بلاؤهم حينما جلسوا يومًا من الأيَّام وتذاكروا إخوانهم في النَّهروان ، ممن قُتلوا فترحموا عليهم ؛ وقالوا [٢]: « ماذا نصنع بالبقاء بعد قَتْل إخواننا ؟ لا قيمة للحياة بعد هؤلاء ، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمَّة الضَّلال ؛ فقتلناهم أرحنا منهم البلاد والعباد! » .

مَنْ أئمَّةُ الضَّلال عند هؤلاء الضُّلَّال ؟ عليٌّ ومعاوية وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم جميعًا !

قالوا : لو أتينا أئمَّةَ الضَّلال فقتلناهم أرحنا منهم البلاد والعباد ،

---

(١) « صحيح البخاري » كتاب استتابة المرتدين ، باب : قتل الخوارج والملحدين ، وقال ابن حجر : «وسنده صحيح» . راجع «فتح الباري» (١٢/ ٢٩٨) .

(٢) والرواية بطولها ؛ أخرجها الطبراني في « والمعجم الكبير » (١/ ٩٧) (١٦٨) ، والطبري في « تاريخه » (٣/ ١٥٦) من طريق : إسماعيل بن راشد قال : « كان من حديث ابن ملجم ـ لعنه الله ـ وأصحابه أن عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمي اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس ، وعابوا عمل ولا تهم ، ثم ذكروا أهل النهروان ، فترحموا عليهم وقالوا : .... » ، وانظر: « فتح الباري » (١٢/ ٢٩٧) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ١٩٢) : « رواه الطبراني ، وهو مرسل ، وإسناده حسن » ، وضعف الألباني سنده في « الإرواء» (٦/ ٧٥،٧٦) .

وأخذنا بثأر إخواننا ـ أي: في النَّهروان ـ فانبعث أشقى الآخرين ! فأشقى الأولين عاقرُ ناقة صالح ـ على نبينا وعليه الصَّلاة والسَّلام ـ وأشقى الآخرين قاتل عليٍّ رضي الله عنه !!

فانبعث أشقى الآخرين : رجل يقال له : عبد الرحمن بن ملجم التميمي ، وقال : أنا أكفيكم عليَّ بن أبي طالب !

وقام رجلٌ آخر يُقالُ له : البرك بن عبد الله التميمي وقال : أنا أكفيكم معاوية ! .

وقام رجلٌ ثالث يُقالُ له : عمرو بن بكر التميمي ، فقال : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص .

وتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجلٌ منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه . فأخذوا أسيافهم فسمُّوها ـ أي وضعوها في السم .

وكانت هذه الليلة الموعودة التي اتُّفِقَ عليها هي ليلة السَّابع عشر من رمضان لسنة أربعين من هجرة النبيِّ ﷺ ، وانطلق الثَّلاثَةُ ، كلٌّ ذهب إلى وجهته وطريقه ؛ ليقوم بمهمَّته الخبيثة الشَّنيعة .

وقدَّر الله ـ جلَّ وعلا ـ ألَّا يفلح من الثَّلاثة في مهمته إلا أشقى الآخرين : عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل عليًّا رضي الله عنه بطعنةٍ حادة في

رأسه بعد ما سنَّ سيفه أربعين يومًا ، وأغرقه في السُّم أربعين يومًا كذلك ، وكان قتلُ عليٍّ ﷺ ميسورًا ؛ لأنه كان ينطلق في ظلِّ هذه الأزمة الحالكة وحده بدون حرس ، فاختبأ له عبد الرحمن بن ملجم - عليه من الله ما يستحقه - وانتظر حتى يخرج عليٌّ كعادته ليوقظ المسلمين للصَّلاة وهو أمير المؤمنين ﷺ !

وانقضَّ عليه ، وضربه بالسَّيف في رأسه ضربة حادة ، فسقط عليٌّ ، وهرب ابن ملجم ، لكنَّ القوم أمسكوا به ، وحملوا عليًّا إلى داره بدلًا من أن يذهب ليؤم المسلمين في صلاة الفجر !! حُمِلَ الأسدُ إلى داره - رضي الله عنه وأرضاه - ودماؤه الشَّريفة تنزف من جسده الطَّاهر ؛ فلمَّا أفاق أمر المسلمين من حوله أن ينطلقوا ؛ ليؤدوا صلاة الفجر ، قبل أن يخرج وقتها !! .

فلمَّا صلَّى المسلمون الفجر عادوا إليه ، وقد أمسكوا بعبد الرحمن بن ملجم ، فلما نظر إليه عليٌّ - رضوان الله عليه - قال له : يا عدوَّ الله ، ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال : بلى ؛ فقال عليٌّ - رضوان الله عليه : فما الذي حملك على ذلك ؟

قال عبد الرحمن بن ملجم : والله لقد شحذتُ سيفي أربعين يومًا ، وأغرقت سيفي في السُّم أربعين يومًا وسألت الله ﷻ أن يقتل بهذا

السَّيف شرَّ الخلق ؛ فقال عليٌّ ﷺ: « والله ما أراك إلا مقتولًا به ، ولا أراك إلا من شر الخلق !! » .

فمن العجب ـ كما ذكرتُ ـ أن هؤلاء الموتورين يقتلون باسم الله ، ويعلنون أنهم ما يفعلون هذا الضَّلال إلا من أجل الله ! .

فما قَتَل ابنُ ملجم عليًّا وما طعنه إلا وهو يقول : الحكم لله لا لك يا عليُّ ، ولا ولأصحابك !!! .

نظر عليٌّ بفقهه وبصيرته الحادَّة ، فرأى الغيظ والألم يتفجر في أعين الصَّحابة وأهله وأولاده ممن يحيطون به على فراش الموت ، ويقيدون إلى جواره قاتله أو طاعنه : عبد الرحمن بن ملجم ـ عليه من الله ما يستحقه وقبَّحه الله في الدنيا والآخرة .

فنظر عليٌّ إلى الغيظ يتفجر في أعين هؤلاء ، وظن أن انتقامًا مُرَوِّعًا سيحيق بهذا الطَّاعن الظَّالم ، ولكنَّ عليًّا الرَّجل الذي علَّم الدُّنيا العدل والورع بعد عمر ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ يلتفت إلى أصحابه وأولاده ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ ويقول لهم كلمات رقراقة عادلة ، ليست كثيرة على عليٍّ ؛ بل إن شئْتَ فَقُلْ : لا يقولها في هذه اللحظات الحالكة إلا علي .

التفت إليهم خشية أن يتجاوز أهلُه وأصحابُه وأولادُه في القصاص

العادل الذي حدده الله ـ جلَّ وعلا ـ مع هذا القاتل ، فبين لهم وذكرهم فقال [1]: « أحسنوا إليه ـ لعبد الرحمن بن ملجم ـ أحسنوا إليه وأكرموا مثواه ، فإن أعش ، فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا !! وإن متُّ فألحقوه بي أخاصمه عند ربِّ العالمين» ـ رضي الله عن عليٍّ ـ فألحقوه بي أي : اضربوه بسيفه كما ضربه بالسيف، فالجروح قصاص ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩] . فألحقوه بي أخاصمه عند ربِّ العالمين ، ولا تقتلوا بي سواه !! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠] .

هل يحتاج هذا المشهد المثير تعليقًا بكلمات من عندنا ؟! لا والله ؛ فلندع المشهد بكلمات عليٍّ ﷺ يتألَّق سموًّا وروعة وعظمةً وجلالًا ؛ فإن هذه الكلمات لا يقولها في مثل هذه اللَّحظات إلا عليٌّ ـ رضي الله عنه وأرضاه .

وفي هذه اللحظات وعليٌّ في ساعاته الأخيرة لا يزال يتكلَّم ، ولا يزال يذكِّرُ وينصح ، دخل عليه أصحابه ، وقالوا : استخلِفْ على الأمَّة من بعدك الحسن بن عليٍّ ؟ فأبى عليٌّ ، وقال : « لا آمركم ولا أنهاكم ـ أي باستخلاف الحسن ـ أنتم بأموركم أبصر .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد« فضائل الصحابة » (٢/ ٥٦٠) ، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٥).

فأرادوا أن يحملوه حملًا على استخلاف الحسن ، فوضعوا أناملهم على الوتر ، الذي يحرك قلب عليٍّ ، والذي يخيف عليًّا رضي الله عنه ؛ فقالوا له : فماذا تقول لربك ـ جلَّ وعلا ـ إن لقيته غدًا ولم تستخلف علينا ؟ فقال عليٌّ العبقري الفقيه رضي الله عنه :« أقول له : يا رب ، تركتهم دون أن أستخلف عليهم ، كما ترك رسول الله ﷺ أمته دون أن يستخلف عليهم ! ».

والحديث رواه أحمد في « مسنده » وابن أبي شيبة وغيرهما [١] من حديث عبد الله بن سبع قال : سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول : « لتخضبن هذه من هذا ، فما ينتظر بي الأشقى ؟»

قالوا : ياأمير المؤمنين ، فأعلمنا مَنْ هو ؟ حتى نبير عترته ، والله لنبيرن عترته .

قال : إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي ! أنشدكم بالله أن لا يقتل غير قاتلي .

قالوا : إن كنت قد علمت فاستخلف علينا .

قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ .

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٣٠،١٥٦) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٥/ ٤٤٤) ، وابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٣٤) ، وابن عساكر (٤٢/ ٥٣٧ـ ٥٣٩) ، وقال الشيخ شعيب : « حسن لغيره ».

قالوا : فما تقول : لربك إذا أتيته ؟

وفي رواية : ـ إذا لقيته ـ قال : أقول : اللَّهمَّ تركتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم ».

• وفي مصنف عبد الرزاق و« الطبقات» لابن سعد [1] عن عبيدة ـ السلماني قال : قال عليٌّ : « ما يُجلس أشقاهم أن يجيء فيقتلني ، اللهمَّ قد سئمتهم وسئموني . فأرحهم منِّي . وأرحني منهم » .

وقد كان عليٌّ ﷺ يعلم أنه سيموت شهيدًا ، كما أخبر رسول الله ﷺ ؛ ففي « صحيح مسلم »[2] من حديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ ، هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« اهْدَأْ . فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ ».

ثم دعا عليٌّ أولاده ـ وهو على فراش الموت : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ [illegible] [إبراهيم:٢٧] ـ وقال : ادعوا لي أبنائي ـ وعلى رأسهم الحسن فالحسن أكبر أبناء علي ـ رضي الله عنهم جميعًا

(٣/ ٣٤) وعبد الرزاق (١٠/ ١٥٤) .

أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير (٢٤١٧) .

ـ فدخلوا عليه ـ رضي الله عنه ـ وراح يُملي عليهم وصيةً رائعة غالية [1] ؛ فقال :

«أوصيكم بتقوى الله عز وجل ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، وقال ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:١٠٣] ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ صَلَاحَ ذَاتَ الْبَيْنِ أَعْظَمُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاة وَالصِّيَامِ » .

الله الله في القرآن ؟ لا يسبقنكم إلى العمل سابق ، لا تغتروا بأنكم أبناء عليٍّ ، وأنكم أبناء بنت رسول الله ، لا تغتروا بأن جَدَّكُمْ المصطفى ﷺ ، الله الله في الفقراء والمساكين أشركوهم في معاشكم ، لا تخافوا في الله لومة لائم ، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، لا تدَعُوا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وقولوا للنَّاس حسنًا ، كما أمركم الله تعالى وعليكم بالتَّواصل ، وإيَّاكم والتَّدابر والتَّقاطع والتَّفرق . وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

أسألكم بالله هل يمكن لأحدٍ في هذه اللَّحظات أن يقول هذه الكلمات بهذا الثَّبات ؟! والله لا يكون هذا إلا لمن ثبَّته الله ؟

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٩٧) (١٦٨) وضعفه الألباني سنده في « ضعيف الجامع» (١٨٧٤) ، و« الضعيفة »(٥١٩٨) .

ثم أمرهم أن ينصرفوا وأن يخرجوا من مجلسه ، وظلَّ عليٌّ ـ رضوان الله عليه ـ يردد قولة : لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، حتى لقي ربَّه ـ جلَّ وعلا ـ في فجر يوم السبت أي: في فجر اليوم التَّالي لطعنه ﷺ .

وهكذا ـ أيُّها الأحبة ـ آبَ المسافر إلى وطنه الخالد ، وعاد إلى منزله ، ورحل ابن أبي طالب ﷺ ، لكنَّ حياته والأيَّام التي عاشها على الأرض تحولت إلى شمس مشرقة ، أخذت مكانها العالي في حياة البشرية ، وتاريخها ، وراحت تجذب إليها على مدار التَّاريخ كلِّه قِيَمَ الحقِّ والبطولة ، والإيمان والشَّرف .

فهو الفدائيُّ العظيم الذي علم الدُّنيا حقيقة الفداء ، وشرف البطولة والتضحية.

وهكذا رحل الإمام ، ووالله ما رحل ؛ إن رحل بجسده ؛ فلقد بقيت مناقبه ، وبقيت فضائله ، وبقيت أخلاقه ، ظعن وما ظعن ! فهو الرَّاحل المقيم الذي خطَّ على جبين الزَّمان ، وعلى صفحات الأيَّام خلودًا بأخلاقه واتِّباعه لحبيبه المصطفى ﷺ .

ولله درُّ ضرار بن ضمرة الكناني الذي وصف عليًّا ﵁ وصفًا بليغًا ؛ فقال: وهو يصف عليًّا ﵁ : « كان بعيد المدى ، شديد القُوى ،

يقول فصلًا ، ويحكم عدلًا ، يتفجَّر العلْمُ من جوانبه ، وتنطلق الحكمةُ من لسانه ، يستوحش من الدُّنيا وزهوتها ، ويأنس باللَّيل ووحشته ، كان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلِّب كفَّيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللِّباس ما خشن ، ومن الطَّعام ما جشب ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويبتدؤنا إذا أتيناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، وكنَّا ـ والله ـ مع قربه منَّا لا نكاد نكلِّمه لهيبته ، ولا نبتدؤه لعظمته ، وكان إذا تبسم فَعنْ مِثْل اللُّؤلؤ المنظوم ، يعظِّم أهل الدِّين ، ويقرِّب المساكين ، لا يطمع القويُّ في باطله ، ولا ييأس الضعيفُ من عدله .

وأشهدُ لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى اللَّيلُ سدوله ، وغارت نجومُه ، وقد مُثِّل في محرابه ، قابضًا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه يقول : يا دنيا إليَّ تعرضتِ ، أم إليَّ تشوقتِ ، هيهات هيهات ، غُري غيري ، قد أبنتك ـ أي طلقتك ـ ثلاثًا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آهٍ من قلة الزَّاد ، وبعد السَّفر ، ووحشة الطَّريق ![1] .

وهكذا رحل الفدائيُّ العظيم ، رحل الذي جعله النبيُّ ﷺ منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام ، رحل الرَّجل الذي أحبَّ الله ورسولَه ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٤،٨٥) ، وابن عبد البر في « الاستيعاب » (١/ ٣٤١)، وابن عساكر (٢٤/ ٤٠١،٤٠٢) .

وأحبَّه اللهُ ورسولُه ، رحل تلميذ المصطفى ؛ وكفى ! . رحل عليٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وأرضاه.

ولما فرغ الصَّحابة ﷺ من دفن عليٍّ ﷺ ، تقدمت جموع المسلمين لبيعة الحسن بن علي ﷺ .

وأتوقف قليلًا مع سرد بعض المناقب للحسن ﷺ، فأنا أعلم أن كثيرًا من النَّاس لا يعرفون إلاَّ القليل من سيرة هذا الصَّحابي الجليل ﷺ.

فمَنْ هو الحسن بن علي ﷺ ؟! .

الحسن ابن بنت رسول الله ﷺ وحبيبه ، بل وريحانة [(١)] رسول الله ﷺ الذي طالما حمله النبيُّ ﷺ يشمه ، بل ويمتص لسانه ، ويخرج رسول الله ﷺ لسانه للحسن ، ليمتص الحسنُ لعابَه ﷺ [(٢)] .

الحسن الذي طالما حمله النبي على عاتقه ، بل وعلى ظهره .

نقف عند قليلٍ من مناقبه وفضائله قبل أن نواصل الحديث عن بيعته ، وحكمته ، وعن فضله وكرامته التي امتن بها على أمَّة النبيِّ ﷺ تحقيقًا لبشارة نبوية للمصطفى ﷺ .

• ففي الحديث الذي رواه مسلم من حديث عائشة قالت : «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ ،فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله (٥٩٩٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٩٣) ، وصحح سنده الشيخ شعيب .

عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ: النبيُّ ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] »[1] .

يا لها ـ والله ـ من كرامة ! .

ونزلت الآية ـ بعد ـ لتسطَّر في كتاب الله ـ جلَّ وعلا ـ لتتلى إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

● وفي الحديث الذي رواه أحمد ـ ورواه الترمذي مختصرًا ـ وهو حديث حسن من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ حِينَ جَاءَ نَعْيُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ لَعَنَتْ أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَقَالَتْ : قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله ، غَرُّوهُ وَذَلُّوهُ ـ لَعَنَهُمُ الله ـ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها غَدِيَّةً ـ أي : في وقت الصَّباح ـ بِبُرْمَةٍ قَدْ صَنَعَتْ لَهُ فِيهَا عَصِيدَةً ـ وهو الطَّعام الذي يصنع من الدَّقيق والعسل ـ تَحْمِلُهُ فِي طَبَقٍ لَهَا ، حَتَّى وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا النبيُّ ﷺ :

« أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ » ـ يعني : أين عليّ ؟

قَالَتْ : هُوَ فِي الْبَيْتِ .

قَالَ : « فَاذْهَبِي فَادْعِيهِ وَائْتِنِي بِابْنَيْهِ » ـ أي: بالحسن والحسين .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل أهل بيت النبي ﷺ (٢٤٢٤) .

قَالَتْ : فَجَاءَتْ تَقُودُ ابْنَيْهَا ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدٍ ، وَعَلِيٌّ يَمْشِي فِي إِثْرِهِمَا ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَأَجْلَسَهُمَا فِي حِجْرِهِ - أجلس الحسن والحسين في حجره - وَجَلَسَ عَلِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ ، وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ عَنْ يَسَارِهِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَاجْتَبَذَ مِنْ تَحْتِي كِسَاءً خَيْبَرِيًّا - أي من خيبر - كَانَ بِسَاطًا لَنَا عَلَى الْمَنَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ ، فَلَفَّهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ، فَأَخَذَ بِشِمَالِهِ طَرَفَي الْكِسَاءِ ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى رَبِّهِ ﷻ ، ثُمَّ قَالَ :

« **اللَّهُمَّ أَهْلِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ، اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً ، اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا** » .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ الله ، أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ ؟

قَالَ : « **بَلَى ، فَادْخُلِي فِي الْكِسَاءِ** »

قَالَتْ : فَدَخَلْتُ فِي الْكِسَاءِ بَعْدَمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ دُعَاءَهُ لِابْنِ عَمِّهِ عَلِيٍّ وَابْنَيْهِ وَابْنَتِهِ فَاطِمَةَ ﷺ [1] .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/ ٢٩٢، ٢٩٦) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ومن سورة الأحزاب (٣٢٠٥مختصرًا) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤١٦) ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري ». ووافقه الذهبي . والطبري في « التفسير » (لسورة الأحزاب : ٣٣)، وصححه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (٢٢٢١) .

• وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ، بسندٍ حسن أن النبيَّ ﷺ قال :

« الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ »(١) .

• وفي الحديث الذي رواه البخاريُّ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَسَأَلَهُ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ ـ انظر إلى الورع الباهت ـ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مِمن أَنْتَ ؟

فَقَالَ : مِنَ أهل الْعِرَاقِ .

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه : انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُني عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ الله ﷺ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ ـ في حقِّ الحسن والحسين: « هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا »(٢) .

• وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه كَانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَن ويقول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا ؛ فَأَحِبَّهُمَا »(٣) .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٣٧٦٨) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ٣) ، وابن أبي شيبة (١٢٢٢٥) ، والنسائي في « فضائل الصحابة » (٦٦) ، والطبراني في « الكبير » (٣/ ٢٦١١) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٦٦، ١٦٧) ، وقال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣١٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٣٧٤٧) .

يدعو النبيُّ ﷺ ربَّه بأن يحبَّ الله أسامة والحسن ﵄.

• وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب ﵁ أنه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ والحسنُ بن عليٍّ على عاتقه والنبيُّ ﷺ يقول:

« اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ »(١).

• وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﵁ أنه قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لاَ يُكَلِّمُنِي وَلاَ أُكَلِّمُهُ، حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: « أَثَمَّ لُكَعُ أَثَمَّ لُكَعُ؟ » ـ اللكع: المراد به هنا الولد الصَّغير ـ يعني ها هنا لكع أي ها هنا الحسن؟: « أَثَمَّ لُكَعُ أَثَمَّ لُكَعُ » وظل النبيُّ يكررها، يقول: فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا ـ أي فحبسته فاطمة ـ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سِخَابًا أَوْ تُغَسِّلُهُ؛ فَجَاءَ ـ الحسن ـ يَشْتَدُّ، وفي رواية: فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى ـ حَتَّى عَانَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَبَّلَهُ، وَقَالَ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: « اللَّهُمَّ أَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ »(٢).

فلو وجدت في قلبك حبًّا للحسن ﵁ فأبشر؛ فإن دعوة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل الحسن والحسين ﵄ (٣٧٤٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل الحسن والحسين ﵄ (٢٤٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: ما ذكر في الأسواق (٢١٢٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل الحسن والحسين ﵄ (٢٤٢١ / ٥٧).

لا ترد ؛ فإن النبيَّ ﷺ قد دعا الله أن يحبَّ كلَّ من أحَبَّ الحسن بن علي رضي الله عنهما اللهمَّ إنَّا نشهدك أنا نحبُّ الحسنَ والحسينَ وعليًّا وفاطمةَ وجميع أصحاب النبيِّ ﷺ، بل وجميع آل بيت النبيِّ ﷺ ممن ماتوا على التَّوحيد ، ونسألك أن تجمعنا بهم في جنَّات النَّعيم ، بحبنا لهم لا بأعمالنا ، يا أرحم الرَّاحمين .

• وفي الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة والنسائي في «الكبرى» ، وأبو يعلى بسندٍ حسن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال :

« كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي ؛ فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمَا أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمَ أَنْ دَعُوهُمَا ، فَإِذَا قَضَى الصَّلاة وَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ ، وَقَالَ : « مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ »[1] .

• وفي الحديث الذي رواه أحمد ـ وهو حديث صحيح ـ من حديث عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر قال :

« بَيْنَمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَخْطُبُ بَعْدَ مَا قُتِلَ عَلِيٌّ إِذْ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَزْدِ آدَمُ طُوَالٌ ـ رجل طويل ـ ؛ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَضَعُ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢١٧٤) ، والنسائي في «الكبرى» (٨١٧٠) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٥٠١٧، ٥٣٦٨) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٨٨٧)، وابن حبان (٦٩٧٠) ، والطبراني (٢٦٤٤) ، والبيهقي في « سننه » (٢/ ٢٦٣) ، وقال الألباني في «الصحيحة» (٣١٢) : «وهذا إسناد حسن» .

الْحَسَنَ فِي حَبْوَتِهِ ،وَيَقُولُ : « مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ »[١].

يقول الرَّجل : وَلَوْلاَ عَزْمَةُ رَسُولِ الله ﷺ ـ أي أن يبلغ الشَّاهد منَّا الغائب ـ مَا حَدَّثْتُكُمْ بهذا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

● وفي الحديث الذي رواه البخاري [٢] من حديث عقبة بن الحارث قال : « رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ﷺ يَحمِلُ الحَسَنَ ـ وَذَلِكَ بَعْدَ دَفْنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ يَقُولُ : بَأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَلَيْسَ شَبِيهًا بَعَلِيٍّ وعليٌّ يضحك!».

فمعلوم أن الحسن ـ رضوان الله عليه ـ كان أشبه الخلق برسول الله ﷺ، كان وجهه حسنًا كوجه المصطفى ﷺ ويقال : إن الحسين كان يشبه النبيَّ ﷺ في نصفه الأسفل [٣] أي : في فخذيه ، وفي ساقيه ، وفي قدميه ؛ لكن وجه الحسن كان أشبه الوجوه بوجه المصطفى ﷺ ؛ ولذلك كان النبيُّ ﷺ إذا رأى الحسن يقول :

« الحَسَنُ مِنِّي ، وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ »[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٣٦٦) ، وابن أبي شيبة (١٢٢٣٦) ، والبخاري في «خلق أفعال العباد » (٥٢) ، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٧٤) ، وصححه الشيخ شعيب في تعليقه على المسند.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل الحسن والحسين ﷺ (٣٧٥٠) .

(٣) « الطبقات» لابن سعد (١/ ٢٤٧،٢٤٨) .

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٢) وأبو داود ، كتاب اللباس ، باب في جلود النمور والسباع (٤١٣١) من حديث المقدام بن معد يكرب وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

• وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاريُّ من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ»[(١)].

لو ظللت أتحدث عن مناقب الحسن ربما تحتاج إلى كتابٍ كامل، لكن هذا جريًا على المنهج الذي اتبعته قبل ذلك حينما توقفت مع مناقب بعض الصَّحابة ممن تحدثنا عنهم في هذه الفتنة الحالكة؛ كما ذكرت بعض مناقب عثمان، وبعض مناقب علي، وبعض مناقب معاوية، وبعض مناقب أبي موسى، وبعض مناقب عمرو رضي الله عنهم؛ فكان حتمًا لازمًا، أن أقف مع بعض مناقب الحسن رضي الله عنه.

لنقف الآن على عظمة الحسن الحقيقية، وعلى أعظم وأجلِّ هدية قدَّمها الحسن للأمَّة، وتدبر ماذا قال النبيُّ ﷺ؟ فالذي فعله الحسن، إنما هو تحقيق لبشارة نبوية قالها الصَّادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

فلعلكم عرفتم في ثنايا ما سبق أن هذه الفتنة قد أخبر عنها المصطفى ﷺ وجلَّاها؛ فماذا قال النبيُّ ﷺ؟ والحديث رواه البخاريُّ من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن الحسن رضي الله عنه أن أبا بكرة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما (٧/ ٣٧٥٢).

ﭬ قال : سمعت النبيَّ ﷺ على المنبر ـ والحسن إلى جنبه ـ يقول :

« ابْنِـي هَـذَا سَـيِّدٌ ، وَلَعَـلَّ الله أَنْ يُصْـلِحَ بِـهِ بَـيْنَ فِئَتَـيْنِ عَظِيمَتَـيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (١) .

فـالنبيُّ ﷺ يشـهد للفئتين ــ أي لفئـة عـليٍّ وفئـة معاويـة ــ بـأنهما من المسلمين .

تـدبروا هـذا حتـى لا يخـوض أحـد بالباطـل ، في حـقِّ عـليٍّ أو في حـق معاويـة ؛ فقـد بَيَّنـا أن الطَّـائفتين قـد اجتهـدتا، لكـنَّ الطَّائفـة التـي جانبـت الصَّـواب هـي طائفـة معاويـة ﭬ وأوْلى الطَّـائفتين بـالحقِّ ــ بموعـود كـلام الصَّـادق المصـدوق ، الـذي لا ينطـق عـن الهـوى ــ هـي طائفـة عـليٍّ ﭬ وغفـر الله لأصـحابه ولأصـحاب معاويـة ، وجمعنـا بهـم جميعًا في جنَّة النَّعيم ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

نعـم ــ أيُّهـا الأحبـة ــ في هـذا اليـوم الـذي دفـن فيـه عـليٌّ ﭬ تـولى الخلافـة مـن بعـده الحسـنُ بـن عـلي ، بعـد بَيْعـة المسـلمين لـه ، وخطـب بعـد مقتـل أبيـه ؛ وقـال :لقـد فـارقكم رجـلٌ أمـس ، مـا سـبقه الأوَّلـون بعلـم ، ولا أدركـه الآخـرون ، إن كـان رسـول الله ﷺ ليبعثـه ويعطيـه الرَّايـة ، فـلا يـنصرف حتَّـى يُفْـتح لـه ، ومـا تـرك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل الحسن والحسين ﭭ (٣٧٤٦) .

من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله»[١] .

ولما أتى خبر مقتل عليٍّ رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه ، وقد قاتلته ؟ فقال : « ويحك ، إنك لا تدرين ما فقد النَّاس من الفضل والفقه والعلم »[٢] .

وأضحى معاوية في قلقٍ شديد ، وهمٍّ عظيم ، إذ لا زالت الحرب قائمة ، فخشي أن يستمر القتال ، وأن تتجدد الثارات ، وأن تزحف الجيوش من جديد بعد استخلاف الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما ، فانطلق معاويةُ ليبث مخاوفه وألمه لعمرو بن العاص رضي الله عنه ؛ فقال معاوية ـ حينما لقي عمرًا ـ ؛ كما قال الحسن البصري[٣] : استقبل ـ والله ـ الحسنُ بن علي معاويةَ بكتائب كأمثال الجبال ـ ناس ثارت لقتل عليٍّ ، وراحت تبايع الحسنَ بقوة ، وانضم تحت لواء الحسن جيشٌ جرار ضخم جدًا ـ ، فقال عمرو ابن العاص ـ لما رأى هذه الكتائب : «إني لأرى كتائب لا تُوليِّ حتى

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (١/ ١٩٩) ، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٧١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٩٣٦) وصححه الشيخ شعيب .

(٢) « البداية والنهاية » (٨/ ١٣٣).

(٣) كما عند البخاريِّ ، كتاب الصلح ، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: « ابني هذا سيد » (٢٧٠٤) .

تقتل أقرانها ، فقال له معاوية ـ وكان ـ والله ـ خير الرَّجلين ـ أي: عمرو ، وإنْ قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ـ أي : إن قتل فريق الحسن بهذه الآلاف وقتل فريقي ـ أي : فريق معاوية ـ فمَنْ لي بأمور النَّاس ؟! من لي بنسائهم ؟ من لي بضيْعتهم ؟! .

فبعث معاوية ﭬ إلى الحسن ﭬ برجلين من قريش من بني عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ـ ليفاوضا الحسنَ ﭬ وليعرضا عليه الصُّلحَ ، وطلب ما يريده الحسن ـ فقال معاوية : اذهبا إلى هذا الرجل ـ الحسن ـ فاعرضا عليه ، وقولا له واطلبا إليه ؛ فأتياه فدخلا عليه ـ على الحسن ـ فتكلَّما؛وقالا له : وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بنُ علي ﭬ : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ـ أي لا حاجة لنا في المال ـ وإنَّ هذه الأمَّة قد عاشت في دمائها . قالا : فإن ـ معاوية ـ يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ، ويسألك ؛ فقال الحسن : فمَنْ لي بهذا ؟ قالا : نحن لك به ، فما سألهما شيئًا إلا قالا : نحن لك به ، فصالحَهُ. فصالح الحسنُ معاويةَ ﭬ.

• قال الإمام الخطابي ـ أرجو أن تتدبروا هذا الكلام : « قد خرج مصداق هذا القول فيه ـ أي : الحسن ـ بما كان من إصلاحه بين أهل العراق والشَّام ، وتخليه عن الأمر خوفًا من الفتنة ، وكراهية لإراقة الدَّم ، ويسمى هذا العام بعام الجماعة ـ أي : العام الذي اجتمعت فيه

الدَّم ، ويسمى هذا العام بعام الجماعة ـ أي : العام الذي اجتمعت فيه كلمة المسلمين .

• يقول الخطابي : « وفي الخبر ـ (ابني هذا سيِّدٌ ..) دليلٌ أن واحدًا من الفريقين لم يخرج ـ لما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل ـ عن ملة الإسلام ، إذ جعلهم النبيُّ ﷺ آخر الآمر من المسلمين .

« **وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** » .

ألم أقل لكم : إن الطَّائفتين قد اجتهدتا ، والمجتهد المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجر واحد ، ولله الحمد والمنة ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ ، هم يقتتلون ، ومع ذلك لم يخرجهم ربُّنا تعالى من مسمَّى الإيمان .

﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩] ،سماها الله فئةً باغية ، ومع ذلك لم يخرجها الله تعالى من مسمَّى الإيمان ، ولم يخرجهم النبيُّ ﷺ في حديثه من مسمَّى الإسلام.

• وقال ابن كثير [(١)] : «قد شهد الصَّادق المصدوق للفرقتين بالإسلام ؛ فمن كفَّرهم أو كفَّر واحدًا منهم لمجرد ما وقع فيه ؛ فقد أخطأ وخالف النَّصَّ النَّبويَّ المحمدي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو

---

(١) (« البداية والنهاية » ٦/ ٢٢٠ط المعارف) .

إلا وحيٌ يوحى » .

● وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : قلت للحسن بن عليٍّ ﷺ ـ تدبر معي ـ إن النَّاس يقولون : إنَّك تريدُ الخلافة ! .

وهكذا نلحظ أن النَّاس لم يتركوا عليًّا ولا ولده ؛ بل أساءوا لعليٍّ وللحسن مِنْ بعده ؛ فقال الحسن ـ وأرجو أن تتدبروا ـ : « لقد كانت جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربتُ ، ويسالمون من سالمتُ ، تركتُها ابتغاء وجه الله ، وحقنًا لدماء أمَّة محمَّد ﷺ ، ثم أثيرها ثانيًا من أهل الحجاز » ـ يعني أطلب الخلافة بعد ذلك بعدما تنازلت عنها؟!

والحديث رواه الحاكم في مستدركه ، وقال : « صحيح على شرط الشيخين» ، وأقره الذهبي في « تلخيصه» [(١)] .

وتنازل الحسنُ بن علي ﷺ عن الخلافة لمعاوية ﷺ في الخامس من شهر ربيع الأول ، سنة إحدى وأربعين من هجرة النبيِّ الأمين ﷺ ، سلمها له وتنازل عنها حقنًا لدماء المسلمين ، ولتجتمع كلمةُ الأمَّة تحت راية خليفة أو إمام واحد، ودخل النَّاسُ جميعًا في طاعَةِ معاوية ، ودخل معاوية الكوفة فبايعه النَّاس .

وقد بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء ، ثم طلب معاوية ﷺ من الحسن بن

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧) ، والمزي في «في تهذيب الكمال» (٦/ ٢٥٠) ، وابن عساكر (١٣/ ٢٨٠و٢٨١) .

علي ﷺ أن يخطب في المسلمين في الكوفة ، لَمَّا تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية ؛ فقام الحسن ﷺ فخطب النَّاس فقال: « الحمد لله الذي هدى بنا أوَّلكم ، وحقن بنا دماء آخركم ـ يقصد المصطفى ﷺ ويقصد نفسه ـ ألا إن أَكْيَسَ الكَيْسِ : التُّقَى ، وأَعْجَز العجز : الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاوية إما أن يكون ـ أي : معاوية ـ هو أحقَّ به مني ، وإما أن يكون هذا الأمر حقي ، فتركناه لله ، ولصلاحِ أمَّة محمَّد ﷺ وحقن دمائهم .

قال : ثم التفت الحسن إلى معاوية، وقال : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء:١١١] [(١)] ، ثم نزل الحسن ـ رضوان الله عليه .

○ هذه ـ أيُّها الأحبة ـ هي نفسيةُ الحسن ، وهذا ورعه وإيمانه ، وتلك تقواه ، إنها نفسية المسلم الذي تربىَّ في بيت المصطفى ﷺ وكفى ! ماذا تريدون بعد ذلك ؟! .

يتنازلُ عن الدُّنيا ، وعن الخلافة والبيعة ، حقنًا لدماء الأمَّة ، وصلاحًا لأمرها ؛ لتجتمع كلمةُ الأمَّة ، ليس عن عجْزٍ .. لا ـ والله ـ ولا عن ضعف !! فلقد كانت جماجم العرب ـ كما قال ﷺ ـ بين : « يديه ، يحاربون من حارب ، ويسالمون من سالم »، ولكنه ﷺ يتنازل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٠٥) و(٧/ ٤٧٨) ، والحاكم (٤٨١٣) ، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٧٣) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧) ، وابن عساكر (١٣/ ٢٧٣، ٢٧٤) .

عن كل هذا ؛ إصلاحًا لأحوال الأمَّة ، ولتجتمع كلمةُ الأمَّةِ على قلب رجلٍ واحد .

ولقد لقيه رجلٌ يومًا ؛ فقال للحسن: السَّلام عليك يا مُذِلَّ المسلمين ! انظروا إلى سوء الأدب !فأجابه الحسن بأدب : « لا تقل ذلك يا أبا عامر ، والله لم أذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك ! »[١] .

وهكذا تنتهي هذه الفتنة بتنازلِ الحسن بن علي عن الخلافة ، ويتولى الأمرَ من بعد الحسن معاويةُ بن أبي سفيان ﷺ لتمتد الفتوح الإسلامية العظيمة امتدادًا كبيرًا في عهده .

ولا يتسع المجال للتعرض لهذا ؛ فليس هذا هو محلُّ بحثنا . وأتوقف عند هذا القدر ، وأرجو الله ﷻ أن أكون بذلك قد جلَّيتُ الفتنة الصَّماء البكماء العمياء ، التي وقعت بين الصَّحابة ، واستخرجت الحقَّ من وسط هذا الرُّكام الهائل من الباطل الذي شُحنت به كتبُ الأسفار والتَّاريخ ، وأرجو الله أن أكون وفِّقت في ذلك ، وأرجو الله أن أكون قد أزلت هذه الغمامات السَّوداء التي خيَّمت على كثيرٍ من العقول والقلوب طيلة السَّنوات الماضية .

ووالله ما تعمدت أن أتعرض للحديث عن هذه الفتنة ــ في هذه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٦) ، والحاكم (٣/ ١٩٢) ، والخطيب في « تاريخه » (١٠/ ٣٠٥) ، وابن عساكر (١٣/ ٢٧٩) و (٥٩/ ١٥١) .

الأيام ـ وأنا الذي كنت أهرب منها دومًا ـ ليس خوفًا من الحديث عنها ، وإنما خوفًا من أن أزلَّ فِيها ، وخوفًا من أن أُفسِدُ من حيثُ أريد الإصلاح .

وأخشى ما كنت أخشاه أن تترك كلمةٌ مني ـ من غير قصدٍ ـ أثرًا سيئًا في قلْب رجلٍ مسلمٍ واحد ، فاجتهدت قدْر استطاعتي ، وتضرعتُ إلى الله أن يستخرج الحقَّ من قلبي على لساني للذَّبِّ والذودِ عن أصحاب النبيِّ ﷺ بما يليق بمكانتهم وجلالتهم ، وبما يليق بحبنا لهم ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

فوالله ما دفعني للحديث عن هذه الفتنة إلا كلماتٌ خبيثةٌ أوجعتني سمعتها هنا ، وقرأتها هناك في حقِّ أطهر وأشرف الخلق بعد الرسل والأنبياء ، فأردتُ أن أرفع من خسيستي بالدِّفاع عنهم رضي الله عنهم ، وأسأل الله تعالى ألا يحرمنا صحبتهم في الآخرة ، بحبنا لهم وإن قصَّرت أعمالنا ، وأن يجزيهم عنَّا وعن الإسلام خير الجزاء ، إنه وليُّ ذلك ومولاه .

وأسأله سبحانه ألا يجعل حظَّنا من ديننا قولنا ، وأن يحسِّن نياتنا وأعمالنا ، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال ، وألا يفضحنا بخفي ما اطلع عليه من أسرارنا ، ولا بقبيحِ ما تجرأنا به عليه في خلواتنا ؛ إنه وليُّ ذلك ومولاه .



واجبنا نحو الصحابة ﷺ

واجبنا نحو الصحابة

○ وأختم هذه الأبواب بفصلين في غاية الأهمية :

ـ الفصل الأول: واجب المسلم نحو الصحابة ﷺ.

ـ الفصل الثاني: منهج المسلم في الفتن .

○ وإليك تفصيل ذلك :

أمَّا عن واجبنا تجاه أصحاب نبيِّنا ﷺ فهو حبُّهم ، والتَّرضي عنهم ، والسُّكوت عمَّا شجر بينهم ، وسلامة القلوب من الحقد عليهم ، أو بغضهم ، أو الوقيعة فيهم ؛ قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر:١٠] .

● **وقال قبيصة بن عقبة** [١] رحمه الله: « حبُّ أصحاب النبيِّ ﷺ كلُّهم سنَّة » .

وعائشة رضي الله عنها تتعجَّب من هؤلاء الضَّالين الذين يقعون بألسنتهم في الصَّحابة ، فتقول لابن أختها عُرْوَةَ بن الزُّبير : « يا ابن أختي أُمِرُوا أن يستغفروا لأصحاب النبيِّ ﷺ فسبوهم » [٢] .

(١) الحجة للتيمي (٢/ ٣٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢٢).

• وقال السفاريني[1] «بل يجب ذكر محاسنهم، والترضي عنهم، والمحبَّة لهم، وترك التَّحامل على أحد منهم، واعتقاد العذر لهم، وإنما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفرًا، ولا فسقًا؛ بل ربما يثابون عليه لأنهم اجتهدوا ابتغاء الحقِّ والصَّواب، وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ينكر على من خاض، ويسلِّم أحاديث فضائلهم وقد تبرأ ممن ضلَّلهم، أو كفَّرهم، وقال: السكوت عما جرى بينهم أولى وأحرى».

• وسئل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - عن القتال الذي حصل بين الصَّحابة، فقال: «تلك دماء طهَّر الله يدي منها، أفلا أطهر لساني منها، مَثَلُ أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسِّها»[2].

• قال البيهقي معلقًا على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: هذا حسن جميل لأن سكوت الرَّجل عمَّا لا يعنيه هو الصَّواب[3].

وسئل الحسن البصري - رحمه الله تعالى - عن قتال الصَّحابة فيما بينهم، فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا،

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٩٩).

(٢) الإنصاف للباقلاني ص ٦٩، والطبقات (٥/ ٣٩٤).

(٣) مناقب الشافعي ص ١٣٦.

واجتمعوا فاتَّبعنا ، واختلفوا فوقفنا [١] .

ومعنى قول الحسن هذا : أن الصَّحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأيا منَّا ، ونعلم أنهم اجتمعوا وأرادوا الله ﷻ إذ كانوا غير متَّهمين في الدِّين [٢] .

● وسئل جعفر بن محمد الصَّادق عمَّا وقع بين الصَّحابة ، فأجاب بقوله : أقول ما قال الله : ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [٣] [طه:٥٢].

● قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن قيل له : ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية ؟

قال : ما أقول فيهم إلا الحسنى [٤] .

○ وعن إبراهيم بن آزر الفقيه قال : حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين عليٍّ ومعاوية ؟ فأعرض عنه ، فقيل له : يا أبا عبد الله هو رجلٌ من بني هاشم فأقبل عليه فقال : اقرأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢) .

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإنصاف للباقلاني (ص ٦٩) .

(٤) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي (ص ١٦٤) .

مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤] .

● وقال أبو عبد الله بن بطة ـ أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة : ومن بعد ذلك نكفُّ عمّا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد شهدوا المشاهد معه ، وسبقوا النّاس بالفضل ، فقد غفر الله لهم ، وأمرك بالاستغفار لهم ، والتقرُّب إليه بمحبَّتهم ، وفرض ذلك على لسان نبيه ، وهو يعلم ما سيكون منهم ، وأنّهم سيقتتلون، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد وضع عنهم ، وكلُّ ما شجر بينهم مغفور لهم(١) .

● وقال أبو بكر بن الطَّيب الباقلّاني : ويجب أن يُعْلَم : أنَّ ما جرى بين أصحاب النبيِّ ﷺ و رضي الله عنهم من المشاجرة نكفُّ عنه ، ونترحم على الجميع ، ونثني عليهم ، ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ، ونعتقد أن عليًّا ﷺ أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة ﷺ ما صدر منهم كان باجتهاد ؛ فلهم الأجر ، ولا يفسقون ، ولا يبدَّعون ، والدَّليل عليه ؛ قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨] .

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص ٢٦٨) .

وقوله ﷺ « إِذَا اجْتَهَدَ الْـحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »[١] .

فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده ، فما ظنُّك باجتهاد من ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ ويدلُّ على صحة هذا القول : قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه :

« إِنَّ ابْنِي هَـذَا سَيِّدٌ ، وَسَيُصْلِحِ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »[٢] .

فأثبت العظمة لكلِّ واحدةٍ من الطَّائفتين ، وحكم لهما بصحة الإسلام ، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغلِّ من صدورهم بقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٧] .

إلى أن قال : ويجبُّ الكفُّ عمَّا شجر بينهم ، والسُّكوت عنه[٣] .

● وقال ابن تيمية ـ في صدد عرضه لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فيما شجر بين الصَّحابة : « ويمسكون عما شجر بين الصَّحابة ، ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساويهم ، منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصَّحيح منه هم فيه معذورون ، إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون»[٤] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) البخاري ، كتاب الفتن رقم (٧١٠٩) .

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به(ص ٦٧ – ٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤، ١٥٥) ، والعقيدة الوسطية (٢٦) .

○ **وقال ابن كثير**[١] : « أمَّا ما شجر بينهم بعده ﷺ، فمنه ما وقع من غير قصد ، كيوم الجمل ، ومنه ما وقع عن اجتهاد ، كيوم صفِّين ، والاجتهاد يخطئ ، ولكن صاحبه معذور ، وإن أخطأ ومأجور أيضًا ، وأما المصيب فله أجران » .

○ **قال ابن حجر**[٢] : «واتَّفق أهل السُّنَّة على وجوب منع الطَّعن على أحد الصَّحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحقُّ منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد ؛ بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا ، وأن المصيب يؤجر أجرين » .

● فأهل السُّنَّة مجمعون على وجوب السُّكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصَّحابة ﷺ بعد مقتل عثمان والتَّرحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم ـ رضي الله عنهم وأرضاهم[٣] .



---

(١) كما في الباعث الحثيث (ص ١٨٢) .

(٢) «الفتح» (١٣/ ٣٤) .

(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٧٤٠) .



منهج المسلم
في الفتن

منهج المسلم في الفتن

○ أولًا : الاعتصام بالله جلَّ وعلا والصدق في طلب العون منه ، ليعينك الله وليثبتك في هذه الفتن المتلاطمة الأمواج . فالمعصوم من عصمهُ الله ، والمخذول من خذل ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله .

فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن تخلى عنه بستره وتوفيقه فهو المخذول ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١] ، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ومدار النجاة على التمسك بهاتين العصمتين ، وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]

فاستعن بالله على هذه الفتن التي تواجهها في بيتك ، وفي وظيفتك ، وفي الشَّارع ، وفي الجامعة ، وفيَّ كل مكان .

قم أيُّها العبد الغارق في مستنقع الفتن ، قم بالليل ، واطرح قلبك بذل وانكسار بين يديه جلَّ وعلا واعترف له بعجزك وضعفك وفقرك .

بك أستجير ومن يجير سواك ... فأجر ضعيفًا يحتمي بحماك

إني ضعيف أستعين على قوي ... ذنبي ومعصيتي ببعض قواك

أذنبت يا رب وقادتني ذنوب ما لها من غافر إلَّا ك

ربَّاه ها أنذا خلصت من الهوى واستقبل القلب الخليُّ هداك

رباه قلب تائب ناجاك أترده وترد صادق توبتي حاشاك

حاشاك ترفض تائبًا حاشاك

فليرض عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاك

قال تعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧] .

○ ثانيًا : تجديد الإيمان ،اعلم بأن الإيمان يضعف ويقوي ، يزيد وينقص ، يضعف في بيئة الفتن والمعاصي ، ويقوى في بيئة الطاعات .. فَعَرِّضْ قلبك على قدر الاستطاعة لبيئة الطاعة ... قد تكون طبيبًا ... قد تكون مهندسًا ... قد تكون أستاذًا في الجامعة ... ضابطًا في الجيش ... لكنني أقول مع كلِّ هذا الزَّخم الضَّاغط مهما كان عملك اجعل لنفسك ساعة لتسمع عن الله ورسوله ﷺ ... لتجلس فيها في مجلس علم ، لعالم رباني أو داعية صادق ؛ ليزداد إيمانك ؛ ففي الحديث الذي رواه الحاكم والطبراني [1] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤) وقال : «رواته مصريون ثقات » ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٥٢) : « رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن » ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٥٨٥) .

« إِنَّ الإِيْمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الإِيْمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ » .

فملازمتك لمجالس العلم بنيَّةٍ خالصةٍ ، توفَّق للخروج من البدعة إلى السُّنَّة ، ومن الحرام إلى الحلال ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن الشرِّ إلى الخير ، ومن الضَّلال إلى الهدى .

فالإيمان يتجدد بالطَّاعة كالذِّكر وملازمة مجالس العلماء الربَّانيين ، والاستغفار، والصِّدق ،وقيام اللَّيل، وزيارة المقابر ،وقراءة القرآن ، والدَّعوة إلى الله ،والأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الرحِم ... إلى غير ذلك .

○ ثالثًا : التمسك بالكتاب والسنة ، والعمل بهما. يجب علينا أن نحوِّل القرآن والسُّنَّة في بيوتنا ووظائفنا ومصانعنا وشوارعنا وحياتنا إلى واقع عملي ومنهج حياة قال تعالى : ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[طه:١-٣] .

فما أنزل الله القرآن إلا ليقيم النبيُّ ﷺ به أمَّة ... إلا ليربي به النبيُّ ﷺ القلوبَ والعقولَ والضمائرَ والأخلاق ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[يس:٧٠] .

فلنرجع إلى القرآن ، لنطبق أحكامه حُكْمًا حُكْمًا ، وآية آية ، وتكليفًا

تكليفًا ، وأمرًا أمرًا ، ونهيًا نهيًا ، وحدًّا حدًّا ، وكلمةً كلمةً ، وحرفًا حرفًا ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩] .

فإن من أعظم صمامات الأمان في الفتن أن تجعل لك وردًا يوميًا مع كتاب الله لا تتخلى عنه .

○ وأقول لك: احرص على هذا الورد كحرصك على تناول الطَّعام والشَّراب وتنفس الهواء ؛ لأنك تقرأ كلام رب الأرض والسماء !

● قال تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء:٦٦] .

ولنرجع إلى السُّنَّة النَّبويَّة لامتثال أمر النبيِّ ﷺ واجتناب نهيه ، والوقوف عند حدِّه ، واتِّباعه وتبليغ دعوته ورسالته ، إذ لا يمكن أن نفهم القرآن إلا من خلال سُنَّة النبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام .

● قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

●وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

فما احوجنا في زمن الفتن إلى التمسك بالكتاب والسنَّة ، فوربِّ الكعبة لا مخرج للبشرية عامَّة وللأمَّة خاصة من هذه الفتن الحالكة إلَّا بالعودة الصادقة إلى القرآن والسُّنَّة .

○ رابعًا : الثقة في وعد الله ورسوله ، وفهم السنة الربانية ؛ لأن شبابنا إن لم يفهموا السنن وقعوا في محنة حالكة ، ألا وهي محنة القنوط واليأس من التغيير ، بل ربما وقعوا في محنة الشك بالله وفي وعده ، وفي وعد رسوله ﷺ ، فلا بد أن نفهم السُّنن الربَّانية لأن لله سننًا في الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي تلك السنن أحدًا من الخلق بحال مهما ادَّعى لنفسه من مقومات المحاباة ، فالله لا ينصر ولا يُمَكِّنُ ولا يَسْتَخْلِفُ ولا يُعِزُّ إلا من حققَ الإيمانَ وهنا تزول هذه الفتنة التي تعصف بكثير من القلوب .

●قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] .

● قال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠] .

○ خامسًا : التحصن بالعبادة في وقت الفتن ، إن أقوى سلاح يستعين به المسلم وقت الفتن والبلاء أن يجتهد في العبادة ؛ ويبذل

قلبه وقالبه وروحه ـ وقت غفلة كثير من النَّاس ـ في عبادة سيده ومولاه ليعيش بعيدًا عن تلك الأمور العظام التي تعصف بالقلب وتغشاه ؛ كما في صحيح مسلم [(١)] عن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ » .

• قال النووي [(٢)] ﷺ : « والمراد بالهرج هنا : الفتنة واختلاط أمور النَّاس ، وسبب كثرة فضل العبادة فيه : أن النَّاس يغفلون عنها ، ويشتغلون عنها ، ولا يتفرغ لها إلا أفراد » .

• وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩] .

○ سادسًا : المحافظة على الصلوات في جماعة ،قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [االبقرة:٤٥] ..

• وفي «صحيح البخاري» [(٣)] عن أم سلمة ﷺ قالت : اسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا ، يَقُولُ :

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب فضل العبادة في الهرج (٢٩٤٨) .

(٢) مسلم بشرح النووي (٩/ ٣١٣) ط الحديث .

(٣) أخرج البخاري كتاب الفتن باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (٧٠٦٩) ، وانظر: أطرافه في (١١٥) .

« سُبحَانَ الله ، مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الخَزَائِنِ ؟ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الفِتَنِ ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ ـ يريد أزواجه ـ لِكَيْ يُصَلِّينَ ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ » .

○ أخي : لا تتخل عن هذه السَّفينة ؛ فأمواج الفتن تتلاطم من حولك... لا تقل : ﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾[هود:٤٣] بل بادر إلى ركوب هذه السَّفينة ـ سفينة النَّجاة ـ إنها بيوت الله في الأرض .. إنها المساجد ، فأنت إذا جلست في بيت الله ساعة أوساعتين ـ حتى إن جلست لا تتكلم ـ فأنت في مأمن من الفتن .

● ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلًا فِي الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ »[١].

● قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[التوبة:١٨] .

○ سابعًا : ذكر الله ﷻ، فالذِّكر من أعظم وسائل الثَّبات في الفتن ؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الآذان ، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح (٦٦٢) ، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (٦٦٩) .

ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥] .

فكن ذاكرًا في كل نَفَسٍ من أنفاس حياتك ؛ كن مباركًا حيثما كنت ، فذكر الله فيه حياة القلوب والقرب من علَّام الغيوب ، ذكر الله فيه زوال الهموم ، وتفريج الكروب ، وطمأنينة القلوب ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨] .

وهو خير الأعمال وأزكاها وأفضلها ، روى أحمد والترمذي وابن ماجة [(١)] عن أبي الدَّرداء ﷺ قال رسول الله ﷺ :

« أَلاَ أُنَبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ ». قَالُوا : بَلَى ، قَالَ: « ذِكْرُ الله تَعَالَى ».

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ : مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله .

والذَّاكر لله حيٌّ وإن توقفت منه الأعضاء ، والغافل عن ذكر الله

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٥) ، والترمذي كتاب الدعوات باب منه (٣٣٧٧) ، وابن ماجة كتاب الأدب باب فضل الذكر (٣٧٩٠) ، والحاكم (١/ ٤٩٦) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب (٥١٩) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٧٣) : «رواه أحمد وإسناده حسن» ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٩) ، والمشكاة (٢٢٦٩) .

ميت وإن تحرك بين الأحياء ؛ ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَيَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**» .

قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤] ، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف:٣٦] .

○ **ثامنًا: الاستعاذة بالله من الفتن** ، فعلى العبد أن يستعيذ بالله من الفتن عند ورودها ، بل وقبل ورودها عليه ؛ ليحصن نفسه ؛ فقد روى مسلم[(٢)] من حديث زيد بن ثابت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ».

وكان النبيُّ ﷺ يتعوذ في صلاته من فتنة المحيا والممات ، وفتنة المسيح الدَّجال ، وفتنة المغرم والمأثم ؛ كما في «الصحيحين» من حديث عائشة وأبي هريرة ﷺ .[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله ﷻ (٦٤٠٧) ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٧٧٩) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٢٨٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام (٨٣٢) ، وانظر أطرافه هناك ، ومسلم كتاب والمساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٩)، من حديث عائشة ﷺ والبخاري (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ .

والاستعاذة هي لجوءُ العبد إلى الله ﷻ بصدقٍ لينجيه من هذه الفتن الحالكة المظلمة ، وليرفع عنه هذه الغمامة الكثيفة .

ولا تغفل عن الدُّعاء ؛ فالله جلَّ وعلا حيٌّ كريم يستحي إذا رفع الرَّجل إليه يديه أن يردَّهما صفرًا خائبتين [١] .

فتضرع إلى الله مع كلِّ محنة وفي كلِّ فتنة أن يثبِّتك الله ﷻ ولقد كان النبي ﷺ أكثر ما يقول :

« يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِيْنِكَ » . [٢]

○ تاسعًا : الصُّحبة الطَّيِّبة الصَّالحة ، فالصُّحبة قد تؤثر في الإنسان تأثيرًا يتضاعف على تأثير البيت نفسه ؛ فالصاحب ساحب إمَّا للثرى وإما للثريا .

○ لذا أقول : إن صحبة الصَّالحين من أعظم وسائل الثَّبات في الفتن ، فاصحب الأخيار الذين تذكرك وجوههم بالعزيز الغفار .

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب الدعاء (١٤٨٨) ، والترمذي كتاب الدعوات (٣٥٥٦) ، وابن ماجة كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء (٣٨٦٥) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٢٠) ، وابن ماجة (٣١١٧)، وصحيح الجامع (١٧٥٧) .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢١٤٠) ، وقال :حديث حسن ، وابن ماجة كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله ﷺ (٣٨٣٤) ، من حديث أنس ﷺ ، ورواه الترمذي (٣٥٢٢) ، عن أم سلمة ﷺ وقال حديث حسن ، وانظر: (٣٥٨٧) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٧ ، ٧٩٨٨) ، والمشكاة (١٠٢) .

اصحب من تذكرك رؤيتهم بالله ؛ فإن هناك قومًا إذا رأيت وجوههم ذكروك بالطاعة وفعل الخير والبعد عن المعصية .

فالصحبة تعينك على الطَّاعة وعلى الثَّبات على الإيمان. قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:١٢٠] .

• وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال :

« إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ : إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ : إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً ».

○ عاشرًا : الفرار من الفتن ،ابتعد عن أماكن الفتن ، ولا تقف في وجهها ، وتظن أن هذه هي الشَّجاعة والثَّبات وأنك قد بلغت من الإيمان مبلغًا عظيمًا بحيث أنك تستطيع أن تقف وأن تواجه هذه الشَّبهات وتلك الشَّهوات ؛ لا فلقد حثَّ نبيُّنا ﷺعلى اعتزال مواطن الفتن ، والفرار منها ، روى البخاري[٢] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك (٢١٠١ ، ٥٥٣٤) ، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء(٢٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان ، باب من الدين الفرار من الفتن (١٩) ، وانظر أطرافه هناك=

رسول الله ﷺ قال :

« يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْـمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ ».

فَصِمَام الأمان وطوق النَّجاة بعد الاعتصام بالله واللجوء إليه أن يجتنب الإنسان الفتن وأن ينأى عنها .

• وروى أبو داود [(١)] بسندٍ حسنٍ عن المقداد بن الأسود أن رسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ . إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ . إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ . وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا ».

• وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

« سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، وَمَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ.

= وانظر الصحيحين: البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨) .

(١) أخرجه أبو داود كتاب الفتن والملاحم باب في النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٦٣) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٩٧٥) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠١) ، وانظر طرفاه هناك ، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٦) .

وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ ».

○ قال النووي [١] ـ رحمه الله تعالى :

« قوله : تشرَّف هو من الإشراف للشيء وهو الانتصاب والتَّطلع إليه والتعرض له ، ومعنى تستشرفه : تقلبه وتصرعه .

وقيل : بمعنى الإشفاء على الهلاك » .

○ أيها الأحبة ؛ هذه بعض الخطوات على طريق الخروج من الفتن إن حققناها قوي الإيمان وثبت ؛ قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

ولا ننسى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ... يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، فيا أيُّها الفاضل إن حوَّلت هذا المنهج الذي أصلته لك إلى منهج عملي تجدد إيمانك وقوى ، وحينئذٍ تكون أهلًا بإذن الله لأن يثبتك الله في بحور فتن الشَّهوات والشُّبهات .

● قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

أسأل الله أن يجنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يثبِّتنا على الحقِّ حتى نلقاه ، وألا يجعل حظَّنا من ديننا قولنا ، وأن يحسن نيَّاتنا وأعمالنا ،

---

(١) مسلم بشرح النووي .

وأن يجنِّبنَا الزَّيغ والزَّلل ، وأن يرزقنا السَّداد والرشاد ، وأن يجمعنا مع نبينا الأمين وأصحابه الغُرِّ الميامين وآل بيته الطَّيبين الطَّاهرين في جنَّات النَّعيم .

◦ هذا ؛ وما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان ، وأعوذ بالله أن أكون جسرًا تعبرون عليه إلى الجنَّة ويُرمى به في نار جهنم ، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

الفقير إلى عفو الرَّحمن

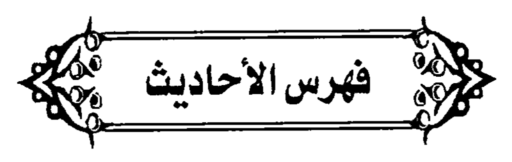
محمَّد بن حسَّان

القاهرة ١٤٢٧هـ



أولا

فهرس الأحاديث



فهرس الأحاديث

الحديث **الصفحة**

[أ]

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث **الصفحة**

الحديث **الصفحة**

الحديث **الصفحة**

الحديث | الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث **الصفحة**

الحديث	الصفحة
ما من عبد يسترعيه الله رعية «معقل بن يسار»	١٧٦
ما نفعني مال قط «أبو هريرة»	٣٠
مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه «أبو موسى» ...	٣٥٧
من أتاكم وأمركم جميع «عرفجة»	١٢٨
من أحبني فليحب هذين «ابن مسعود»	٣٢٧
من أحبني فليحبه ، فليبلغ الشاهد «رجل من أزد»	٣٢٧، ٣٢٨
من رجل يقوم فينظر «حذيفة»	٨٨
من سب أصحابي فعلية لعنة الله «عطاء بن أبي رباح» ...	٢١
من غدا إلى المسجد أو راح «أبو هريرة»	٣٥٥
من كنت مولاه فعلي مولاه «علي بن أبي طالب»	١٨٩
من لعن مؤمنًا فهو كقتله «ثابت بن الضحاك»	٢٦٧
من نجا من ثلاث فقد نجا «عبد الله بن حوالة الأزدي» .	١٥٧
من هاهنا جاءت الفتن «ابن مسعود»	٥٥
من يشتري بئر رومة «عثمان بن عفان»	١٠٩
منهن ثلاثًا لا يكدن يذرن شيئًا «حذيفة»	٥٠

[ن]

نعـم أهـل البيـت عبـد الله وأبـو عبـد الله «طلحـة بـن

الحديث | الصفحة





ثانياً

فهرس الآثار





فهرس الآثار

الأثـــر **الصفحة**

الأثـــر **الصفحة**

الأثـــر **الصفحة**

الأثـــــر	الصفحة

الأثـــر **الصفحة**

الأثـــر	الصفحة

الأثـــر **الصفحة**

الأثـــر | الصفحة

الأثـــر | الصفحة

الأثـــر **الصفحة**

الأثـــر | الصفحة

الأثـــــر | الصفحة



ثالثا

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

